الأبـله
الجزء الثانى

الدار الذهبية

١٥ شارع الجمهورية – عابدين - القاهرة

ت/ ٢٧٩٥١٧٤٨-٢٣٩٣٣٣٨٢

Email: aldaralzahabia50@yahoo.com

الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 2020/3343

الترقيم الدولي: 978- 977- 736- 257 - 3

الأبله

فيودور دوستويفسكي

الجزء الثاني

ترجمة

اسامة عبد الرحمن

الدار الذهبية

الفصل الأول

يومين اثنين من أحداث السهرة التي شهدناها في بيت ناستاسيا وختمنا بها الجزء الأول من قصتنا، عن اسراع الأمير مشكين بالسفر إلى موسكو ليعنى بأمر الميراث المفاجيء الذي آل اليه على غير توقع وقد زعم بعضهم في ذلك الأوان أن هناك أسبابا دعت الأمير إلى الإسراع في السفر ولكننا لا نستطيع فيما يتعلق بهذا الأمر ان نستوعبها، وكذلك فيما يتعلق بجميع الأحداث التي وقعت للأمير بموسكو، أو التي وقعت له طوال مدة غيابه عن بطرسبرج عامة، لا نستطيع أن نقدم الا معلومات قليلة لقد دام غياب الأمير ستة أشهر تماما ومع ذلك فحتى الذين كانت تحضهم أسباب معينة على أن يهتموا بمصيره، لم يستطيعوا أن يعلموا عنه الا أشياء قليلة جدا طوال تلك المدة صحيح أن هناك شائعات كانت تصل إلى مسامع بعضهم في أحيان نـادرة، ولكن تلك الشائعات كان أكثرها غريبا عجيبا، وكانت متناقضة في جميع الأحيان على وجه التقريب وكان أفراد أسرة ايبانتشين التي لم يتسع وقت الأمير حتى لتوديعها قبل سفره، أكثر الناس اهتماما به واقصاءا لأبنائه ثم ان الجنرال قد

التقى به أثناء تلك الفترة، حتى انهما تناقشا نقاشا جادا مرتين أو ثلاث مرات غير أن الجنرال لم يذكر لأسرته شيئا عن لقائه بالأمير والواقع أن السكوت عن ذكر الأمير في الآونة الأولى التي أعقبت سفره، أي خلال شهر كامل تقريبا، كان قاعدة في منزل الجنرال ايبانتشين جعل الجنرالة اليزابت برو كوفيفنا وحدها تعلن في البداية أنها قد أخطأ ظنها فيه خطأ قاسية، ثم أضافت بعد شهرين أو ثلاثة أشهر قولها:

ـ أن أبرز سمة في حياتها هي أنها تخدع في أمر الناس دائما، ولكنها في هذه المرة لم تذكر اسم الأمير، وأطلقت حكمها غامضا مبهما واغتاظت من بناتها بعد عشرة أيام فختمت كلامها بهذه العبارة: كفاني أخطاء لا خطأ بعد الآن لا نستطيع الا أن نذكر في هذه المناسبة أنه قد ساد المنزل خلال مدة طويلة نوع من تعكير المزاج، شيء من الثقل والتوتر، جو ملىء بأمور غير معلنة يمكن أن يثير الشقاق في كل لحظة كان جميع من بالمنزل مكتئب مظلم النفس، والجنرال مشغول بمساعيه وأعماله ليلا ونهارا:

ـ أنه ما رئي في حياته كلها أكثر انهماكا بالعمل وأكثر جدا ونشاطا منه في هذه الفترة، ولا سيما في وظيفته أن ذويه لا يكادون يرونه أما الآنسات ايبانتشين فكن لا يعبرن عما يدور في أذهانهن بصوت عال

ولعلهن كن لا يتحدثن فيما بينهن الا قليلا انهن فتيات فيهن كبرياء وأنفة، بل فيهن أيضا حياء وخفر حتى حين يخلو بعضهن إلى بعض؛ ولكن هذا لا ينفي طبعا أنهن يفهم بعضهن عن بعض لا من أول كلمة فحسب، بل من أول نظرة أيضا فلا يكون ثمة داع إلى كلام كثير في بعض الأحيان.

الشيء الوحيد الذي كان يمكن أن يلاحظه ملاحظ غريب عن البيت، لو أمكنه أن يوجد فيه، هو أن الأمير، كما تدل على ذلك بعض العلامات، وهي قليلة على كل حال، وقد أشرنا اليها من قبل، أن الأمير قد استطاع أن يحدث في أسرة ايبانتشين انطباعا خاصا، رغم أن الأمير لم يظهر في منزل هذه الأسرة الا مرة واحدة كانت من جهة أخرى طارئة عارضة قد لا يكون ذلك الانطباع الا حب اطلاع، تعلله وتقره ما وقع للأمير من أحداث غريبة، وما عرف في حياته من مغامرات عجيبة غير أن ذلك الانطباع قد بقى في نفوس أفراد الأسرة وشيئا فشيئا، غابت الشائعات التي انتشرت في المدينة أول الأمر، غابت هي نفسها في ظلام المجهول صحيح أن بعض الناس كانوا يتحدثون عن أمير صغير ساذج لم يكن يستطيع أحد أن يعين اسمه على وجه الدقة قد ورث ثروة طائلة على حين فجأة، وتزوج امرأة فرنسية كانت مارة بالبلاد مرورا عابرا، فهي راقصة معروفة

من فرقة الكانكان الفرنسي، التي تعمل في قصر الأزهار، بباريس غير أن ناسا آخرين كانوا يؤكدون أن الذي ورث تلك الثروة الطائلة انما هو جنرال، وأن تاجرا روسيا شابا، ثريا ثراء لا يحصى، هو الذي تزوج راقصة الكانكان الفرنسية؛ وأن هذا الشاب قد أحرق على لهب شمعة لا لسبب غير التباهى سبعين ألف روبل من الأوراق المالية على وجه التمام والكمال ولكن انتشار الشائعات سرعان ما انقطع بفضل بعض الظروف لقد لبث روجويين مع أفراد عصبته أسبوعة في محطة ايكاتر نهوف، غارقين في مجون رهيب يوما بعد يوم، وهو مجون شاركت فيه ناستاسيا فيليبوفنا حتى اذا انتهى الأسبوع سافر روجويين على رأس أفراد عصبته إلى موسكو ولعل بين هؤلاء من كان يمكن أن يروي شيئا؛ وعلم عدد قليل من الناس الذين يمكن أن يهتموا بهذا الأمر، علموا من شائعات أخرى، أن ناستاسيا فيليبوفنا قد هربت واختفت غداة يوم الرحيل إلى ايكاترنهوف، وأمكن أن يعرف أنها سافرت إلى موسكو فأدرك الناس أن هناك صلة بين هروبها وبين سفر روجويين وسرت شائعات أيضا عن جبريل آردالیونتش اينولجين الذي كان معروفة في بيئته هو أيضا غير أن حادثا وقع له فسرعان ما أبرد حرارة ألسنة السوء، بل انتهى إلى وقف جميع الأقاويل السيئة في حقه وقفا تاما:

ـ لقد مرض مرضا شديدا، وانقطع عن الظهور في المجتمع، وغاب حتى من مكتبه ثم أبل من مرضه بعد شهر، غير أنه لسبب من الأسباب ترك عمله في شركة الأسهم، وحل محله موظف آخر ولم يظهر كذلك في منزل أسرة ايبانتشين، واضطر الجنرال، هو أيضا، أن يتخذ لنفسه سكرتيرا آخر ولقد كان في وسع أعداء جبريل ارداليوتش أن يفترضوا أنه قد بلغ من الشعور بالعار مما حدث له أنه أصبح يستحي أن يظهر في الشارع ولكن الحقيقة هي أنه كان مريضا حقا: كانت تعتريه نوبات وسواس، وكان كثير الوجوم، شديد السوداوية، سريع الاهتياج وفي ذلك الشتاء نفسه تم زواج باربارا آرداليونوناوبين فرأى جميع الذين يعرفونهما أن هناك علاقة مباشرة بين هذا الزواج وبين تصميم جانيا على ألا يعود الى عمله، فهو الآن ليس عاجزا عن مساعدة أسرته فحسب، بل هو نفسه أصبح في حاجة إلى مساعدة، بل يكاد يحتاج إلى أنواع خاصة من العناية ولنذكر، مستطردين، ان اسم جبريل آرداليونتش أصبح هو أيضا لا يلفظ أبدا في منزل أسرة ايبانتشين، فكأن جبريل آرداليونتش لم يوجد في يوم من الأيام، لا في هذا المنزل ولا في العالم ومع ذلك عرف جميع أفراد الأسرة بل عرفوا ذلك بسرعة كبيرة أمرا هامة يتعلق به: ففي تلك الليلة التي كانت ليلة حاسمة في حياته، بعد الحادث الأليم الذي وقع له في بيت ناستاسيا فيليبوفنا، لم ينم

جانيا حين عاد إلى بيته، بل ظل ينتظر عودة الأمير كالمحموم من نفاد الصبر وكان الأمير قد سافر إلى ايكاتر نهوف هو أيضا، فلم يعد منها الا بعد الساعة الخامسة من الصباح فدخل عليه جانيا عندئذ غرفته، ووضع أمامه على المائدة حزمة الأوراق المالية التي تجففت أطرافها من نار الموقد، والتي كانت ناستاسيا فيليبوفنا قد وهبتها له أثناء اغمائه ورجا الأمير ملحا أن يتولى رد هذه الهدية الى ناستاسيا فيليبوفنا في أول مناسبة ولقد كان جانبا، حين دخل على الأمير، في حالة نفسية عدائية ساخطة ولكن يظهر أن الرجلين قد تبادلا أقوالا مكث بعدها جانبا عند الأمير ساعتين كاملتين لم ينقطع في أثنائهما عن البكاء ناشجا نشيجا مريرا وافترقا أخيرة على مودة وصداقة هذا النبأ الذي وصل إلى جميع أفراد أسرة ايبانشين كان صحيحا كل الصحة، كما ثبت ذلك فيما بعد أنه لعجيب طبعا أن يمكن وصول هذا النوع من الأنباء إلى علم أناس آخرين بمثل تلك السرعة الشديدة من ذلك مثلا أن كل ما حدث في بيت ناستاسيا فيليبوفنا قد عرف في منزل أسرة ايبانتشين منذ الغد بتفاصيل كثيرا وفيما يتعلق بالأنباء الخاصة بجبريل ارداليونتش كان يمكن أن نفترض أن باربارا آرداليونوفنا هى التي نقلتها إلى أفراد أسرة ايبانتشين، لأنها جاءت إلى الآنسات ايبانتشين فسرعان ما قامت بينها وبينهن صلات عميقة، وهذا أمر أثار أشد الدهشة في اليزابت برو كوفيفنا ولكن

باربارا آرداليونوفنا رغم أنها وجدت أن من الضروري لا ندري لماذا؟ أن تعقد تلك الصلات الوثيقة بأسرة ايبانتشين، لم تحدث الآنسات عن أخيها حتما فانها هي أيضا امرأة ذات كبرياء، على طريقتها الخاصة، وان تكن قد قبلت أن تربطها صداقة بأولئك اللواتي طردن أخاها طردا على وجه التقريب في الماضي، رغم أنها قد عرفت الآنسات ايبانتشين، كانت لا تراهن الا نادرا وهي حتى الآن، على كل حال، لا تكاد تظهر في الصالون قط، وانما تأتي من مدخل الخدمة كأنها عابرة عبورا ان اليزابت برو كوفيفنا لم تظهر لها في يوم من الأيام بشاشة أو ترحيبا، لا في الماضي ولا في الحاضر، وان تكن تحمل لأمها نينا ألكسندروفنا كثيرا من الاعتبار، وتقدرها قدرا كبيرا فكانت تدهش وتغضب، وتعزو تلك العلاقات الجديدة التي قامت بينهن وبين فاريا إلى النزوة وحدها، والى استبداد بناتها اللواتي أصبحن على حد تعبيرها لا يعرفن حقا ماذا يخترعن من أساليب لمضايقتها ولكن ذلك كله لم يمنع باربارا آرداليونوفنا من مواصلة زياراتها، سواء قبل زواجها وبعد زواجها بعد سفر الأمير بشهر أو يزيد قليلا، تلقت الجنرالة ايبانتشين رسالة من الأميرة العجوز بيلو كونسكايا التي سافرت قبل خمسة عشر يوما إلى موسكو لزيارة ابنتها الكبرى المتزوجة هناك فأحدثت تلك الرسالة في نفس الجنرالة بعض الأثر؛ ورغم أنها لم تنقل من مضمون هذه الرسالة

شيئا إلى بناتها أو إلى زوجها، فقد أدرك ذووها من علامات كثيرة أن في نفسها غليانة بل واضطرابا انها تجري مع بناتها أحاديث غريبة، في موضوعات غير مألوفة كان واضحا انها تريد أن تفضى بما في نفسها، لكنها تلجم لسانها لسبب من الأسباب آنها، يوم تلقت الرسالة، قد أظهرت للجميع عاطفة رقيقة، حتى أنها تبلت آجلايا وآديلائيد، واعترفت أمامهما بأخطائها وعيوبها فلم تعرف البنتان ماذا كانت تلك الأخطاء ولا ماهى طبيعة تلك العوب وقد أصبحت العجوز متسامحة متساهلة على حين فجاة حتى في معاملة ايفان فيدوروفتش الذي ظلت غاضبة منه ساخطة عليه مدة شهر كامل ولكن العجوز عادت منذ الغد تندم على الرقة والحنان اللذين أظهرتهما بالأمس، ووجدت السيل إلى مشاجرة الجميع حتى قبل أن يحين موعد العشاء ثم عاد الجو يصفو في المساء من جديد، فبقيت الجنرالة هادئة المزاج طوال أسبوع، وذلك أمر لم يحدث لها منذ زمن بعيد.

ولكن الجنرالة تلقت رسالة أخرى من الأميرة بيلوكوسكايا بعد أسبوع، فقررت في هذه المرة أن تتكلم فأعلنت أن العجوز بلو كونسكايا، كانت الجنرالة لا تسمى الأميرة أثناء غيابها الا بهذا الاسم قد بعثت اليها بمعلومات مطمئنة جدا عن ذلك الشاب الغريب

الأطوار الأمير، لقد استطاعت العجوز أن تهتدى إلى الأمير بموسكو، وحصلت على معلومات عنه، حتى لقد اطلعت على أشياء حسنة جدا في حقه وقد زارها الأمير، فأحدث في نفسها أثرا يكاد يكون خارقا ذلك أمر يراه المرء من مجرد أنها دعته أن يزورها كل يوم ساعة أو ساعتين، وأنه يزورها فعلا بانتظام، وأنها لم تضجر منه حتى الآن، بهذا ختمت الجنرالة كلامها وأضافت اليه أن الأمير أصبح بفضل العجوز، يستقبل في أسرتين أو ثلاث من أرقى الأسر حسن أنه لا يبقى معتكفا في بيته كناسك، وأنه لا يظهر خجولا كغبي حين اطلعت الأم بناتها على هذه الأمور، لاحظن أنها أخفت عنهن مع ذلك كثيرا من فقرات الرسالة ولعلهن عرفن هذا من باربارا آرداليونوفنا التي تستطيع أن تعرف بل تعرف حتى كل ما يعرفه بتسين عن الأمير بموسكو؛ وبتسين لا بد أن يعرف أكثر مما يمكن أن يعرف أي شخص آخر لكنه رجل متكتم أشد التكتم في شئون الأعمال، وأن يكن يطلع فاريا على بعض الأمور طبيعة هكذا سرعان ما تفاقم شعور العداوة الذي تحمله الجنرالة لباربارا آردالينوفنا ومهما يكن من أمر، فقد تكسر الجليد أصبح يمكن التحدث عن الأمير جهارا على حين فجأة وعدا ذلك تأكد تأكدا واضحا، مرة جديدة، أن مرور الأمير بمنزل أسرة اباتشين قد أحدث انطباعا خارقا وولد اهتمام شديدة حتى الجنرالة أدهشها الأثر الذي خلفته في بناتها أنباء موسكو أما البنات

فقد أدهشهن أن أمهن التي سبق أن أعلنت لهن جهارا أنأبرز سمة في حياتها هي أنها تخدع في أمر الناس دائمة،، لم يمنعها ذلك من أن تعهد بالأمير في موسكو إلى حسن رعاية العجوز بيلو كو نسكايا، ذات السلطة الكبيرة، لا سيما وأنها قد اضطرت حتما أن تتضرع اليها، لأنالعجوز، امرأة ليس اقناعها بالأمر السهل ولكن ما أن تكسر الجليد، وما أن دارت الريح حتى أسرع الجنرال هو أيضا، يذكر ما كان يعلم ولكنه اقتصر على جانب الأعمال من الأمر، اقتصر على هذا الجانب وحده دون غيره فاتضح أنه، في سبيل مصلحة الأمير، قد كلف شخصين من موسكو، هما أهل للثقة ومن أصحاب النفوذ الكبير في الوقت نفسه، بأن يسهرا على الأمير، وأن يسهرا خاصة على وكيله سالازكين أن كل ما قيل عن الميراث أو قل عن «أن هناك ميراثا، قد اتضح أنه صحيح، لكن مقدار الميراث أصبح في الحساب الأخير أقل كثيرا مما ظن في بداية الأمر فلقد كانت التركة مضطربة متشابكة، وكانت مثقلة بالديون، كما أن ورثة أدعياء تقدموا يطالبون بحقوقهم في الميراث؛ والأمير نفسه تصرف تصرفا بعيدا عن تصرف رجل من رجال الأعمال، رغم جميع النصائح التي أسديت اليه كان الله في عونه، طبعا، لقد أصبح الجنرال، بعد أن انكسر جليد الصمت، يسعده أن يقول هذا الكلام باخلاص كامل، ذلك أن هذا الشاب رغم أنه قليلا، يستحق كل خير لكنه قد ارتكب بعض

الحماقات من ذلك مثلا أن الذين ادعوا أن لهم على التاجر المتوفي ديونة قد أبـرزوا للمطالبة بحقوقهم مستندات يمكن انكارها أو اهمالها، حتى أن بعضهم لم يبرزوا أية وثائق على الاطلاق، لأنهم أدركوا حقيقة الأمير وحزروا طبيعته فهل تصدقون ماذا حدث؟ لقد أرضاهم الأمير كلهم تقريبا، رغم ملاحظات أصدقائه الذين برهنوا له على أن هؤلاء الناس ليس لهم أي حق شرعى ولكنه فعل ذلك لأنه ظهر أن بعضهم قد أصابه ضرر بالفعل وقد أكدت الجنرالة أن الأميرة بيلوكونسكايا قد كتبت اليها شيئا بهذا المعنى، وأن ذلك غباء طبعا، غباء شديد، ولكن لا سبيل إلى شفاء رجل أبله هذا ما أضافته الجنرالة بلهجة قاطعة، وان يكن وجهها قد فضح رضاها عن سلوك الأبله، المزعوم، وارتياحها له الخلاصة أن الجنرال لاحظ أن امرأته مهتمة بالأمير حتى لكأنه ابنها، وأنها من جهة أخرى تبدي لابنتها أجلايا عاطفة كبيرة وحنانا عظيما فلما رأى ذلك اتخذ الوضع الذي يليق اتخاذه في الأمور الهامة، إلى حين لكن هذه الحالة النفسية الحسنة لم يطل عمرها أيضا فما ان انقضت خمسة عشر يوما حتى حدث تغير مفاجيء آخر فأظلم وجه الجنرالة من جديد، أما الجنرال فانه بعد أن هز منكبه مرتين أو ثلاثا عاد يرضخ الجليد الصمت وجلية الأمـر أن الجنرال كان قد تلقى قبل أسبوعين خبرا سريا مقتضبا لكنه مؤكد، يقول ان ناستاسيا فيليبوفنا التي كانت قد

اختفت في موسكو ثم عثر عليها روجويين، قد اختفت مرة أخرى ثم اهتدى اليها روجويين مرة ثانية فوعدته بأن تتزوجه وها هو ذا الجنرال يعلم بعد ذلك بأقل من أسبوعين أن ناستاسيا فيلسوفنا قد هربت مرة ثالثة، قبيل مثولها مع روجويين أمام الكاهن في الكنيسة للزواج، وأنها الآن مختبئا بمكان ما في الأقاليم؛ وأن الأمير ميشكين قد اختفى هو أيضا، تاركا جميع شئونه لوكيله سالازكين، وفاما أنه سافر معها واما أنه مضى يلاحقها، فذلك أمر مجهول، ولكن لا بد أن هناك شيئا ذلك ما استنتجه الجنرال وقد تلقت اليزابت برو كوفيفنا، هي أيضا، أنباء مزعجة الخلاصة أن الناس بمدينة بطرسبرج أصبحوا بعد سفر الأمير بشهرين لا يجيئون على ذكره الا لماما، أما أسرة ايبانتشين فان جليد الصمت، لم يتكسر فيها بعد ذلك ولكن باربارا آرداليونوفنا واصلت زياراتها للأنسات واذا تركنا الآن جميع تلك الشائعات وجميع تلك الأنباء، وجب علينا أن نذكر أن سلسلة من التغيرات قد حدثت في أسرة ايبانتشين عند اقتراب فصل الربيع، وهي تغيرات لم تسمح للأسرة كثيرا أن تفكر في الأمير لاسيما وأن الأمير لم يدل على وجوده، ولعله لم يشأ أن يدل على وجوده ففي أثناء الشتاء تقرر شيئا فشيئا أن تسافر الأسرة القضاء الصيف في الخارج، أعني أن تسافر اليزابت برو كوفيننا وبناتها، لأن الجنرال لا يستطيع طبعا أن يجيز لنفسه تضييع وقته في تسليات لا

طائل فيها ولا جدوى منها وقد تم اتخاذ هذا القرار بعد الحاح شديد واصرار مستمر من قبل الاخوات الثلاث اللواتي كن على يقين من أن أبويهما اذا لم يوافقا على قيامهن برحلة إلى الخارج، فانما يكون مرد ذلك إلى اهتمامهما الدائم بتزويجهن والبحث لهن عن عرسان ولعل الأبوين قد اقتنعا من جهتهما بأن العرسان يمكن أن يتقدموا في الخارج أيضا، وبأن رحلة يقمن بها في الصيف لا تعطل شيئا، حتى لقد تسهل الأمور ويحسن أن نذكر هنا أن الزواج الذي كان مزمعا أن يتم بين آتانازى ايفانوفتش توتسكى وكبرى بنات ايبانتشين قد انفسخ من تلقاء نفسه، وأن توتسكى لم يتقدم بأي طلب رسمي في خطبة الفتاة ولقد تم ذلك على نحو طبيعى جدا، دون مناقشات كثيرة، ودون أي صراع في داخل الأسرة؛ كل ما هنالك أن أحدا أصبح لا يجيء على ذكر هذا الموضوع بعد سفر الأمير، لا من هذا الطرف ولا من ذاك ولا شك أن هذا كان أحد أسباب الجو الثقيل الذي خيم على منزل أسرة ابانتشين، وان تكن الجنرالة قد أعلنت منذ تلك اللحظة أنها مستعدة أنترسم اشارة الصليب بكلتا يديها حمدا لله وشكرا، أما الجنرال فانه رغم اعترافه بصحة الأخذ التي كانت تأخذها عليه امرأته، ورغم اعترافه بأنه مخطىء مذنب، قد ظل معتكر المزاج متجهم النفس مدة طويلة، لأنه كان أسفة على أتانازى ايفانوفنا حقا ثروة طائلة كهذه الثروة، ورجل بارع هذه البراعة، وعلم الجنرال بعد

ذلك بمدة قصيرة أن آتانازى ايفانوفتش قد أغوته امرأة فرنسية من المجتمع الراقي كانت مارة بالبلاد، وهي مركيزة من أنصار الشرعية، وأن الزواج قد حدد موعده، وأن المركيزة ستأخذ أتانازى ايفانوفتش الى باريس أولا، ثم إلى مكان بمقاطعة بروتانيا بعد ذلك قال الجنرال يتزوج فرنسية؟ لقد ضاع اذن كان آل ايبانتشين يهيئن اذن رحلة الصيف غير أن حدثا جديدة جاء يغير كل شيء على حين فجأة، فيتأجل السفر مرة أخرى، ويفرح الجنرال وزوجته من ذلك فرحا كبيرا أن أميرا اسمه د شتش وهو شخصية معروفة، معروفة بأحسن الصفات، قد وصل إلى بطرسبرج قادما من موسكو انه واحد من أولئك الرجال المثقفين ثقافة حديثة، الفعالين النشيطين الشرفاء المستقيمين، المتواضعين الذين يريدون أن يكونوا نافعين بكل صدق واخلاص، والذين يعملون بغير انقطاع، ويتميزون بذلك الاستعداد النادر الثمين لأن يستعملوا نشاطهم دائما انه لا يحاول أبدا أن يضع نفسه في مقدمة الناس ويتحاشى ما يقوم بين الأحزاب من اضطراب عقيم وبلاغة لا طائل تحتها؛ ولا يعد نفسه بين رجال الصف الأول، ولكنه كان مع ذلك يدرك دلالة الأحداث الجارية والتبدلات القائمة ادراكا سليما كان في أول الأمر موظفا بالدولة، ثم شارك في جهاز الحكم المحلى زمتون وكان الى ذلك عضوا مراسلا في عدة جمعيات علمية روسية، وكان له في هذا المجال شأن محترم وقد ساهم،

متعاونا مع مهندس من أصدقائه، في رسم مسار سليم لواحد من أهم خطوط سككنا الحديدية التي كان تنفذها في ذلك الحين ان عمره خمسة وثلاثون عاما وهو ينتمي إلى أرقى طبقة في المجتمع، ويملك ثروة ممتازة، متينة، لا يمكن جحودها، على حد تعبير الجنرال نفسه الذي أتيح له بمناسبة عمل من الأعمال الهامة أن يلتقي بالأمير عند الكونت، رئيسه في سلم الوظيفة ومن غرائب طبع الأمير أنه كان لا يتحاشى أبدا أن تكون له اتصالات برجال الأعمال، الروس وقد اتفق أن تعرف أيضا إلى أسرة الجنرال فأحدثت فيه آديلائيد ايفانوفنا، البنت الوسطى من بنات الجنرال، أثرا قويا فلما كان مطلع الربيع أعلن رغبته في زواجها وقد أعجبت به اليزابت بروكوفيفنا ورضيت عنه وكان طبيعيا أن تأجلت الرحلة وعين للزواج موعد في الربيع وكان يمكن أن تتم الرحلة في وسط الصيف أو في نهايته، ولو نزهة تقوم بها الأم اليزابت برو كوفيفنا وابنتاها اللتان تبقيان لها، لولا أن شيئا جديدا آخر قد حدث ففي نهاية الربيع وكان زواج آديلائيد قد تأخر وتأجل إلى منتصف الصيف أدخل الأمير شتش، إلى منزل أسرة ايبانتشين شابا يمت اليه بقرابة بعيدة، لكن بينه وبينه معرفة قوية هو شاب اسمه يوجين بافلوفتش ر ، في نحو الثامنة والعشرين من العمر، ضابط من ضباط الامبراطور، يتمتع بحظ كبير من الجمال، ينتمي إلى سلالة شهيرة، وينعم عدا ذلك بأنه مرهف

الفكر، مرح الطبع، لامع، عصرى، مثقف ثقافة نادرة، ويملك ثروة طائلة ولكن الجنرال يرتاب دائما فيما يتعلق بهذه النقطة الأخيرة لذلك راح يستطلع حقيقة الأمر، فانتهى إلى أن إلى الشاب غنى حقا فيما يظهر، ولكن لا بد من مزيد من التحقق والتثبت، وعدا ذلك فان هذا الضابط الذي ينتظر له «مستقبل عظيم، قد كتبت العجوز بيلو كوسكايا من موسكو توصى به خيرا، وتكيل له مديحا كبيرا كل ما هنالك أن سمعته كانت تشوبها شوائب صغيرة: علاقات غرامية وغزوات، قام بها الشاب فحطم بعض القلوب الحساسة، فيما يقال فحين رأي الشاب آجلايا أصبح يلازم منزل آل اباتشين ملازمة شديدة ولئن لم يقل شيئا حتى الآن، ولو في صورة تلميح، فان الأبوين أصبحا يعتقدان أنه لا مجال للتفكير في السفر إلى الخارج هذا الصيف أما آجلايا، فلعلها كانت ترى رأيا آخر ذلك كله حدث قبل عودة بطل قصتنا إلى المسرح كانت الظواهر الخارجية تدل على أن الأمير المسكين ميشكين كان قد نسيها أهل بطرسبرج في تلك الفترة نسيانا يكاد يكون تاما، فلو خطر بباله أن يعود إلى الظهور بين أولئك الذين كانوا يعرفونه، لبدا كالهابط من السماء بقى علينا مع ذلك أن نروى واقعة من الوقائع قبل أن نفرغ من هذه المقدمة بعد سفر الأمير، بقى كوليا ايفولجين يعيش كما كان يعيش في الماضي، فهو يذهب إلى المدرسة، ويتردد على صديقه هيبوليت، ويعتني

بأبيه، ويساعد فاريا في أعمال البيت أي يشتري لها ما يجب شراؤه من السوق غير أن المستأجرين قد تبعثروا بسرعة: فردشتينكو ترك المنزل بعد أحداث سهرة ناستاسيا فليوفنا بثلاثة أيام، وسرعان ما غاب عن الأعين، فليس يراه أحد، وليس يسمع عنه أحد شيئا كل ما هنالك أنه كان يقال عنه، ولكن بغير جزم أو قطع، انه كان يسكر في مكان ما وبرحيل الأمير رحل عن البيت آخر مستأجر فلما تزوجت فاريا بعد ذلك مضت نينا ألكسندروفنا ومضى جانبا يسكنان عندها في منزل بتشين بحى اسماعيلوفسكى أما الجنرال ايفولجين فقد حدث له في تلك الفترة نفسها تقريبا حادث لم يكن في حسبانه قط: لقد أودع السجن بسبب ديون عليه ذلك أن صديقته أرملة الكابتن طالبت بسداد سندات تصل قيمتها إلى ما يقرب من ألفي روبل، وهي سندات كان الجنرال قد وقعها لها في فترات مختلفة وقد دهش الجنرال من ذلك دهشة هائلة لا شك أن الجنرال المسكين قد وقع ضحية ايمانه العظيم بنبل القلب الأنسانى لقد ألف تلك العادة المطمئنة، وهي أن يوقع سندات كيفما اتفق، فلم يخطر بباله أن في الإمكان أن تستعمل هذه السندات في يوم من الأيام كان يظن أن الأمور تقف عند حدود توقيع السندات ولكن هذا الحادث خيب آماله وبدد أوهامه فكان يهتف قائلا وقد جلس إلى مائدة مع أصدقاء جدد في سجن تاراسوف أمام زجاجة خمر وهو يحدثهم عن حصار كارس،

وعن قصة الجندي الذي بعث من الموت حيا، كان يهتف قائلا: فكيف يثق المرء بالناس بعد هذا، كيف يمحضهم ثقته النبيلة؟ والحق أنه كان يعيش في السجن حياة مريحة ممتعة جدا حتى لقد كان بتسين وفاريا يقولان أنه وجد هنالك مكانه الملائم له، وكان جانبا يشاطرهما هذا الرأي تماما ان المسكينة نينا ألكسندروفنا وحدها كانت تبكي بكاء مرة على غير مرأى من أحد وكان ذلك يثير دهشة أفراد أسرتها، وكانت رغم مرضها المستمر تجر نفسها كلما أمكنها ذلك، فتخرج من حي اسماعلوفسكى، وتمضي تـزور زوجها ولكن منذ حادثة الجنرال، على حد تعبير كوليا، أو منذ زواج فاريا على وجه العموم، أفلت كوليا من سلطة أسرته افلاتا يكاد يكون تاما، حتى لقد بلغ من ذلك أنه أصبح لا يعود الى البيت للميت الا نادرا كان يقال أنه قد عقد صلات جديدة كثيرة، وأنه عدا ذلك اكتسب شهرة كبيرة في سجن المدنين فكانت نينا ألكسندروفنا لا تستطيع الاستغناء عنه أثناء زياراتها لزوجها في السجن وكف أهله في البيت عن مساءلته ولو من باب حب الاطلاع وأن فاريا التي كانت من قبل قاسيا في معاملته أشد القسوة، أصبحت لا تلقي عليه الآن أي سؤال عن غيابه أما جانيا فكان في بعض الأحيان وهذا ما أثار دهشة ذويه يثرثر معه بمودة كبيرة، رغم كآبته وسوداويته، وذلك أمر لم يسبق أن حدث في الماضي قط، لأن جانبا المعتز بعمره البالغ سبعة وعشرين عاما كان

لا ينتبه أي انتباه بشوش إلى أخيه الذي لا تتجاوز سنه الخامسة عشرة، بل كان يعامله معاملة خشنة، ولا يطلب من الأسرة كلها الا أن تكون قاسية معه، ولا يفتأ يهدد بأنه سيشد له أذنيه، فكان هذا يخرج كوليا عن حدود قدرة الإنسان على الصبر والاحتمال، أما الآن ففي وسعنا أن نقول ان كولا يكاد يكون في بعض الأحيان حاجة ماسة لأخيه لا غنى له عنها وكان كوليا قد فاجأه من جانبها انه رد المال، وكان لذلك مستعدا لأن يغفر له أشياء كثيرة بعد سفر الأمير بثلاثة أشهر، عرفت أسرة ايفوطين أن كوليا قد تعرف على أسرة ايبانتشين، بل وأن الآنسات يحسن استقباله كثيرا لقد علمت فاريا النبأ بسرعة، رغم أن كولا لم يعتمد على وساطتها للتعرف على أسرة ايبانتشين وانما تولى تقديم نفسه بنفسه وشيئا فشيئا أحبته الآنسات ايبانتشين ونظرت اليه الجنرالة في أول الأمر نظرة شزراء، لكنها أخذت تحبه هي أيضا حين عرفتأنه صريح وأنه لا يداهن ولا يتملق، فأما أن كولا كان لا يحاول أن يتملق أحدا فذلك أمر صحيح كل الصحة وقد عرف كيف يضع نفسه في موضع الند، وفي موضع المستقل؛ ولئن كان يقوم أحيانا بقراءة بعض الروايات أو المجلات الجنرالة، فما ذلك الا لأنه كان فتى خدوما على الدوام على أنه قد تشاجر مع اليزابت برو كوفيفنا تشاجرا قاسيا، مرة أو مرتين، فنعتها بأنها مستبدة طاغية، وأعلن لها أنه لن يضع قدمه في منزلها بعد الآن فأما المرة الأولى

فكانت بسبب قضية المرأة،، وأما المرة الثانية فكانت بمناسبة هذه المشكلة أي الفصول أنسب لاصطياد البلابل ومهما يبد لكم الأمر غريبا، فان الجنرالة قد أرسلت اليه غداة غد خادما يحمل اليه منها رسالة ترجوه فيها أن لا يتخلف عن المجيء اليها فلم يعاند كوليا، وجاء اليها في الحال كانت أجلايا وحدها لا يسرها وجوده كثيرا لا يدري أحد لماذا؟

وكانت تنظر اليه من عل ومع ذلك كان مكتوبا عليها أن تحدث لها على يديه هو مفاجأة ففي ذات يوم وكان ذلك في أسبوع عيد الفصح انتهز كوليا فرصة اختلائه بها لحظة، فمد اليها رسالة كان قد طلب منه أن ينقلها اليها بنفسه دون واسطة، فتسلمتها منه بيدها ذاتها ألقت آجلايا نظرة تهديد على هذا الفتى الوقح ولكن كوليا خرج دون أن ينتظر حدوث شيء آخر غير ذلك وفضت الفتاة الرسالة فقرأت ما يلي: لقد أولتني شرفا عظيما في ذات يوم، حين وثقت بى واطمأننت الى ولعلك نسيتى الآن نسيانا تاما فلا أدري كيف تجرأت على أن اكتب اليك هذه الكلمة لكنني أحسست برغبة لا تقاوم في أن أذكرك بى، أن أذكرك أنت خاصة مرارا كثيرة كان يمكن أن تنفعتني كثيرا أنت وأختاك، لكنك كنت أنت الوحيدة التي أراها بخيالى منكن اننى في حاجة ماسة اليك أنت لي ضرورة لازمة، لازمة جدا ليس

هناك ما أطلبه منك، ولا ما أرويه لك عني وليس هذا ما كان يمكن أن يحضنى على الكتابة اليك ولكن أقوى رغبة تجيش في نفسي هي أن أعلم أنك سعيدة، فهل أنت سعيدة؟ ذلك هو كل ما أردت أن أقوله لك ابن عمك: الأمير ميشكن بعد أن قرأت أجلايا هذه الرسالة القصيرة المضطربة الخالية من الانسجام، احمرت فجأة، ولبثت مطرقة تفكر يصعب علينا أن نتابع مجرى خواطرها لقد طرحت على نفسها هذا السؤال، فيما طرحت من أسئلة أخرى: هل أطلع أحدا على هذه الرسالة؟ وأخيرا رمت الرسالة في درج منضدتها، بينما انت شفتاها على ابتسامة ملغزة ساخرة وفي الغد تناولت الرسالة مرة أخرى ودستها في كتاب ضخم مجلد تجليدا سميكا هذا ما كان تفعله دائما بالأوراق التي تحب أن تهتدى اليها بسرعة وانقضى أسبوع قبل أن يخطر ببالها أن تنظر في عنوان الكتاب: دون كيشوت دولامانش، لا ندري لماذا جعلها هذا العنوان تنفجر ضاحكة لا ولا ندري هل أطلعت أختة من أختيها على الرسالة ولكنها حين أعادت قراءة الرسالة ومض في ذهنها سؤال: هل يعقل أن يختار الأمير هذا الصبى الوقح المتغطرس رسولا، وربما رسولا وحيدا؟ وسألت عن هذا الأمر كوليا، مع استمرارها على مخاطبته بتعال وخلاء ولكن الصبي، على سرعة تأذيه في العادة، لم يلق بالا إلى هيئة الاحتقار التي ظهرت على آجلايا وشرح لها باختصار، وبشيء من الجفاف أو

الخشونة، أنه قد أعطى الأمير عنوانه استعدادا للمصادفات، وأنه عرض عليه خدماته، وذلك قبل أن يغادر الأمير بطرسبرج، ولكن هذه المهمة هي مع ذلك المهمة التي كلفه بها الأمير، وأن هذه الرسالة هي الرسالة الأولى التي تلقاها منه ومن أجل أن يبرهن كوليا على صحة قوله، أظهرها على الرسالة التي وجهها الأمير اليه شخصية فلم تتحرج آجلايا أي تحرج من قراءة هذه الرسالة التي كان نصها ما يلي عزيزى كوليا، أرجو أن تسلم اجلايا ايفانوفنا الرسالة المختومة المرفقة وأتمنى لك صحة جيدة، ولك أخلص العاطفة من صديقك: الأمير ميشكين قالت اجلايا بلهجة الأسف وهي ترد الرسالة إلى كوليا: انه لشيء مضحك مع ذلك أن يمنح مثل هذا الصبي كل هذه الثقة ثم ابتعدت وقد لاحت في وجهها علامات احتقار كان ذلك أكثر مما يستطيع أن يطيق كوليا الذي استعار لهذه المناسبة من جانيا منديله الأخضر الجديد دون أن يشرح له السبب فأحس بالاهانة احساسا قاسيا.

الفصل الثاني

نحن الآن في مطلع يونيه: الجو في بطرسبرج رائع منذ أسبوعين ان اسرة ايبانتشين تملك في بافلوفسك فيللا مترفة أنيقة أخذت اليزابت بروكيفوفنا تتحرك وتسعى بكل قوة على حين فجأة لتذهب إلى هناك فما انقضى يومان الا وقد تم الانتقال وبعد هذا السفر بيوم أو يومين وصل الأمير ليون نيقولا يفتش ميشكين من موسكو بقطار الصباح لم يجيء إلى المحطة أحد لانتظاره واستقباله، لكنه حين نزل من حافلة القطار خيل له فجأة أنه يميز في الجمهور المحتشد حول المسافرين عينين ملتهبتين كانتا تتفرسان فيه تفرسا غريبا حاول أن يعرف مصدر تلك النظرة، لكنه لم يميز بعدئذ شيئا لعل ذلك لم يكن الا وهما، لكن هذا الوهم قد ترك في نفسه أثرا مزعجا، ولم يكن الأمير في حاجة إلى هذا ليكون حزينا مهموما مغموما كان ثمة شيء يبدو أنه يشغل باله ويقلق نفسه ركب عربة أقلته إلى فندق غير بعيد عن شارع ليتانيايا فاستأجر في ذلك الفندق الذي لم يكن باهر المنظر، استأجر غرفتين صغيرتين معتمتين سيء أثاثهما وأسرع يغسل يديه ووجهه، ويبدل ثيابه دون أن يطلب شيئا، وخرج

متعجلا كمن يخشى أن يضيع وقتة أو أن تفوته زيارة لو أن شخصا من الأشخاص الذين عرفوه قبل ستة أشهر، يوم وصوله إلى طرسبرج، لو أن شخصا من أولئك الأشخاص رآه في تلك البرهة، للاحظ تحسنا ملحوظا واضحا في مظهر الأمير ولكن ذلك لم يكن من الأمر الا ظاهره فحسب ان ملابسه وحدها قد تغيرت تغيرا كاملا: أن رداءه الآن قد أعده له خياط من أحسن الخياطين بموسكو ومع ذلك كان يعيب هذا الرداء أنه مسرف في الانقياد للموضة ذلك دائما شأن الخياطين الذين يملكون من حسن الادارة أكثر مما يملكون من رهافة الذوق، لا سيما بالنسبة إلى شخص لا يفهم من أمور الزينة شيئا فلو رآه ملاحظ ميال إلى السخرية لاستطاع اذا هو أنعم النظر في الأمير أن يجد فيه ما يبعث على الضحك والاستهزاء ولكن ما أكثر الأشياء التي يمكن أن تبعث على الضحك والاستهزاء ركب الأمير عربة وأمر الحوذي بأن يقوده إلى حي الرمال، وسرعان ما اهتدى هنالك في أحد شوارع مجموعة رودجستفنسكي إلى العنوان الذي كان يبحث عنه ويسعى اليه: انه بيت صغير من خشب، بيت لطيف المظهر، أدهشته نظافته والعناية به، تحيط به حديقة مزروعة أزهارا، نوافذه المطلة على الشارع مفتوحة، ومن خلالها يسمع صوت حاد يكاد يكون صارخا هو صوت رجل يبدو أنه يقرأ كتابا أو يلقي خطابا والصوت تقطعه انفجارات ضحك من حين إلى حين دخل الأمير

فناء البيت، وصعد درجات المدخل، ودق الباب، ففتح له، فسأل عن السيد ليديف قالت طباخة مشمرة الأكمام إلى الكوعين، وهي تومىء بيدها إلى مدخل الصالون: هو ذا ان هذا الصالون، المغطاة جدرانه بورق أزرق قاتم، كان معتني بنظافته، بل كان فيه شيء من اسراف في التأنق:

يتألف أثاثه من مائدة مستديرة؛ وديوان؛ وساعة برونزية ذات نواس، تحت غطاء من زجاج؛ ومرآة ضيقة مثبتة في الحائط؛ وثريا صغيرة قديمة تتدلى فيها قطع الكريستال، معلقة بالسقف بسلسلة من برونز في وسط تلك الغرفة كان يقف السيد لييديف بنفسه، مديرا ظهره الى الباب الذي دخل منه الأمير، مرتديا قميصة بغير سترة من شدة الحر، متدفقا في حديث مسهب بلهجة عاطفية وهو يلطم صدره وكان سامعوه فتى في الخامسة عشرة من عمره يقظ الهيئة فطنا ذكيا، قد أمسك بيده كتابا؛ وفتاة في نحو العشرين من عمرها ترتدي ملابس الحداد وعلى ذراعها طفل صغير؛ وبنية في الثالثة عشرة ترتدي ثياب الحداد أيضا وتضحك ملء حلقها؛ ثم شخصية غريبة مستلقية على الديوان: انه فتى في نحو العشرين من عمره، حسن الهيئة وسيم الطلعة اسمر اللون طويل الشعر كثيفه، واسع العينين أسودهما، وعلى وجهه زغب خفيف بمثابة لحية وعارضين

وكان يبدو على هذا الفتى أنه ما ينفك يقاطع خطاب ليديف ليعارضه، وعن ذلك انما كانت تنشأ نوبات الضحك لدى جمهور المستمعين في أغلب الظن لوكيان تيموفنتش لوكيان تيموفتش عجيب أمرك هلا نظرت من هنا آه على كل حال، افعل ما يحلو لك وخرجت الطباخة محمرة الوجه غضبا، وهي تحرك ذراعيها بحركة العجز والتفت ليبديف، فلما رأى الأمير، ظل مبهوتا خلال بضع لحظات ثم أسرع نحوه مبتسم ابتسامة ذليلة، لكنه توقف عند العتبة من جديد، متجمدا من الدهشة، وتمتم يقول: صاحب السمو الأمير وفجأة، وكأنه ما يزال عاجزا عن السيطرة على نفسه وامتلاك زمام ارادته، استدار على عقبيه واندفع نحو الفتاة التي ترتدي ملابس الحداد وتحمل على ذراعيها طفلا صغيرا، اندفع نحوها بلا سبب ظاهر، فتقهقرت الفتاة إلى وراء، أمام هذه الهجمة التي لم تكن في الحسبان لكنه سرعان ما تحول عنها، وأخذ يتهجم على البنية التي عمرها ثلاثة عشر عاما، والتي ما تزال عاجزة عن أن تسيطر على ضحكها أو أن تلجمه؛ فلم تملك أن تحتمل صراخه ففرت الى المطبخ بوثبة واحدة وخبط ليبديف الأرض بقدمه ليروعها مزيدا من الترويع، ولكنه حين التقت نظرته بنظرة الأمير الذي كان خجلا أشد الحجل، قال شارحا: ذلك للاحترام هيء هيء فبدأ الأمير يقول: انك لتخطيء جدا اذ لكن ليديف لم يمهله لاتمام كلامه، بل قاطعه يقول: حالا،

حالا، بسرعة الريح وغاب ليديف من الغرفة مسرعا أخذ الأمير يتأمل الفتاة والصبي والشخصية المضطجعة على الديوان مدهوشة لقد كانوا جميعا يضحكون فأخذ يضحك مثلهم قال الفتى: ذهب يرتديالفراك،. قال الأمير: ما أكثر ما يضايقني هذا كله لقد كنت أعول على ولكن قل لي:

ـ أهـو مثلا. سـكران؟ تريد أن تسأل أهـو سـكران؟ لا، ما هو بالسكران البتة كل ما في الأمر أنه أنه شرب ثلاث كئوس، أو أربعا، وربما خمسة، حتى لا يخل بالقاعدة لا أكثر كذلك صاح صوت انطلق من على الديوان وقد هم الأمير أن يجيب المتكلم، ولكن سبقته الفتاة التي كان وجهها الحلو الجميل يعبر عن أكبر الصراحة قالت: انه لا يشرب كثيرا في الصباح قط فاذا أردت أن تكلمه في أعمال، فافعل هذا هو الوقت المناسب أما حين يعود إلى البيت مساء، فانه يكون ثملا في بعض الأحيان وقد أصبح يتفق له الآن، ولا سيما في الليل، أن يطفق يبكي، ثم يأخذ يقرأ لنا في الكتاب المقدس بصوت عال، لأن أمنا ماتت منذ خمسة أسابيع قال الفتى الراقد على الديوان لأن يهرب فلأنه يصعب عليه أن يجيبك أراهن أنه الآن يحاول أن يخدعك ويضلك، وأنه الآن بسبيل اجترار الضربة التي يهيئها لك منذ خمسة أسابيع ماتت، منذ خمسة أسابيع فقط كذلك صاح يقول ليبديف وقد

عاد الى الصالون مرتديا الفراك؛ وطرفت عيناه، وأخرج من جيبه منديلا يجفف به دموعه وأردف يقول: يتامى انهم يتامى قالت الفتاة: ما هذا يا بابا؟ لماذا ارتديت رداء مهترئا مثقبا؟ ان عندك هناك، وراء الباب، رد نجوتا جديدا أما رأيته اذن؟ اسكتى يا جرادة أهذه أنت؟ قال ليبديف ذلك وخبط الأرض بقدمه ليخيفها، لكنها في هذه المرة لم تزد على أن ضحكت، وقالت: لماذا تحاول أن تخيفني؟ أنا لست تانيا لن أهرب اسمع سوف توقظ ليوبوتشكا، وسوف تعاودها تشنجات علام هذا الصراخ؟ صاح ليبديف يقول بحركة رعب مفاجئة: دعي لسانك ملتصقا بسقف حلقك، فلا تحركيه ثم اسرع نحو الطفلة التي كانت نائمة على ذراعى الفتاة، فرسم عليها اشارة الصليب عدة مرات وهو زائغ الهيئة وقال: احفظها يا رب صنها يا رب أحمها يا رب ثم أضاف يقول متجها إلى الأمير هذه الطفلة هي ليوبوف، ابنتي انا ولدت لي بزواج شرعى جدا من امرأتي هيلينا التي ماتت أثناء الوضع وهذه الطائر اللقلق هي ابنتى فيرا، ترتدي ملابس الحداد أما هذا أما هذا أوه فهذا لماذا تقطع كلامك؟ أكمل لا تضطرب هتف لديف قائلا بحماسة: ياصاحب السمو، هل تابعت في الجرائد أنباء قاتل أسرة جيرامين؟ فأجابه الأمير مدهوشان نعم فهذا هو قاتل أسرة جيرامين بنفسه هذا هو بعينه قال الأمير: ما معنى هذا الكلام؟ فأجاب ليديف: لنتفاهم: أنا أتكلم بطريقة الرمز والكناية أريد أن

أقول أنه هو القاتل المقبل لأسرة جيرامين أخرى، اذا وجدت أسرة جيرامين أخرى انه يستعد لهذه الجريمة أخذ الجميع يضحكون، وخطر ببال الأمير أن ليديف لعله كان يسترسل في هذه التهريجات لأنه كان يتنبأ بأسئلة يلقيها عليه الأمير فلا يعرف بماذا يجيب عنها، فهو اذن يريد ارجاء الأمر وكسب الوقت صرخ ليديف يقول بلهجة رجل أصبح لا يسيطر على نفسه: ان هذا الفتى ثائر متمرد مدبر مؤامرات هل في وسعي أنا أن أعد لسان الأفعى هذا، أن أعد هذا الزاني، أن أعد هذا الشيطان الرجيم، ابنة لأختي آنيسيا؟ ابنة وحيدة لأختى آنيسيا؟

ـ اخرس ايها السكير هل تصدق يا أمير أنه قد وضع في رأسه الآن أن يصبح محامية انه يريد أن يتعلم مهنة المماحكة، ويتمرن على البلاغة والفصاحة، حتى اذا كلم أولاده كلمهم بلهجة الخطابة منذ خمسة أيام ترافع في محكمة الصلح . ترافع لمصلحة من؟ أن امرأة عجوزة كانت قد ناشدته أن يحامى عنها ضد مراب نذل سلبها خمسمائة روبل هي كل ما تملك فهل دافع عن المرأة العجوز؟ لا وانما ترافع لمصلحة المرابى، وهو يهودي اسمه سايدلر، لأن هذا الرابى وعده بخمسين روبلا.

صحح ليبديف كلام ابن اخته قائلا بصوت تبدل الآن تبدلا تاما،

فكأنه لم يصرخ منذ هنيهة: خمسين روبلا اذا ربحت القضية؛ أما اذا خسرتها فخمسة روبلات فحسب وقد أخفق طبيعة أن القضاء اليوم غير ما كان بالأمس انهم لم يزيدوا على أن ضحكوا منه هذا لا ينفي أنه ظل معتزة بمرافقته اعتزازة كبيرة اسمع ماذا قال في المرافعة:سادتي القضاة النزيهين تصوروا أن موكلى، وهو شيخ مسكين كسيح يعيش من عمل شريف، تصوروا أن موكلى هذا هو الآن بسبيل أن يفقد آخر لقمة خبز تذكروا الأقوال الحكيمة التي قالها المشرع: واحكموا بين الناس بالرحمة، فهل تصور أنه يلقي على مسامعنا هذه المرافعة في كل صباح كما ألقاها هناك؟ اننا نسمعها اليوم خامس مرة كان يرددها لحظة وصولك منذ برهة فالى هذه الدرجة هو مفتون بها يتلوها ويتلمظه وهو يستعد الآن للدفاع عن مو كل آخر من هذه الطينة نفسها أنت الأمير ميشكين، فيما أظن، ألست الأمير ميشكين؟ لقد حدثني عنك كوليا كثيرا، وقال انه لم ير في حياته رجلا أذكى منك فقال ليديف مؤيدا:

ـ نعم نعم، ليس في العالم رجل أذكى منه هذا كاذب كوليا يحبك صادقا، أما هذا فهو يمسح ظهرك لينال حظوتك وأنا لا انتوى البتة أن أتملقك، تستطيع أن تصدقني ولكنك لا يعوزك الحس السليم: فاحكم بيني وبينه واتجه الشاب المستلقي على الديوان إلى خاله

يسأله: هيه ما رأيك في أن يفصل في قضيتنا الأمير؟ لقد أراحني جدا أنك جئت يا أمير قال ليديف بلهجة قاطعة، وهو يلقي نظرة بغير ارادة منه على الجمهور، الذي عاد يتحلق حوله: قال الأمير مقطبا حاجبيه: ما المسألة؟ لقد كان الأمير مصابا بصداع فعلا، ولكنه كان عدا ذلك يزداد اقتناعة، لحظة بعد لحظة، بأن ليديف يخادعه ويسعى إلى مهرب ويحاول التملص قال ابن الأخت: هأنا ذا أعرض لك المسألة: انا ابن اخته ففي هذه النقطة، خلافا لعادته، لم يكذب وأنا لم أتمم دراستي، لكنني أريد اتمامها، وسوف أتمها لأنني أملك قوة الارادة وبانتظار ذلك أريد، لأعيش، أن أعين موظفا في السكة الحديدية براتب قدره خمسة وعشرون روبلا انني اعترف، على كل حال، بأنه ساعدني مرتين أو ثلاثة ولقد كان معى عشرون روبلا، فخسرتها في القمار نعم يا أمير هل يمكنك أن تصدق ذلك؟ لقد بلغت من الخسة والدناءة والصغار انني خسرتها في القمار صاح ليبديف يقول خسرتها مع رجل نذل، رجل نذل كان ينبغي لك أن لا تدفع له شيئا تابع الشاب كلامه فقال أما أنه نذل فهذا صحيح، ولكن كان من واجبي أن أدفع وأما أنه وغد حقير، فهذا ما أسلم به، ولكن لا لأن الرجل قد ضربك ضربة مبرحة فحسب، بل لأسباب أخرى كثيرة أيضاه يا أمير، الرجل ضابط مطرود من الجيش، ملازم محال على التقاعد، كان أحد أفراد عصبة روجويين، وكان يعطي دروسا

في الملاكمة ان جميع أفراد تلك العصبة هائمون الآن على وجوههم منذ تخلص منهم روجويين على أن أنكي مافي الأمر أنني كنت أعلم أنه وغد دنىء، ووبش حقير وتافه لايصلح لشيء، ومع ذلك غامرت بآخر روبلات أملكها مقامرا معه لعبنا لعبة البالكى قلت لنفسي اذا خسرت ذهبت إلى الخال لوكيان، فما زلت أثقل عليه حتى يساعدني تلك هي الدناءة، ذلك هو الصغار الصغار المحض لقد كان ذلك حقارة واعية قال ليديف مؤيدا: نعم، حقارة واعية أجاب ابن الأخت يقول بحرارة وهمة: لا تسرع إلى التباهى بالانتصار انه يتعجل كثيرا في الابتهاج وقد جئت إلى خالى يا أمير واعترفت له بكل شيء تصرفت تصرفا نيلا، لم أدار نفسي ولا دافعت عن خطى وبالعكس: اتهمت سلوكى أقسى الاتهام، ونعته بأبشع النعوت، وأدنته أشد الادانة الجميع هنا يشهدون بذلك ومن أجل أن أدخل الوظيفة التي أهدف إلى دخولها، لا بد لي حتما من الارتفاع بمستوى ملابسي، ذلك أنني ارتدي اسمالا بالية وخرقة رثة بل انظر الى حذاءى اني لا أستطيع أن أتقدم إلى وظيفتي الجديدة بهذه الثياب واذا أنا لم أتقدم خلال المهلة المحددة، فسيعين للوظيفة شخصا آخر، فأبقى عندئذ عاطلا عن العمل، ولا يدري الا الله متى أجد وظيفة أخرى أنا الآن لا أطلب منه أكثر من خمسة عشر روبلا وله على عهد أن لاألجأ إليه بعد اليوم قط، وأن أرد اليه آخر قرش له على في غضون ثلاثة أشهر ولسوف

أني بوعدى أنا أعـرف ما هو العيش على الخبز والكفاس، طعام وشراب خلال أشهر بكاملها، ولكنني قوى الارادة قادر على الاحتمال في غضون ثلاثة أشهر أكون قد كسبت خمسة وسبعين روبلا فاذا أضفنا إلى القرض الذي اطلبه منه الآن ما سبق أن أقرضني من مبالغ أخرى يكون مجموع الدين الذي له على خمسة وثلاثين روبلا فسأملك اذن من المال ما ابرىء ببعضه ذمتي أما الفوائد فليطلب من الفوائد ما يشاء، وليأخذه الشيطان أهو لا يعرفني؟ اسأله يا أمير: أرددت اليه المال الذي ساعدني به أم لا؟ هو غاضب على الأنتي دفعت لذلك الملازم ليس هناك سبب آخر ذلك هو شأنه: لا شيء له، إذن لا شيء لغيره صاح ليبديف يقول: وهو لا ينصرف أنه مضطجع هنا حيث تراه، لا يريد أن يتحرك سبق أن قلت لك: لن أنصرف قبل أن تعطيني ما أطلبه منك لماذا يبدو عليك التبسم يا أمير؟ كأنك لا تستحسن فعلى قال الأمير كأنما على مضض: لست ابتسم، ولكني أرى أنك مخطىء قليلا.

بل قل صراحة انني مخطيء تماما لا توارب لماذا كلمة قليلا، هذه؟ اذا شئت: لنقل انك مخطىء خطأ تاما إذا شئت انك مضحك حقا أتظن انني لا أدرك أن طريقتي هذه خالية من الكياسة؟ أنا أعلم أن المال ماله، وأنه يستطيع التصرف فيه على ما يريد له هواه،

وأنني أبدو كمن يريد أن يسلبه اياه ولكنك لا تعرف الحياة أنت يا أمير اذا لم يلقن المرء أمثال هؤلاء الناس درسا فلا يجب أن ينتظر منهم شيئا فلا بد من تلقينهم درسا ان ضميرى طاهر نقى: أقول لك ذلك صادقا كل الصدق، مخلصا كل الاخلاص؛ لن ألحق به أي ضرر، لن أصيبه بأي أذى، سأرد اليه ماله، مع الفوائد أيضا فماذا يريد أكثر من ذلك؟ لأي شيء يصلح اذا لم يقدم خدمة؟ بل انظر كيف يتصرف هو نفسه اسأله عن سلوكه مع الأخرين وعن فنه في خداع الناس بأية وسائل أصبح مالكا لهذا المنزل؟ انني مستعد لأن أقطع رأسي اذا ثبت أنه لم يغششك حتى الآن، وأنه ليس بسبيل التفكير في أسلوب يخدعك به مزيدا من الخداع أتبتسم؟ ألا تصدق ما أقول؟ قال الأمير:

ـ يخيل إلى أن هذا كله ليس له كبير صلة بقضيتك أنا مضطجع هنا منذ ثلاثة أيام، فما أكثر ما رأيت خلال هذه المدة بهذا هتف الشاب دون أن يصغي إلى كلام الأمير؛ وتابع يقول: هل تتصور أن عنده شكوك وشبهات حول هذه الملاك، حول هذه الفتاة التي أصبحت اليوم يتيمة، حول ابنة خالتي التي هي بنته؟ انه يبحث في كل ليلة عن عشيق لعلها خبأته في غرفتها، ويتسلل إلى هنا بخطى كخطى الذئب ينظر تحت ديواني الذي أرقد عليه عسى أن يجد

شيئا لقد أطاش الشك صوابه انه يرى لصوصا في جميع الزوايا والأر كان يشب عن سريره في الليل كل لحظة، ويمضى يتثبت من أن الأبواب والنوافذ قد أحكم اغلاقها، حتى انه يذهب إلى الموقد يفتشه ويتكرر ذلك في ليلة واحدة سبع مرات أحيانا في المحكمة يترافع عن أوغاد وأوباش وهنا ينهض في كل ليلة ثلاث مرات أيضا ليصلى وليتجه إلى الله بدعائه يجثو على ركبتيه في الصالون ويظل يلطم جبهته بالأرض ويرتل ويتضرع مدة نصف ساعة لا شك أن هذا ثمرة السكر لقد صلى على روح كونتيسة بارى سمعته بأذني هاتين وسمعه كوليا أيضا الخلاصة: لقد فقد العقل تماما هتف ليبديف يقول وقد احمر وجهه احمرارة شديدة وغضب غضبا قويا: هل رأيت يا أمير، هل سمعت كيف يتهكم على ويستهزيء بى قد أكون سكيرا، وقد أكون زير نساء، وقد أكون لصا، وقد أكون انسانا مسيئا من جميع النواحى، غير أن هناك شيئا لا يعرفه هذا الرجل الذي يحقرني الآن، وهذا الشيء هو أنني أنا الذي كنت أقطه وأنظفه حين كان في المهد صبيا كنت أقضي ليالى بكاملها ساهرا عليه مع أمه أختي آنيسيا التي توفى عنها زوجها وهوت إلى حضيض الفقر والبؤس رغم أنني كنت لا أقل عنهما فقرا وبؤسا، فقد كنت أعتني بهما اذا مرضا، وأمضى أسرق حطبا من عند البواب؛ وكان بطنى خاويا في أكثر الأحيان، لكنني كنت أغنى وأصفق بأصابعي لينام

الطفل لقد دلته وأسرفت في تدليله، ثم ها هو ذا الآن يضحك على ويسخر مني ثم أي ضير يلحق بك أنت، اذا أنا رسمت اشارة الصليب مصليا على روح كونتيسة بارى؟ يا أمير، منذ ثلاثة أيام، قرأت سيرة حياتها لأول مرة في موسوعة من الموسوعات ولكن هل تعلم أنت من هي كونتيسة بارى؟ تكلم: أتعلم أم لا؟ دمدم الشاب يقول رغم ارادته تقريبا، ولكن بلهجة ساخرة: لكأنك الانسان الوحيد الذي يعلم ذلك قال ليديف يجيبه: هي كونتيسة خرجت من حمأة العار فأصبحت شبه ملكة، حتى ان امبراطورا كبيرا خاطبتها بقولها يا ابنة عمي، في رسالة كتبتها بخط يدها وحين تنصيب الملك هل تعرف ما هو تنصيب المسك؟ تطوع كاردينال هو سفير البابا ليلبسها جوربيها الحريريين: كان يعد ذلك شرفا له، رغم علو مقامه، وقداسة منصبه هل تعلم ذلك؟ أرى في وجهك أنك تجهل هذا فكيف ماتت هذه الكونتيسة؟ أجب ان كنت تعلم دعني وشأني انك تضجرني اسمع كيف ماتت. بعد جميع تلك الأمجاد، وبعد تلك المكانة التي جعلتها نصف ملكة، جرها الجلاد سامسون إلى المقصلة، رغم أنها كانت بريئة، وذلك ليدخل المسرة والبهجة إلى نفوس العاميات من نساء باريس وقد بلغت من الذعر والرعب أنها لم تفهم شيئا مما كان يراد أن يفعل بها، فلما أحست أن الجلاد يحنى رقبتها ليضعها تحت سكين المقصلة، ويدفعها إلى أمام ركلا بقدميه، بينما الناس من

حولها يضحكون مقهقهين، أخذت تصرخ قائلة: لحظة واحدة أخرى يا سيدى الجلاد، لحظة واحدة أخرى اذن لعل تلك اللحظة هي التي ستشفع لها عند الله فيغفر لها، ذلك أنه لا يمكن أن يتخيل المرء عذابا للنفس الانسانية أكبر من ذلك العذاب هل تعلم ماذا تعني كلمة عذاب ؟ انها تعني تلك اللحظة بعينها حين قرأت الفقرة التي تذكر صرخة الكونتيسة ضارعة أن تمهل لحظة واحدة، انقبض قلبي كأنما أمسك بها فكا كماشة أي ضير يصيبك أنت، أيها التافه، اذا أنا خطر ببالي أن أدعو الله لتلك الخاطئة الكبيرة أثناء صلواتى قبيل الرقاد؟ لئن فعلت ذلك، فربما لأن أحدا لم يدر في خلده حتى الآن أن يصلى على روحها أو أن يدعو لها أو حتى أن يرسم من أجلها اشارة الصليب سوف يبهج قلبها حتما، في الحياة الآخرة، أن تحس أنه قد وجد على هذه الأرض خاطيء مثلها صلى على روحها ولو مرة واحدة ما بالك تضحك ساخرا؟ ألست تؤمن بهذا أيها الملحد؟

وما مدى علمك بهذه الأشياء أنت؟ ثم انك قد سمعت كلامى فنقلته محرفا أو ناقصا: أنا لم أصل على روح كونتيسة بارى فحسب، وانما قلت: اللهم هب راحة النفس للخاطئة الكبيرة الكونتيسة بارى، ولجميع أولئك اللواتى يشبهنها وهذا يختلف كثيرا عما نقلته أنت، ذلك أن في العالم الآخر كثيرا من الخاطئات الكبيرات اللواتي عرفن

تقلب الحظ، وقاسين من ظروف الحياة، وتوجعن من عذاب الاحتضار والانتظار ولقد دعوت أيضا لك ولأمثالك، أمثالك من الوقحين الذين طلقوا الحياء وخلعوا العذار هكذا صليت أنا، ما دمت تقحم نفسك في التنصت على صلواتى قاطع ابن الأخت خاله قائلا طيب طيب كفي هذا صل كما تشاء، وليأخذك الشيطان لا حاجة إلى الصراخ ثم التفت إلى الأمير فأضاف يقول بلهجة اصطنع فيها السخرية ويجب أن نقول لك يا أمير ان عندنا عالما هو خالى هذا أكنت لا تعرف ذلك؟ انه يقضي وقته الآن عاكفا على قراءة جميع أنواع الكتب والمذكرات التي من هذا النوع قال الأمير وقد بدأ يشعر نحو الشاب بكره: مهما يكن من أمر، فان خالك رجل لا يخلو من قلب قال الشاب: أماديحك هذه ستصعد إلى رأسه، فتطيش عقله انظر كيف يتلذذ بمذاقها منذ الآن، واضعا يده على صدره، مضيقا فتحة فمه صحيح أنه ليس خالية من الإحساس لكنه رجل خداع، وهو فوق ذلك سكير، فهذه هذه البلية لقد اختل عقله كسائر أولئك الذين أدمنوا على السكر زمنا طويلا لذلك ترى كل ما فيه يتفكك أنا أستم بأنه يحب أولاده، وأنه كان يعامل المرحومة معاملة فيها احترام بل انه يحبني أنا أيضا، والحمد لله على أنه لم ينسني في وصيته صاح لييديف يقول غاضبا: لن أورثك شيئا قال الأمير بصوت جازم وهو يتحول عن الشاب اسمع يا ليديف، انني أعرف بالتجربة أنك رجل جد في

شئون الأعمال متى شئت ولست أملك من الوقت الا قليلا جدا فاذا كنت معذرة سيت اسمك واسم نسبتك إلى أبيك، فهلا ذكرتني بهما؟ تيرتى تيموفتى ثم؟ لوكيانوفتش. فانفجر الجميع ضاحكين من جديد وهتف ابن الأخت يقول:

ـ لقد كذب كذب حتى في ذكر اسمه يا أمير، ليس اسمه تيموفتى لوكيانوفتش بل لوكيان تيموفنفتش قل لنا لماذا كذبت؟ لوكيان أو تيموفتى، ألا يستوى الأمران؟ وأي فرق بالنسبة إلى الأمير أن يكون اسمك لوكيان أو تيموفئي؟ يمينا انه يكذب للكذب.. لأنه تعود أن يكذب اسأل الأمير وقد نفد صبره: هل صحيح ما يقول؟.

صحيح اسمى لو كان نيموفنفتش. بهذا اعترف ليبديف ذليلا خافضا عينيه طائعا واضعا يده على قلبه من جديد ولكن لماذا كذبت اذن؟ يا رب السماء تمتم ليبديف يقول وهو يخفض رأسه مزيدا من الخفض: من المذلة لا أرى أين المذلة في هذه الكذبة آه ليتني أعرف فقط أين أجد كوليا أضاف الأمير هذه الجملة الأخيرة وقد بدا عليه أنه يهم أن ينصرف فقال الشاب: سأقول لك أين كوليا فأسرع ليبديف يقاطعه قائلا: لا، لا وتابع الشاب كلامه فقال: بات كوليا الليلة عندنا، ومضى في الصباح يبحث عن الجنرال الذي أخرجته أنت من سجن الديون يا أمير، لا يعلم الا الله لماذا أمس وعد الجنرال أن يأتي الى

هنا ليبيت، ولكنه لم يظهر ولعله ذهب يسكن على بعد خطوتين من هذا المكان في فندق الميزان، فلا بد أذن أن يكون كوليا هناك الا أن يكون قد ذهب الى بافلوفسك يزور أسرة ايبانتشين كان يريد أن يذهب اليهم منذ أمس، از كان معه مال فستجده اذن اما فيفندق الميزان، واما في بافلوفسك هتف ليديف يقول: في بافلوفسك، في بافلوفسك أما الآن فلنذهب إلى الحديقة، من أجل أن.. وشرب هناك القهوة قال ليديف ذلك وأمسك الأمير من ذراعه فجره إلى الخارج، إلى فناء يفضي إلى الحديقه من باب صغير الحديقة صغيرة، لكنها جميلة وبفضل حسن الجو كانت الأشجار جميعها في تفتح كامل أجلس ليبديف الأمير على دكة من خشب مدهون بلون أخضر، أمام مائدة مثبتة في الأرض، خضراء اللون هي أيضا وجلس أمامه وجيء بالقهوة بعد لحظة، فلم يرفضها الأمير وظل ليديف يحدق إلى عيني الأمير بشراهة، مفرطة في الاكرام والمراعاة قال الأمير وهيئته هيئة انسان يفكر في شيء آخر لا صلة له بما يقول البتة لم أكن أعرف أن لك ملك قال ليبديف كأنما ليستأنف شكاواه:

ـ يتامى ولكنه سرعان ما كف عن ذلك كان الأمير ينظر إلى أمام، ذاهلا، فلا شك أنه قد نسي العبارة التي قالها منذ لحظة عن ملك ليبديف وانقضت دقيقة أن ليديف مايزال يحدق إلى منتظرا شرحا

أوسع قال الأمير وكأنه عاد إلى شعوره: طيب، ماذا؟ ها نعم أنت تعلم الأمر حق العلم يا ليديف لقد جئت اليوم عقب الرسالة التي تلقيتها منك فتكلم اضطرب ليبديف، وأراد أن يقول شيئا، لكنه لم يزد على أن نطق بأصوات غير مفهومة فكان الأمير يصبر عليه، ويبتسم ابتسامة حزينة يخيل إلى أنني أفهمك جيدا يا لوكيان تيموفنفتش كنت لا تتوقع مجيئي طبعا كنت تقدر أنني لن أترك عزلتي عند تلقى أول رسالة لم تبعثها إلى الا من تبرئة الذمة، ولكن هاأنت ذا ترى انني جئت هلم لا تحاول أن تخدعني انقطع عن خدمة اثنين في آن واحد لا يجب أن يكون لك سيدان آن روجويين موجود هنا منذ ثلاثة أسابيع أنا أعرف كل شيء هل استطعت أن تبيعه هذه المرأة كما فعلت في المرة الماضية؟ قل الحقيقة بل اكتشفها بنفسه، هذا الشيطان الخبيث لا تشتمه: يظهر أنه أساء معاملتك قال ليديف مهتاجا: أشبعني ضربا، نعم، أشبعني ضربا وفي قلب موسكو حرض على كلبه الفظيع، كلبه السلوقي الرهيب، فظل الكلب يطاردني من أول الشارع إلى آخره انك تعدنى طفلا يا لييديف قل لي: أهي تركته جادا حين تركته بموسكو منذ مدة قصيرة؟ جادا، جادا، بل انها قد تركته هذه المرة قبيل الاحتفال بالزواج كان يعد الدقائق بانتظار أن يحين موعد الاحتفال بالزواج هربت من موسكو إلى بطرسبرج، فجاءت إلى رأسة تقول: انقذني، هيء لي عندك مأوى يا لوكيان، ولا تذكر للأمير شيئا انها

تخشاك أكثر مما تخشاه أيضا يا أمير، وذلك هو السر قال ليديف ذلك وحمل اصبعه إلى جبينه متخابثا سأله الأمير: والآن، هل قربت بينهما من جديد؟ ا سمو الأمير العظيم هل كان يمكنني أن أعارض هذا التقارب بينهما؟ طيب سأستطلع الأمر بنفسي ولكن قل لي: أين هي الآن؟ عنده؟ لا، لا انها ما تزال تعيش وحدها وهي تقول: أنا حرة اعلم يا أمير انها تلح كثيرا على هذه النقطة انها ماتنفك تكرر: ما أزال أملك حريتى كاملة، ما تزال تقيم في شارع بطرسبرجسكايا، عند زوجة أخي، كما ذكرت لك هذا في رسالتى أهي الآن هناك؟ نعم اللهم الا أن تكون في بافلوفسك، فلعلها انتهزت فرصة جمال الجو، فمضت تصطاف عند داريا ألكسيفنا انها تكرر دائما قولها:

ـ أنا أملك حريتى كاملة أمس تباهت باستقلالها أمام نيقولا آردااليونوفتش كوليا هذه علامة سيئة وأخذ ليديف يبتسم هل يزورها كوليا في أحيان كثيرة؟ صبي طاش، صبي لا أفهمه، عاجز عن المحافظة على سر هل كان ذهابك اليها منذ مدة طويلة؟ انني أذهب اليها كل يوم، بلا تخلف اذن ذهبت اليها أمس؟ لا منذ ثلاثة أيام لم أرها خسارة أنك سكران قليلا يا ليديف ولولا ذلك لألقيت عليك سؤالا أخر أجاب ليبديف وهو ينصب أذنه: لا، لا، لم أشرب شيئا البتة قل لي: على أي حال تركتها؟ هم تركتها على حال امرأة

تبحث امرأة تبحث؟ نعم، امرأة تبحث بغير انقطاع، كانما هي فقدت شيئا أما زواجها المرتقب، فان مجرد تفكيرها فيه يثير اشمئزازها، وهي تغضب اذا حدثت فيه وقد أصبحت لا تعبأ بصاحبنا، أكثر مما تعبأ بقشرة برتقالة، بل قل أنه أصبح لا يوقظ في نفسها الا شعورا بالهول انها تمنع أي انسان من أن يأتي على ذكره وهما لا يلتقيان الا في حالات الضرورة القصوى وهو يدرك ذلك حق الادراك ولكن لا بد لها من الاذعان أخيرا، فلن تفلت منه انها قلقة، ساخرة، ملتبسة، سريعة الاهتياج ملتبسة سريعة الاهتياج؟ نعم، سريعة الاهتياج من ذلك أنها أوشكت أن تشد شعرى اثناء حديث بسيط قام بيني وبينها في زيارتي الأخيرة لها سأله الأمير وقد قدر أنه لم يسمع كلام ليبديف سماعا واضحا: كيف؟ سأقول لك لقد حدث هذا بينما كنت أقرأ لها رؤيا القديس يوحنا ان للسيدة خيالا مضطربا قلقا هيء هيء وقد لاحظت لديها، عدا ذلك، ميلا بارزا إلى المناقشات الجدية والموضوعات الخارقة أنها تؤثر هذه الموضوعات، وترى أن محادثتها فيها دليل على احترامها هذا هو الواقع وأنا متمكن جدا من تأويل رؤيا القديس يوحنا التي أدرسها منذ خمس عشرة سنة، وقد وافقتي على رأيى حين قلت لها اننا وصلنا إلى العهد الذي يمثله الحصان الثالث، الحصان الأسود الذي يمسك راكبه ميزان بيده ذلك أن كل شيء في عصرنا هذا يزان بميزان وينظم بعقد، وليس الأحد من هم

الا أن يبحث عن حقه ويسعى اليه ثمنية قمح بدينار، وثلاث ثمنيات شعير بدينار، وهم فوق ذلك يريدون جميعا أن يحتفظوا بحرية الفكر وطهارة القلب، وصحة الجسم، وجميع ما وهب الله لكنهم لن يصلوا إلى هذا بطرق الحق وحدها لأن الحصان الشاحب لونه سيظهر هو وراكبه الذي اسمه الموت، والذي يتبعه الجحيم، هذه هي الموضوعات التي تعالجها حين نلتقي، فتأثر بها تأثرا قويا سأله الأمير وهو ينظر اليه مدهوشا: هل تؤمن أنت نفسك بهذا كله؟ أؤمن وأؤول انني، وأنا الفقير العارى، لست الا ذرة في الزوبعة الانسانية من ذا الذي يحترم ليبديف؟ ان كل واحد يجرب مكره فيه، ويكاد پر كله برجليه ان صح التعبير ولكنني في مجال التأويل أساوي أكبر سيد من السادة تلك هي ميزة الذكاء ان فكرى المتوقد قد أفزع عظيما من العظماء ذات يوم فأخذ يرتعش على مقعده حدث ذلك منذ سنتين، قبل أعياد الفصح ان صاحب السعادة نيل ألكسيفتش، حين سمع عنى أيام كنت تحت امرته في الوزارة، استدعاني إلى مكتبه خصيصا، وسألني: هل صحيح أنك استاذ في تأويل النبوءات الخاصة بالأعور الدجال؟ فلم أكتمه أن هذا حق، وأخذت أقرأ عليه وأشرح له النص المقدس ولم أحاول أن ألطف ما يشتمل عليه النص من تهديد بأخطار رهيبة، بل توسعت في شرح الرموز وغصت إلى أعماق معنى الأرقام وقد أخذ يضحك في أول الأمر، ولكنه ازاء دقة الأرقام ووضوح المقارنات،

لم يلبث أن أخذ يرتعش، ثم رجاني أن أطوى الكتاب وأن أنصرف وأمر لي في عيد الفصح بمكافأة ولم ينقض على ذلك أسبوع حتى فاضت روحه وذهبت إلى بارئها ما هذا الذي تقوله يا ليبديف؟ هو الحقيقة بعينها، فقد سقط من مركبته بعد العشاء، فاصطدم صدغه بحجر حائط فمات على الفور ان سجلات وظيفته تدل على أن عمره كان ثلاثة وسبعين عاما، وهو رجل يضرب لونه إلى حمرة، أبيض الشعر، معطر دائما، مبتسم بغير انقطاع، كطفل وقد تذكر بطرس زاخارتش عندئذ زيارتي له فقال: تنبأت أنت بما حدث له، نهض الأمير لينصرف. فدهش ليبديف، حتى لقد ألمه أن يراه متعجلا هذا التعجل فجازف وقال له بلهجة فيها كثير من الأكرام والمداراة والمراعاة: أرى أنك أصبحت لا تكترث فأجاب الأمير يقول منزعجا: الحق أن صحتى سيئة اني أشعر بثقل في رأسي قد يكون مرد هذا إلى مشقة السفر قال ليديف على وجل واستحياء: تحسن صنعا اذا مضيت ترتاح وتستجم في الريف فظل الأمير واقفا واجما وتابع ليبديف كلامه يقول: أنا مثلا، سأذهب إلى الريف مع جميع أفراد الأسرة بعد يومين أو ثلاثة أيام هذا أمر لا غنى عنه لصحة الطفل الوليد؛ وسيتيح لى السفر اجراء جميع الاصلاحات اللازمة هنا والي بافلوفسك انما سأذهب أيضا قال الأمير يسأله فجأة:

ـ وأنت أيضا ستذهب إلى بافلوفسك؟ ها اذن يذهب جميع الناس

هنا إلى بافلوفسك وتقول ان لك هنالك منزلا ريفيا، أليس كذلك؟ لا يذهب جميع الناس إلى بافلوفسك ولكن ايفان بتروفتش بتسين قد تنازل لي عن احدى الفيللات التي حصل عليها هناك بثمن بخس المكان جميل، مرتفع، مخضوضر وتكاليف المعيشة غير باهظة، والمجتمع راق، وسوف نستمتع هناك بالموسيقى ذلك هو السبب في أن بافلوفسك يرتادها الناس كثيرا على أنني سوف أكتفي بجناح صغير، أما الفيللا هل أجرتها؟ د لا لم أؤجرها تماما قال الأمير يقترح عليه فجأة: أنا أستأجرها واضح أن ما كان لديف يريد أن يقود اليه انما هو هذا الطلب ان هذه الفكرة تدور في ذهنه منذ ثلاث دقائق ولم يكن مع ذلك يبحث عن مستأجر، فان هناك شخصا أعلن له أنه قد، يستأجر الفيللا وكان يعلم أن كلمة قد، هذه تعدل اليقين لكنه تصور فجأة النفع التي سيجنيه من تأجيره الفيللا للأمير، فسمح لنفسه بهذا على أساس أن المستأجر الأخر لم يثبت وعده بالاستئجار قال يخاطب نفسه:

ـ هذا نزاع جديد يلوح في الأفق، وهذه هي الأمور تجري مجرى جديدا كل الجدة، لذنك استقبل اقتراح الأمير بنوع من الحماسة، فلما سأله الأمير عن الكراء رفع يديه بحركة تعنى أنه لا يكترث بالكراء، وأنه لا يطمع في منفعة قال الأمير طيب سأدفع لك ما يرضيك سوف

أسأل عن السعر، فلا تخسر شيئا وكانا على وشك أن يخرجا من الحديقة فاذا بليديف يدندن قائلا، وهو يتوانب حول الأمير فرحا في وسعى يا أمير، في وسعى يا أمير، اذا أنت شئت ذلك، أن أبلغك أمرا هامة جدا عن المسألة التي تهمنا توقف الأمير وتابع ليبديف كلامه ان داريا ألكسيفنا تملك، هي أيضا، فيللا في بافلوفسك وبعد؟ ان الشخصية التي يعنينا أمرها هي صديقتها، ويظهر أنها تنوى أن تتردد عليها كثيرا في بافلوفسك ان لها هدف أي هدف؟ آجلايا ايفانوفنا هوه كفى يا ليبديف لذلك قاطع الأمير ليبديف ممتعضا امتعاض انسان مست فيه نقطة موجعة وأضاف: ليس هذا هو الأمر الأفضل أن تقول لي متى تنوي أن تسافر واعلم ان الاسراع في السفر يناسبني أكثر مما يناسبني الابطاء، لأنني في الفندق كان الرجلان قد اجتازا الحديقة وهما يتحدثان ولم يرجعا إلى المنزل، بل عبرا الفناء متجهين نحو باب الخروج. قال ليديف بعد لحظة تفكير: أرى أن من الخير أن تترك الفندق في هذا اليوم نفسه، فتأتي تقيم هنا، ثم سافر معا الى بافلوفسك بعد غد قال الأمير شارد الذهن، وهو يصل إلى الشارع: سوف أرى تابعه ليبديف بنظره وقد أدهشه هذا الذهول المفاجيء في الأمير الذي نسي أن يودعه حين خرج، بل غفل حتى عن تحيته ان هذا النسيان لا يتفق وما عهده ليديف في الأمير من حسن الآداب وبشاشة المعاملة ولطف السلوك.

الفصل الثالث

الساعة تقارب الثانية عشرة ظهرا كان الأمير يعرف أنه ولن يجد في المدينة من آل ايبانتشين الا الجنرال ف ي ه الذي تمنعه أعماله من مغادرة المدينة حتى ان هذا نفسه ليس مؤكدا خطر ببال الأمير أن الجنرال قد يستعجل أخذه إلى بافلوفسك؛ ولكن الأمير يحرص كثيرا على زيارة يجب أن يقوم بها قبل أن يذهب إلى بافلوفسك فقرر أن يبحث عن المنزل الذي كان لا بد أن تقوده اليه تلك الزيارة، ولو ترتب على ذلك أن يصل إلى دار ال ايبانتشين متأخرا، وأن يؤجل رحلة بافلوفسك إلى الغد والمسعى الذي سيقوم به الأمير يشتمل على بعض المخاطر من بعض النواحي ومن ثم كان ارتباكه وكان تردده وكان يعلم أن المنزل الذي يجب أن يهتدى اليه يقع في شارعالباسلاء، الذي لا يبعد عن شارع الحدائق فقرر أن يتجه اليه من هذه الجهة آملا أن يعزم أمره أثناء الطريق على قرار حاسم فلما اقترب من تقاطع الشارعين أدهشه الاضطراب الشديد الحارق الذي اجتاحه واستولى عليه لم يكن يتوقع أن يحس بقلبه يخفق هذا الخفقان القوي ولفت نظره أحد المنازل من بعيد أغلب الظن أن

غرابة مظهر هذا المنزل هي التي لفتت نظره وقد تذكر بعد ذلك أنه قال عندئذ لنفسه: لا شك أن المنزل الذي أبحث عنه هو هذا، وتقدم مدفوعا بفضول شديد ليتحقق من صدق تخمينه، مع شعوره سلفا بأنه سيزعجه أن يصدق ظنه المنزل عمارة كبيرة مظلمة ذات ثلاثة طوابق، ليست بذات طراز، واجهتها خضراء اللون متسخة ان عددا قليلا جدا من المباني التي من هذا النوع والتي يرجع عهدها إلى نهاية القرن الماضي مايزال قائما في هذا الحي من بطرسبرج حيث يتغير كل شيء بسرعة انها مبان متينة، سميكة الجدران، واسعة النوافذ جدا، تحصن شبابيكها أحيانا بقضبان حديدية في الطابق الأرضي الذي تشغله دكان صراف من ملة الحصيان ان المخصي الذي يملك الدكان يسكن عامة في الطابق الذي يعلوها وان ظاهر هذه المنازل كباطنها جفوة وعبوسا: فكل شيء يبدو للمرء فيها باردا، موصدا، سريا، دون أن يستطيع المرء مع ذلك أن يحلل بواعث هذا الشعور بسهولة لا شك ان التزاوج بين الخطوط المعمارية في هذه المنازل يشتمل على شيء يشعر بالسرية والخفاء، ويندر أن يسكن هذا المنازل الا تجار اقترب الأمير من باب الفناء، وقرأ على لوحة معدنية: منزل روجويين، بورجوازى فخرى وراثى، وتغلب على تردده فدفع بابا ذا زجاج، ودخل، فانغلق الباب وراءه محدثا ضجة وصعد إلى الطابق الأول على السلم الكبير ان الستم مبنى باحجار غليظة،

غائب في الظل بين جدران مدهونة بلون أحمر كان الأمير يعرف أن روجويين يحتل مع أمه وأخيه كل الطابق الأول من هذا المبنى الكثيب فتح له الخادم الباب؛ ودون أن يخبر بوصوله، قاده خلال سلسلة من الغرف: دخلا أولا إلى قاعة عرض، جدرانها تحاكي المرمر، وأرضها من خشب السنديان، وأثاثها الثقيل الغليظ من طراز عام 1820، ثم ولجا سلسلة من حجرات صغيرة يقطعها المرء بلف ودوران وتعرج ثم صعدا در جتين أو

ثلاث درجات، ثم هبطا درجتين أو ثلاث درجات وفي النهاية قرعا باباه ففتح لهما بارفيون سيميونوفتش روجويين بنفسه فلما رأى روجوين الأمير جمد في مكانه ذاهلا، واصفر لونه، حتى صار يشبه، خلال بضع لحظات، تمثالا من حجر ان نظرته المحدقة الثابتة تعبر عن ذعر ورعب، وان فمه تقصه ابتسامة مبهوتة لقد بدا له حضور الأمير حادثا لا يتصوره العقل، بل حادثا يكاد يكون معجزة ودهش الزائر من هذا، رغم أنه كان يتوقع أن يحدث حضوره أثرا من هذا النوع قال الأمير وهو يشعر بحرج: ربما كان مجيئى مزعجا يا بارفيون فاذا صح هذا فسوف أنصرف فقال بارفيون وقد ثاب إلى رشده: لا، أبدا تفضل ادخل كان الرجلان يتخاطبان بصيغة المفرد لقد أتيح لهما أن يلتقيا بموسكو كثيرا وطويلا حتى لقد اشتملت

لقاءاتهما على لحظات تركت في نفس كل منهما أثرا لا يمحى ولم يلتقيا بعد ذلك منذ أكثر من ثلاثة أشهر ما يـزال وجه روجويين شاحبا وما تزال تشنجات خفيفة خاطفة تقلص هذا الوجه ورغم أنه أدخل الزائر فانه ما يزال يشعر باضطراب لا حيلة له في دفعه ودعا الأمير إلى الجلوس على مقعد قرب المائدة، ولكن الأمير حين التفت نحو روجويين مصادفة، تجد في مكانه تحت نظرة غريبة غرابة هائلة كان يلقيها عليه روجويين، حتى لكأنها تخترقه اختراق؛ وعادت إلى ذهنه في الوقت نفسه ذكرى حديثة، أليمة، مبهمة؛ فبدلا من أن يجلس، لبث واقفا، ساكنا سكونا كاملا، محدقا إلى عيني رو جويين بنظرة ثابتة خلال لحظات فأخذت عينا روجويين تسطعان ببريق فيه مزيد من القوة وابتسم روجويين أخيرا، ولكن ابتسامته كانت تشى باضطرابه وحزنه وتمتم يقول للأمير:

ـ لماذا تنظر إلى هذه النظرة الثابتة؟ اجلس فجلس الأمير وقال بارفيون، كلمني بصراحة، أكنت تعلم أني سأصل إلى بطرسبرج اليوم؟ أجاب روجويين وهو يبتسم ابتسامة مرة: كنت أقدر أنك قد تجيء، وهأنت ذا ترى أنتى لم يخطىء تقديرى، ولكن كيف كان يمكنني أن أحزر أن وصولك سيكون في هذا اليوم نفسه؟ كان العنف والحنق في لهجة هذا السؤال الذي ألقاه روجويين والذي كان في الوقت نفسه

جوابا، باعثا جديدة للأمير على الدهشة فقال الأمير برفق ولين بينما كان الاضطراب يجتاح نفسه: وهبك عرفت أنني سأصلفي هذا اليوم نفسه،، فلماذا تغضب هذا الغضب؟

وأنت، لماذا تلقى على أنت ذلك السؤال؟ لأنني في هذا الصباح، بينما كنت أنـزل من القطار، لاحظت في زحمة الجمهور عينين تشبهان كل الشبه العينين اللتين كنت تحدق بهما إلى من ورائي منذ برهة فجمجم روجويين يقول مرتابا: غريب ترى، هما عينا من؟ولكن خيل إلى الأمير أن روجويين قد ارتعش قال الأير: لا أدري كان ذلك في زحمة الجمهور ومن الجائز على كل حال أن أكون قد توهمت أصبحت تنتابني أوهام كثيرة من هذا النوع في الآونة الأخيرة لقد صرت، يا عزيزى بارفيون، في حالة قريبة من الحالة التي كنت عليها قبل خمس سنين، أيام كانت تعترينى نوبات دمدم بارفيون قائلا: جائز أنك كنت فريسة وهم لا أدري وتغيرت ابتسامة التلطف التي كانت مرتسمة على شفتيه في تلك اللحظة؛ وظهرت ابتسامة جديدة تعبر عن مشاعر متفرقة وعواطف شتى كان عاجزا عن أن يؤلف بينها قال يسأل: أأنت مسافر الى الخارج مرة أخرى؟ ثم أضاف فجأة: هل تتذكر كيف التقينا في الخريف الماضي في قطار بسكوف بطرسبرج هل تتذكر معطفك ولادتي حذاءيك؟ وأخذ روجويين في

هذه المرة يضحك بخبث صريح ومكر واضح سره أن يطلق لهما المنان سأله الأمير وهو يلقي نظرة على الحجرة: هل استقر بك المقام هنا تماما؟ نعم، أنا هنا في بيتي؟ أين تريد لي أن أذهب؟ نحن لم نلتق منذ مدة طويلة وقد سمعت عنك أشياء يصعب على أن أصدقها أجاب روجويين بجفاف: ما أكثر ما يقوله الناس

ولكنك طردت عصبتك كلها، ولجأت إلى منزل أهلك، وأصبحت لا تهرب منه هذا شيء حسن هل المنزل لك أنت، أم هو مشترك بين الأسرة كلها؟

هو لأمي وشقتها تقع في الجهة الأخرى من الممر وأين يسكن أخوك؟ أخي سيميون سيميوفتش يسكن في جناح أهو متزوج؟ هو أرمل ما حاجتك إلى معرفة هذا؟ ظر اليه الأمير دون أن يجيب لقد أصبح واجما شارد الذهن، فكأنه لم يسمع السؤال ولم يلح روجويين، بل سكت ينتظر البث الاثنان صامتين برهة من الوقت قال الأمير: تعرفت منزلك من أول نظرة، من على مسافة مائة متر كيف هذا؟ لا أدري كيف أعبر لك ان لمنزلك هيئة هي هيئة أسرتك كلها، وهيئة طراز حياتك ولكن اذا سألتني أن أشرح لك مصدر هذا الشعور عندي، لم أستطع أن أفعل أغلب الظن أن هذا نوع من الهذيان حتى انني ارتعب حين أرى مدى تأثرى بهذه الأمور لم تكن في ذهني أية

فكرة عن المنزل الذي تسكنه، ولكن ما أن رأيته حتى قلت لنفسي هذا بعينه نوع المنزل الذي لا بد أن يسكنه قال روجويين وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة، دون أن يفلح في ادراك الفكرة المبهمة التي قالها الأمير حقا وان جدي هو الذي بني هذا المنزل وقد سكنه دائما أناس من ملة الحصيان هم آل خلودياكوف ولا يزالون يستأجرونه حتى اليوم قال الأمير وهو ينظر حواليه: ظلام حالك انك تعيش في غرفة معتمة جدا كانت الحجرة غرفة واسعة، عالية سقفها، لايدخلها ضوء، مزدحمة بأشتات من الأثاث: مناضد، مكاتب، خزائن ملأى بالسجلات والقراطيس وكان هناك ديوان عريض منجد بجلد أحمر لا شك في أن روجويين يستعمله سريرة ولاحظ الأمير على المائدة التي كان روجويين قد أجلسه بقربها، لاحظ كتابين أو ثلاثة كان أحدها، وهوكتاب التاريخ، الذي ألفه سولوفييف، مفتوحا على صفحة محددة بشريطة وقد علقت بالجدران بضع لوحات زيتية ذات أطر مزخرفة، وقد بلغت من القتامة والتشحر أن المرء لا يكاد يميز فيها شيئا البتة غير أن هناك صورة رجل بالحجم الطبيعي لفتت نظر الأمير هو رجل في نحو الخمسين من العمر، يرتدي ردنجوتة أجنبية التفصيل ولكنه طويل الحواف، ويتدلى على عنقه وسامان، وله لحية متناثرة قصيرة شائبة، ووجه مجد أصفر، ونظرة متجهمة عابسة سأل الأمير: أليس هو أباك؟ فأجاب روجويين يقول مبتسما ابتسامة

سيئة كأنما هو يتأهب لأن يقذف بمزاح ثقيل في حق أبيه: نعم، هو بعينه هل كان ينتمي إلى ملة المؤمنين القدامى ؟ لا كان يذهب إلى الكنيسة ولكنه كان يزعم فعلا أن الشعائر القديمة كانت أقرب إلى الحق وكان عدا ذلك يحترم ملة الحصيان وكانت حجرة مكتبه هي هذه الحجرة التي نحن فيها الآن لماذا سألتني هل كان ينتمي إلى المؤمنين القدامى،؟

هل ستحتفلون بالعرس هنا؟ هنا كذلك أجاب روجويين الذي أوشك أن يرتجف عند سماع هذا السؤال المفاجيء غير المتوقع هل سيتم الزواج في القريب؟ أنت تعلم أن هذا لا يتوقف على أنا بارفيون، أنا لست عدو لك، ولست أنوي أن أعرقل أي أمر من أمورك، أو أن أقف عقبة في طريقك أكرر لك هذا الآن كما سبق أن أعلنته لك ذات مرة، في لحظة شبيهة بهذه اللحظة انك لتعلم انني لست الذي منع زواجك حين كان على وشك أن يتم بموسكو ففى المرة الأولى هي، التي هرعت إلى لحظة زفافكما تقريبا لترجوني أن أنقذها منك هذه كلماتها هي أكررها لك بنصها ثم هربت مني أنا أيضا فاهتديت أنت اليها وقدتها إلى الكنيسة مرة أخرى للزواج والآن يقال لي انها فرت منك من جديد وجاءت تلوذ ببطرسبرج هل هذا صحيح؟ ان ليبديف هو الذي أبلغني النبأ وبسبب ذلك انما جئت ولقد علمت أمس، في

القطار، من فم أحد أصدقائك القدامى وهو زالوجيف، اذا أردت أن تعرف من هو علمت أنكما عدتما فترابطتما ان رجعتى إلى بطرسبرج ليس لها الا هدف واحد: هو أن أقنعها أخيرة بأن تسافر إلى الخارج لتسترد صحتها فهي في رأيي مريضا جسما وروحا رأسها، خاصة، مريض؛ وحالتها تتطلب عناية كبيرة ولا أنوي أن أصحبها، وانما أريد أن أرتب سفرها دون أن أشاركها فيه أقول لك الحقيقة خالصة ولكن إذا صدق أنكما رتبتما أمور كما من جديد، فلن أظهر أمام عينيها قط، ولن أضع قدمي في بيتك وأنت تعلم أنني لا أخدعك، لأني كنت صادقا معك على الدوام لم أكتمك رأيي في هذا الأمر يوما؛ قلت لك دائما انني أعتقد بأنها ستضيع حتما اذا هي ارتبطت بك ولسوف تضيع أنت أيضا بل قد يكون ضياعك محتوما أكثر من ضياعها اذا انفصلتما من جديد، سرني ذلك كثيرا، لكنني لن أساعد في تحقيق هذه القطيعة بينكما فاطمئن اذن، ولا يخالجنك في ريب، ولا تساورنك شبهة ثم انك تعلم حقيقة الأمر: أنا لم أكن منافسا حقيقيا، لك في يوم من الأيام، حتى حين لجأت إلى ولاذت بى هاأنت ذا تضحك: انتى أعرف سبب ضحكك نعم لقد عشنا هناك، أنا وهي، منفصلين؛ بل لقد عاش كل واحد منا في فيللا مستقلة: أنت على علم تام بهذا ألم أشرح لك قبل الآن أني أحبها لا حبا بل شفقة، أعتقد أن التعريف صادق ولقد صرحت لي حينذاك بأنك تفهم ما

أريد أن أقول فهل هذا صحيح؟ هل فهمت حقا؟ ما أشد هذا الكره الذي أراه في نظرتك أنا انما أتيت لأهدىء بالك وأطمئنك، لأنك أنت أيضا عزيز في نفسي انني أحبك كثيرا يا بارفيون أقول هذا وأرحل ثم لا أرجع قط وداعا نهض الأمير فقال له بارفيون برقة ورفق، ولم يكن قد نهض، وانما هو ما يزال مسندا رأسه إلى يده اليمنى: ابق معي قليلا، فانى ما رأيتك منذ مدة طويلة فعاد الأمير يجلس وساد صمت، ثم قال روجويين:

حين لا تكون أمامى يا ليون نيقولا يفتش، فانني سرعان ما أشعر بكره شديد لك، وحقد قوى عليك انني في خلال هذه الأشهر الثلاثة التي لم أرك أثناءها كنت أبغضك في كل لحظة من اللحظات فلو استطعت لسرني أن أقتلك بالسم حتما يمينا لو استطعت لفعلت ذلك هذه هي الحقيقة ولكن كرهي لك زال خلال ربع الساعة هذا الذي قضيناه معا، فاذا أنت عزيز في نفسي كما كنت عزيزا فيها من قبل ابق معي قليلا أجابه الأمير بمودة وصداقة، محاولا أن يخفى عواطفه تحت ستار ابتسامة خفيفة: حين أكون بقربك فانك تثق بي، حتى اذا ابتعدت عنك بارحتك ثقتك وعدت ترتاب في من جديد انك تشبه أباك ثق بك حين أسمع صوتك أنا أدرك حق الادراك وأفهم كل الفهم أني لا مكن اعتبارى مساويا لك، لا يمكن اعتبارى ندا لك قال الأمير

وهو ينظر إلى روجويين مدهوشا لماذا أضفت هذه الجملة الأخيرة؟ هاأنت ذا تغضب من جديد نحن هنا، يا صديقى، لا سأل رأينا، وانما ترتب الأمور دون استشارتنا وصمت روجويين برهة ثم أردف يقول بصوت خافت: كل واحد منا يحب بطريقته الخاصة، أي اننا مختلفان في كل شيء فأنت مثلا تقول انك تحبها شفقة؛ أما أنا فلا أشعر نحوها في الواقع بأية شفقة ثم انها تكرهنى كرها عميقا كاملا انني أراها الآن في أحلامي كل ليلة: أراها مع شخص آخر، وأراها تسخر مني وهذا بعينه ما يحدث في الواقع يا عزيزى انها ستتزوجني أنا، ولكنها لا تفكر في أكثر مما تفكر في حذاءين أبدلتهما منذ لحظه هل تصدقني اذا قلت لك انني لم أرها منذ خمسة أيام، خوفا من أن أذهب اليها؟ فلو ذهبت اليها السألتني لماذا جئت لشد ما غمرتني بالخزي والعار منذ الآن بالخزي والعار؟

ماذا تقصد؟ كأنك لا تعرف لماذا هربت من الكنيسة حين كنا على وشك الزفاف؟ ألم تهرب من أجل أن تفر معك؟ أنت نفسك سئمت بهذا منذ برهة عجيب ألا تصدقني حين أقول لك أن ألم تجللني بالخزي والعار حين قامت في موسكو بمغامرة مع ضابط من الضباط اسمه زمتيوجنيكوف؟ أنا أعرف هذه الحقيقة الآن معرفة اليقين، وقد حدث الأمر بعد أن حددت هي نفسها يوم العرس هتف

الأمير بقول: مستحيل فقال روجويين باقتناع: أنا على يقين من هذا قد تزعم لى أنت أنها ليست كذلك قله هذا الكلام لغيرى يا عزيزى قد تتصرف معك أنت تصرفا أخر، حتى لقد يشعرها مثل هذا الفعل عندئذ بهول رهيب أسلم لك بذلك ولكنها معي لا يزعها وازع كهذا، ولا يساورها تورع من هذا النوع هذه هي الحقيقة انها لا تعدني شيئا مذكورا، انها لا تقيم على أي وزن انني أعلم علم اليقين أن علاقة نشأت بينها وبين ذلك الضابط كينسر الذي كان يمارس الملاكمة، لا لشيء الا لتجعلنى هزأة أنك لا تعرف مدى ما لقيت منها بموسكو من عذاب، ولا تعرف ما أنفقت بسببها من مال.. سأله الأمير مروعا: فلماذا تفكر في تزوجها الآن؟

لم يجب روجويين بشيء في أول الأمر، وحدج الأمير بنظرة ثابتة ثاقبة ثم قال بعد برهة صمت: لم أذهب اليها مرة واحدة منذ خمسة أيام انني أخشى دائما أن تطردنى. انها ما تنفك تكرر قولها ما زلت حرة التصرف بنفسي فاذا شئت طردتك طردا تامة وسافرت إلى الخارج، وأضاف روجويين يقول كمااستطرد، وهو يلقى على الأمير نظرة ثابتة ملحة سبق أن حدثتني هي عن هذا صحيح أنها تتكلم أحيانا بغير قصد الا أن تخيفنى انها تجد في دائما ما يمكن أن تتخذه موضوعا للتندر والضحك وفي أحيان أخرى تقطب حاجبيها

ويكتسي وجهها طابع الهم والغم، وتسكت فلا تنطق بحرف: وذلك هو ما أخشاه أكثر من أي شيء آخر قلت لنفسي في يوم من الأيام: لن أذهب اليها فارغ اليدين فماذا حدث؟ أن الهدايا التي حملتها اليها لم تزد على أن حرضتها مزيد من التحريض على السخرية بل وعلى الغضب حتى لقد أعطت خادمتها كاتيا شالا رائعا أهديته اليها، شالا لعلها ما رأت مثله في حياتها قط، رغم الترف الذي كانت تعيش فيه وأما أن أسألها تحديد يوم الزواج فذلك أمر لن أجازف فأفعله. ما أحلى وضع الخطيب الذي لا يجرؤ حتى أن يزور من ستكون زوجته لهذا تراني أقبع في بيتى حتى اذا نفد صبرى، ونضبت مقاومتى، مضيت خلسة أحوم حول منزلها أو أختبىء في ركن من الشارع وفي ذات مرة بقيت واقفا أمام باب منزلها كالحارس الى مطلع الصبح تقريبا كان قد تراءى لي انني ألاحظ شيئا ما ولاشك أنها رأتني من النافذة، فها هي ذي تصرخ قائلة ما عساك تستطيع أن تفعل بي اذا رأيت أنتي أخونك؟، واذ لم أطق صبرا أجبتها قائلا أنت تعرفين سأله الأمير: ما الذي تعرفه؟ أني إلى أن أعلم قال روجويين ذلك وهو يضحك ضحكة ساخرة وواصل كلامه قال لم أستطع، بموسكو، أن أفاجئها مع أحد، رغم انني تجسست عليها مدة طويلة فأخذتها مرة وقلت لها لقد وعدتني بأن تتزوجينى وستدخلين أسرة محترمة هل تعرفين ماذا أنت؟ انظر ماذا أنت أقلت لها هذا؟ نعم؟ فماذا قالت؟

قالت: أنا الآن لا أوافق على أن أكون زوجتك؛ وربما كنت لا أرضاك خادما فأجبتها: وأنا لن أتحرك من هذا المكان فقالت: وأنا سأنادى العسكر ليطردك ويضعك خارج البابفهجمت عليها، فما زلت أضربها حتى تغطى جسمها ببقع زرقاء صاح الأمير يقول هذا مستحيل فقال روجويين مؤكدا بصوت خافت، ولكن عينيه كانتا تلتمعان: بل هذه هي الحقيقة أقولها لك خالصة وظللت يوما ونصف يوم على وجه الدقة لا أنام ولا أشرب ولا أكل ولا أغادر الغرفة ظلت راكعا على ركبتي أمامها أقول لها سأفطس، لكنني لن أخرج ما لم تكوني قد غفرت لى، واذا وضعتني على الباب مطرودا، مضيت أنتحر غرقا، اذ ما عساي أصبح بدونك؟ وظلت هي طول النهار كالمجنونة، فتارة تبكى، وتارة تريد أن تقتلني بسكين، وتارة تشتمنى واستدعت زاليوجيف وكيللر وزمتيوجنيكوف وسائر الآخرين، لتريهم حالى ولتذلني أمامهم هلموا نذهب إلى المسرح هذا المساء عصبة واحدة، وليبق هو هنا اذا لم يشأ أن ينصرف، فلست مضطرة أن أقبع بالبيت لأحرسه سيقدم اليك الشاى دون أن أكون حاضرة يا بارفيون سميرنوفتش؛ لا بد أنك اليوم جائع ورجعت من المسرح وحيدة وقالت لي انهم جبناء رعديدون انهم يخافون منك، ويريدون أن يخيفوني أنا أيضا منك قالوا لي أنه لن ينصرف هكذا انه لا يتورع عن قتلك، ولكنني، أنا، حين سأمضى إلى غرفتي للنوم بعد قليل، لن أقفل الباب بالمفتاح،

فانظر إلى أي حد أخاف منك أريد أن تعرف هذا وأن تراه هل شربت شايا؟ لا، ولن أشرب تريد أن تظهر أنفة وكبرياء، ولكن هذا لا يناسبك كثيرا وفعلت ما قالت لم تقفل الباب بالمفتاح وحين خرجت في الصباح من غرفتها أخذت تضحك، قالت: أتراك جننت؟ أتريد أن تموت من الجوع حقا؟ قلت لها: اغفر لي لا أريد أن أغفر لك ولقد أنبأتك بأنني لن أتزوجك هلالبثت على هذا المقعد حقا طوال الليل بدون أن تنام؟ نعم، لم أنم لحظة واحدة ما أعظم هذا المكر ألن تحتسي شيئا من الشاي؟ ألن تتعشى أيضا؟

قلت لك لا أريد الا أن تغفري لي ليتك تعلم إلى أي حد لا يناسبك هذا الوضع انه لا يناسبك أكثر مما يناسب البقرة أن يوضع على ظهرها سرج أتراك تتصور أنك بهذا تخيفني؟ ولكن فيم يهمني أنا أن يكون بطنك خاويا؟ هه وغضبت لكن غضبها لم يدم طويلا، وعادت إلى التهكم على أدهشني أن يزول غضبها بمثل تلك السرعة، مع ما يتصف به طبعها من حقد وميل إلى الانتقام عندئذ خطر ببالى انني في نظرها أهون شأنا من أن تحقد على مدة طويلة وكان ما خطر ببالي حقا فقد سألتني هل تعرف ما البابا في روما؟فأجبتها: سمعت عنه هر وقالت:

هل درست التاريخ العام يوما يا بارفيون سيميونتش؟ لم أدرس

شيئا اذن سأعطيك كتابا تقرأ فيه قصة بابا غضب من امبراطور، فاضطره أن يظل ثلاثة أيام لا يشرب ولا يأكل، جاثيا على ركبتيه، حافي القدمين، عند مدخل قصره، إلى أن تفضل فعفا عنه وغفر له هل تتصور ما قد دار في ذهن الامبراطور الراكع من أفكار خلال تلك الأيام الثلاثة، وما قد حلف بينه وبين نفسه من أيمان؟ ولكن انتظر سأقرأ عليك هذا بنفسى وركضت تجيء بالكتاب وقالت لي هي أشعار وأخذت تقرأ على فقرة يدور الكلام فيها على مشاريع الانتقام التي آلى ذلك الامبراطور على نفسه لينفذها، بينما كان راكعا مذلا خلال تلك الأيام الثلاثة وأضافت تسألني: هل يمكن أن لا يعجبك هذا يا بارفيون سيميونوفتش؟ قلت لها ان كل ما قرأته صحيح ها انك ترى هذا صحيحا واذن فلعلك أنت أيضا تقول لنفسك حين تصبح زوجتى، فلأذكرنها بهذا اليوم، ولانتقمن لنفسي لا أدري ذلك ممكن كيف لا تدري؟ لا أدري ليس هذا ما أفكر فيه الآن في أي شيء تفكر اذن؟ اليك ما أفكر فيه: حين تنهضين، وتمرين بقربى، فاتني أنظر اليك، وأتابعك بعيني، وأسمع حفيف ثوبك، فيسقط قلبى؛ وحين تغادرين الغرفة، أتذكر كل كلمة من كلماتك بلهجتها؛ وطوال الليل لم أفكر في شيء، وانما كنت أصغى الى أنفاسك، ولاحظت أنك تحركت في سريرك مرتين قالت ضاحكة: لعلك نسيت اللكمات التي هويت بها على أيضا؟ ربما كنت أفكر فيها، لا أدري فماذا اذا لم أغفر لك

ولم أتزوجك؟ سبق أن قلت لك: ألقى بنفسي في الماء فأموت غرقا قالت وقد شرد فكرها: وقد تقتلني قبل أن تلقي بنفسك في الماء؟ ثم غضبت وخرجت وبعد ساعة عادت فقالت لي عابسة سوف أتزوجك يا بارفيون سيمونوفتش لا لأنني أخشاك، فانه ليستوى عندي أن أهلك بهذه الطريقة أو بتلك لكنني لا أجد مخرجا أفضل من هذا المخرج، اجلس سوف تؤتي بعشائك واذا تزوجتك فسأكون امرأة وفية، فلا يراودنك شك في هذا، ولا تقلق وأضافت تقول بعد برهة صمت كنت أعدك من قبل خادمة حقيقية، لكنني كنت مخطئة وهنا حددت موعد زواجنا غير أنها هربت مني بعد أسبوع ولجأت إلى ليبديف ولما وصلت إلى بطرسبرج قالت لي أنا لم أعدل عن زواجك، لكنني أريد أن أتمهل، فما زلت حرة التصرف بنفسى، فانتظر أنت أيضا، اذا شئت أن تنتظر إلى هذه المرحلة وصلنا الآن ما رأيك في هذا كله يا ليون نيقولا يفتش؟

فأجاب الأمير وهو ينظر إلى روجويين بحزن: ما رأيك أنت؟ فهتف روجويين قائلا: هل لي أنا من رأي؟ وأراد أن يضيف شيئا، لكنه أمسك عن الكلام، وقد ألم به كرب شديد. نهض الأمير من جديد لينصرف وقال بصوت خافت ولهجة حالمة كأنما هو يجيب عن سؤال خفى يطرحه هو نفسه في باطنه: على كل حال، لن أخلق

لك أي صعوبة، ولن أضع أمامك أي عثرة قال روجويين وقد انتعش وسطعت عيناه: هل تعرف ما سأقوله لك؟ اني لا أفهم أن تتنازل لى عنها هذا التنازل أتكون قد كففت عن حبها تماما؟ كنت في السابق حزينا مغموما لاحظت أنا هذا بوضوح ولماذا جئت إلى هنا مسرعا ذلك الاسراع كله؟ أمن باب الشفقة؟ قال روجويين ذلك وقد تقلصت شفتاه بابتسامة ساخرة فسأله الأمير: أظن أنني أكذب عليك وأخدعك؟ لا اني أثق بك لكنني لا أفهم موقفك لا بد أن شفقتك أعنف من حبي والتمع في عيني روجويين كره تعجز الكلمات عن التعبير عنه قل الأمير مبتسما: ان حبك القوى يشبه الكره الشديد حتى ليكادان يختلطان واذا انقضت هذه العاطفة يوما فسيكون الأمر عندئذ أنكي وأدهى يا عزيزي المسكين بارفيون، أنا الذي أقول لك هذا ماذا؟ أتعتقد أنني سأذبحها؟ ارتعش الأمير وقال: ـ ستكرهها في يوم من الأيام كرها رهيبا، بسبب هيامك بها الآن، وبسبب ما تحمله اليوم من آلام أما أنها يمكن أن تفكر في تزوجك، فهذا شيء لا أفهمه حقا، فحين أنشت به لم أكد أصدقه، وشعرت منه بحزن لقد سبق أن غيرت رأيها مرتين فتركتك قبل الاحتفال بالزفاف معنى هذا أنها كانت توجس شيئا.. فما الذي يمكن أن يردها الآن نحوك؟ أهو مالك؟ من السخف أن نفترض هذا الافتراض، لا سيما وأنك قد بددت منذ الآن جزءا كبيرا من ثروتك فهل يكون السبب هو

الرغبة في الزواج لا أكثر من ذلك؟ ولكن في وسعها أن تجد زوجا آخر غيرك وأي زوج آخر خير لها منك، لأنك أنت قد تذبحها، ولعلها تو جس هي ذلك وتتنبأ به أيكون جموح هواك، أو عنف هيامك هو الذي يجذبها اليك؟ قد يكون الأمر كذلك لقد سمعت أن هناك نساء يعشقن هذا النوع من العشق ولكن وأمسك الأمير عن الكلام وشرد فكره سأله رو جويين الذي كان يرصد أيسر حركة من حركات وجهه: لماذا ابتسمت أيضا حين نظرت إلى صورة أبي؟ لماذا ابتسمت؟ ابتسمت لفكرة خطرت ببالي، هي أنك لولا هذا الهيام الذي يعذبك، لأصبحت تشبه أباك خلال فترة وجيزة من الزمن: تحبس نفسك في هذا المنزل مع زوجة مطيعة بكماء، ولا يسمع منك أحد الا كلاما قليلا قاسيا، ولا تصدق انسانا بل ولا تشعر بالحاجة إلى أن تثق بانسان، وتكتفي بأن تجمع المال في الظل والصمت وفي أكثر تقدير، تهتم عند نهاية العمر بالكتب القديمة، وترسم اشارة الصليب باصبعين اسخر مني لقد قالت لي هذا الكلام نفسه منذ مدة غير طويلة، حين نظرت إلى هذه الصورة 0 ما أغرب التقاء رأيكما هذا الالتقاء سأله الأمير متحيرة: ماذا؟ هل جاءت إلى بيتك؟ نعم، وتأملت الصورة طويلا وسألتني عن المرحوم، وختمت كلامها قائلة: ذلك ما كنت ستصير اليه بمضي الزمن آن لك أهواء عنيفة عارمة يا بارفيون سيميونتش، أهواء تبلغ من العنف أنها يمكن أن تؤدي بك إلى

سيبيريا، إلى السجن، لولا أنك ذكى، ذلك أنك ذكى جدا تلك كانت كلماتها بنصها، صدق أو لا تصدق وكانت هذه أول مرة تقول لي فيها ذلك وأضافت تقول: كان يمكن أن تترك جميع السخافات التي تتعلق بها اليوم؛ واذ أنك محروم من الثقافة، فانك كنت ستتصرف عن كل شيء الا جمع المال كنت ستبقى في بيتك، كأبيك، مع أصحاب ملتك الحصيان حتى لقد ينتهي بك الأمر إلى اعتناق ملتهم انك تحب مالك حبا يبلغ من القوة أنك قد تجمع لا مليونين بل ربما عشرة ملايين، ولو اقتضى ذلك أن تموت جوعا فوق أكياس الذهب التي تملكها، لأنك تفعل كل شيء بهوى شديد وولع عنيف، ولا يقودك خطاك الا الهوى الشديد والولع العنيف، ذلك ما قالته لي بنصه، كلمة على وجه التقريب لم تكن قد كلمتنى بهذه اللغة في يوم من الأيام أنها لا تحدثنى عادة الا في سفاسف وتر هات، أو هي تأخذ تسخر منى وتهكم على وفي تلك المرة بدأت بالاستهزاء، ثم تجهم وجهها وأظلم واستعرضت المنزل كله كأنها كانت تشعر بخوف من شيء ما قلت لها: سوف أغير هذا كله، وأعيد ترتيبه، أو سوف أشتري منزلا آخر لزواجنا، فأجابتني قائلة:

ـ لا، لا، ما ينبغي تغيير شيء هنا سنعيش على هذا النسق نفسه أريد أن أقيم بقرب أمك حين أصبح زوجتك وعرفتها بأمي فأظهرت

لها احتراما كاحترام البنت أمها أن أمي مريضة منذ سنتين، وقد أصبحت لا تملك قواها العقلية كاملة؛ ولا سيما بعد أن مات أبى، فكأنها ارتدت إلى الطفولة منذ ذلك الحين ساقاها مشلولتان وهي لا تتكلم ولا تزيد على أن تحرك رأسها باشارة لمن يقصدونها اذا لم تؤت بطعامها فقد تظل يومين أو ثلاثة أيام لا تطلب شيئا وقد تناولت يد أمي اليمني، فضممت أصابعها لرسم اشارة الصليب، وقلت لها: بار كيها يا أمي، فسوف تكون زوجتى وعندئذ قبلت يد أمي بحرارة وقالت أنا على يقين من أن أمك تألمت كثيرا وحين لمحت هذا الكتاب الذي تراه سألتني: أأخذت تقرأ تاريخ روسيا اذن؟ هي التي قالت لي ذات يوم بموسكو: يجب عليك أن تتثقف قليلا، فتقرأ تاريخ روسيا، مثلا تأليف سولوفيف لأنك لا تعرف شيئا البتة وأضافت تقول أحسنت استمر سأضع لك بنفسي قائمة بالكتب التي يجب عليك أن تقرأها قبل كل شيء، هل تريد؟ لم تكن قد كلمتني بهذه اللهجة في يوم من الأيام، أبدا دهشت دهشة شديدة ذهلت ولأول مرة تنفست كما يتنفس انسان عادت اليه الحياة قال الأمير بصدق يسرني هذا كثيرا يا بارفيون، يسرني كل السرور من يدري؟ قد يشاء الله أن يجمع بينكما فصاح روجويين يقول مندفعا لن يكون هذا أبدااسمع يا بارفيون: اذا كنت تحبها هذا الحب كله، فهل يعقل أن لا تحرص على أن تستحق اعتبارها واحترامها؟ واذا كنت تحرص على

ذلك، فهل يعقل أن تيأس من الوصول اليه؟ لقد قلت لك منذ قليل اني لا أفهم كيف قبلت أن تزوجك ولكن لا بد أن يكون لقبولها هذا سبب، وان كنت لا أدر كه لا يمكن أن يشك المرء في هذا انها مقتنعة بحبك، ولكنها مقتنعة أيضا بأن لك مزايا معينة لا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك، وما ذكرته إلى الآن يأتي مؤيدا ومصدقا لاعتقادي هذا أنت نفسك تقول انها استطاعت أن تخاطبك وأن تعاملك بطريقة مختلفة كل الاختلاف عن الطريقة التي كانت تعمد اليها من قبل في مخاطبتك وفي معاملتك أنت كثير الشك شديد الغيرة، وذلك هو السبب في أن خيالك ضخم الشر الذي لاحظته فيها مما لا ش ك فيه أن رأيها فيك لس سيئا إلى الحد الذي يصوره لك وهمك، ويعبر عنه لسانك والا كان علينا أن نستم بأنها اذا تزوجتك كان تحكم على نفسها، عامدة متعمدة، بأن تهلك غريقة أو مذبوحة هل هذا معقول؟ من ذا الذي يمضي إلى الموت بارادته واعيا بصيرا؟ كان بارفيون يصغي إلى كلمات الأمير المختلجة المرتعشة، وهو يبتسم، ولم يسع الأمير الا يقول له مغموما: ما هذه النظرة العابسة المشئومة التي تلقيها على يا بارفيون؟ فهتف روجويين يقول أخيرا ن تهلك غريقة أو مذبوحة هيه صحيح اذا تزوجتى فمن أجل أن تذبح بيدى حتما لا هل يعقل يا أمير أن لا تكون قد فهمت حقيقة الأمر في هذه القضية كلها بعد؟ لا أدرك ماذا تعني جائز أن لا تفهمني على كل حال يزعم

بعضهم فعلا أنك على شيء من.. انها تحب رجلا آخر هل فهمت؟ انها تحب الآن رجلا آخر كما أحبها أنها وهذا الرجل الآخر، هل تعلم من هو؟ انه أنت، ماذا؟ ألم تكن تعرف هذا؟ أنا نعم، أنت لقد بدأت تحبك منذ حفلة عيد ميلادها لكنها تقدر أنه يستحيل عليها أن تتزوجك، لأنها لو تزوجتك لجللتك بالعار، ولأفسدت مستقبلك هي تقول الناس تعلم من أنا انها تؤكد هذا الكلام، ولم تتحرج من أن تعلنه لي جهارة هي تخشى عليك أنت أن تضعك وأن تلطخ شرفك بالعار أما أنا ففي وسعها أن تتزوجني، فليس في هذا ضير تلك هي قيمتي عندها، وذلك هو قدري في نظرها احفظ هذا ولكن كيف أمكن أن تهرب منك وأن تلجأ إلى ثم تهرب مني لتعود الى؟

ـ هه هل يستطيع المرء أن يعرف ماذا يدور في رأسها، وماذا يجول في خاطرها؟ هي الآن في حالة من حمى يوما تصيح قائلة لي انني أتزوجك كما يلقى المرء نفسه في الماء فلنتزوج بأقصى سرعة وتمضي تتعجل الاستعدادات بنفسها، وتحدد يوم الزفاف حتى اذا اقترب ذلك اليوم خافت أو راودتها أفكار أخرى أو ساورتها خواطر أخرى لا يدري ما هي الا الله لقد رأيتها بعينيك: انها تبكى، وتضحك، وتتخبط هنا وهناك كالمحمومة فأي غرابة في أنها هربت منك أنت أيضا؟ لقد هربت منك لأنها أدر كت عنف الهوى الجارف الذي تحمله

لك كان بقاؤها بقربك فوق طاقتها زعمت منذ قليل أنني اهتديت اليها أو عثرت عليها بموسكو ليس هذا صحيح انها هي التي سارعت إلى هاربة منك، وقالت لي حدد يوما للزواج، أنا مستعدة أحضر شمبانيا وهلم سمع الغجريات وكانت تصرخ لولاى لألقت نفسها في الماء منذ مدة طويلة أؤكد لك واذا كانت لا تلقي بنفسها في الماء حتى الآن، فربما كان ذلك يرجع إلى أنها ترانى أفظع من الموت غرقا انها تتزوجني حنقا وغيظا هتف الأمير يقول: ولكن كيف ترضى أنت أن كيف ولكنه لم يكمل كلامه وكان ينظر إلى روجويين مروعة فسأله روجويين وهو يضحك ضحكة ساخرة لماذا لا تكمل سؤالك؟ هل تريد أن أقول لك في أي شيء تفكر في هذه اللحظة؟ انك تسأل نفسك كيف يمكن أن تتزوجه الآن؟ كيف يمكن قبول مثل هذا الزواج والسكوت عنه ذلك هو شعورك وتلك هي عاطفتك حتما اعود فأكرر لك يا روجويين اني لم أجيء اليك لهذا الغرض، وان الفكرة التي كانت في ذهني ليست هذه الفكرة جائز أن لا تكون قد جئت لهذا الغرض، وأن لا تكون الفكرة التي كانت قائمة في ذهنك أول الأمر هي هذه الفكرة، ولكن لا شك في أن هذا هو ما تفكر فيه الآن دعك من المماحكة لماذا اضطربت هذا الاضطراب كله؟ هل كنت لا تعرف شيئا من ذلك حقا؟ انك لتدهشني تمتم الأمير يقول وقد بلغ ذروة الانفعال: ذلك كله غيرة يا روجويين هذا مرض. انك تفتقد الاعتدال

والقصد انك تغالى وتبالغ.. ولكن ما هذا الذي عندك؟

فأسرع بارفيون ينتزع من يدي الأمير سكينة صغيرة تناولها الأمير من على المائدة بقرب الكتاب دون وعي، وقال له وهو يعيد السكين إلى مكانها: دعها وواصل الأمير كلامه فقال: لكأنني كنت أوجس هذا كله حين وصلت إلى بطرسبرج لم أكن أحب أن أجيء كنت أريد أن أنسى كل ما يربطني بهذه المدنية ويشدني اليها، وأن استأصله من قلبي استئصالا ها استودعك الله ولكن ما هذا الذي عندك؟ كان الأمير، أثناء الكلام، قد تناول السكين مرة أخرى ذاهلا فانتزع روجويين السكين من يده، ورماها على المائدة السكين ذات شكل بسيط شائع قبضتها من قرن وعل، ونصلها يبلغ طوله نحو خمسة عشر سنتمترا، وعرضها يناسب هذا الطول فحين لاحظ روجويين دهشة الأمير من انتزاع السكين من يديه مرتين، تناول السكين غاضبة ودسها في الكتاب ثم رمي الكتاب على مائدة أخرى سأله الأمير ذاهلا مستغرقا في تفكيره: أنت تستعملها قطاعة ورق نعم لكنها سكين حديقه وهل يستحيل قطع صحائف الورق بسكين حديقة؟ لكنها جديدة تماما أي ضير في هذا؟ ألا أستطيع أن اشتري سكينة جديدة؟ كذلك صاح روجويين وقد انتابه حنق شديد وكان غضبه يزداد عند كلمة يقولها الأمير ارتعش الأمير وحدق إلى روجويين ثم قال ضاحكا وقد تاب

اليه وعيه كاملا ما دهانا؟ اعذرني يا عزيزى فانني حين يثقل رأسي ويعاودني مرضى كما حدث لي الآن أصبح ذاهلا ذهولا مضحكا ليس ذلك هو السؤال الذي كنت أريد أن ألقيه عليك نسيت ما الذي كنت أريد أن أسألك عنه استودعك الله قال روجويين: ليس هذا هو الطريق سيت من هنا سأريك الطريق ا الفرالانع ليت الحجرات نفسها التي سبق أن قطعها الأمير كان ك ر م روجويين يتقدمه قليلا ودخلا الصالون الكبير والذي كانت معلقة بجدرانه لوحات هي جميعا صور أساقفة ومناظر طبيعية لا يميز المرء فيها شيئا ان فوق الباب المفضي إلى الغرفة المجاورة لوحة شكلها غريب، فطولها يبلغ مترين وعلوها لا يزيد على ثلاثين سنتمترا أنها تمثل يسوع المسيح، المخلص، لحظة نزوله عن الصليب ألقى الأمير على الصورة نظرة سريعة وكأنه تذكر شيئا ما، لكنه لم يتوقف وهم أن يتخطى العتبة كان يشعر بانقباض في صدره وثقل في قلبه ويتعجل مغادرة هذا المنزل لكن روجويين توقف فجأة أمام اللوحة وقال جميع هذه اللوحات التي تراها هنا انما اشترى المرحوم أبي كل واحدة منها بروبل أو روبلين في مبيعات عامة كانت له هذه الهواية وقد فحص اللوحات رجل خبير، فوصفها جميعا بأنها غير ذات قيمة، الا هذه التي تراها فوق الباب والتي اشتراها أبي بروبلين أيضا فقد وصفها بأنها ليست غير ذات قيمة وقبل وفاة أبي، وجد من عرض عليه أن يشتريها منه

بثلاثمائة وخمسين روبلا؛ حتى أن سافليف، ايفان دمتر تش سافلين، وهو تاجر ثرى من كبار هواة الصور، قد عرض عليه أربعمائة روبل ثمنا لها وفي الأسبوع الماضي عرض على أخي سيمون سيمونوفتش خمسمائة روبل؛ ولكنني رفضت واحتفظت بها النفسي قال الأمير وقد اتسع وقته للتدقيق في اللوحة، وانعام النظر اليها:

ـ ولكن ولكن هذه اللوحة منسوخة عن لوحة هانس هولباين ويخيل إلى أنها نسخة ممتازة، رغم انني لست على جانب كبير من الخبرة والدراية في هذا المجال لقد رأيت هذه اللوحة في الخارج، ولا أستطيع أن أنساها ولكن ماذا بك؟ كان روجويين قد ترك اللوحة فجأة، واستأنف السير صحيح أن ما كان قد اعترى رو جويين من ذهول واهتياج يمكن أن يعلل تقلبات مزاجه هذه غير أن الانقطاع المباغت عن حديث لم يكن الأمير هو الذي بدأه قد أثار دهشة الأمير؛ كما أن امتناع روجويين عن الرد على سؤاله بدا له غريبا كذلك وهذا هو روجويين يسأل الأمير على حين فجأة بعد بضع خطوات: قل لي يا ليون نيقولا يفتش كنت أريد منذ مدة طويلة أن ألقى عليك هذا السؤال: أأنت تؤمن بالله أم لا؟ قال الأمير على غير ارادة منه: ما أغرب سؤالك وما أغرب نظرتك ودمدم روجويين يقول بعد صمت، كأنه قد نسى سؤاله مرة أخرى: انني أحب أن أنظر

إلى هذه الصورة فهتف الأمير يقول وقد ساورته فكرة مباغتة: هذه الصورة أن هذه الصورة يمكن أن تفقد بعض الناس ايمانهم فقال روجويين مؤيدا كلام الأمير على غير توقع حقا انها تفقد المرء ايمانه وكانا قد بلغا باب الخروج فقال الأمير وهو يتوقف فجأة كيف؟ أنا قلت كلامى من باب المزاح تقريبا، وأنت تأخذه مأخذ الجد لماذا سألتني منذ لحظة هل أومن بالله؟ لا لشيء هكذا وكنت أريد أن ألقي عليك هذا السؤال من قبل ان في هذه الأيام أناس كثيرين لا يؤمنون بالله لقد عشت في الخارج فهل صحيح ما كان يقوله لي احد السكيرين من أن الذين لا يؤمنون بالله هم في بلادنا، روسيا، أكبر عدد منهم في أي بلد آخر؟ لقد قال لي ذلك السكير: الالحاد أسهل علينا منه على الآخرين، لأننا سرنا شوطا أبعد وابتسم روجويين ابتسامة مرة انه حين ألقى سؤاله كان قد فتح الباب فجأة، وأنتظر خروج الأمير واضعا يده على قبضة الباب ودهش الأمير، لكنه تخطى العتبة، وتبعه روجويين الى فسحة السلم مغلقا الباب وراءه نصف اغلاق وبقى الرجلان واقفين وجها لوجه، وكأنهما لا يعرفان إلى أين وصلا من أمرهما ولا ما الذي يجب عليهما أن يفعلاه قال الأمير وهو يمد الى روجويين يده: طيب استودعك الله فدمدم روجويين وهو يشد على اليد الممدودة اليه شدة قوية، ولكن على نحو إلى تماما: استودعك الله وهبط الأمير درجة ثم التفت يستأنف

الكلام مع روجويين كان واضحا أنه لا يريد أن يتركه على تلك الحال، قال له مبتسما، وقد شحذت همته، عدا ذلك، ذكرى مباغته: فيما يتعلق بالايمان، أذكر انني في الأسبوع الماضي قد حدثت لى أربع مقابلات في غضون يومين ففي ذات صباح، أثناء سفرى على خط جديد من خطوط السكة الحديدية، ظللت أثرثر مدة أربع ساعات مع رجل اسمه س، كنت تعرفت اليه حينذاك كنت قد سمعت عن هذا الرجل كثيرا قبل ذلك، فعرفت فيما عرفت أنه ملحد انه رجل واسع الثقافة، غزير الاطلاع، وقد سرني أن أتيحت لي فرصة المناقشة مع عالم يبلغ ما يبلغه هذا الرجل من وفرة الاطلاع وكان فوق ذلك انسان جم التهذيب، فكان يكلمنى كما يكتم قرين قرينه، أو كما يكلم ندا له في سعة العلم وسداد الرأي انه لا يؤمن بالله غير أن هناك شيئا خطف انتباهي في مناقشته هو أنه طوال مدة حديثنا لم يبد أنه يواجه الموضوع الحقيقي، أو يعالج المسألة الحقيقية ومما فاقم دهشتى أنني قبل ذلك، كلما التقيت بزنادقة أو قرأت كتبا تذهب هذا المذهب، كان يبدو الى دائما أن هؤلاء الناس لا يتكلمون عن المسألة الحقيقية، وان كانوا يتكلمون عنها في ظاهر الأمر وقد عرضت على الرجل شعورى هذا، ولكن لعلني عرضته عليه عرضا مضطربا مبهما أو لعلني لم أحسن الافصاح ولم أحسن التعبير، لأن الرجل لم يفهم من كلامى شيئا البتة وفي المساء حللت بنزل للمبيت

وكانت جميع المناقشات، عند وصولى، تدور على جريمة ارتكبت في الليلة السابقة، خلاصتها أن اثنين من الفلاحين ليسا شاربين ولا كانا سكرانين، وهما صديقان منذ مدة طويلة، قد قررا بعد احتساء الشاى أن يستأجرا غرفة يبيتان فيها ولكن أحدهما كان قد لاحظ منذ يومين أن رفيقه ملك ساعة من فضة معلقة بحبل أصفر ومزدانة بلالىء من زجاج، ولم يكن الرفيق قد رأى هذه الساعة في حوزة رفيقه من قبل ليس الرجل لصا، حتى لقد كان أمينا مستقيما؛ لا ولا كان فقيرا اذا قيس بغيره من الفلاحين غير أن هذه الساعة قد أعجبته وأغرته إلى حد أصبح لا يستطيع معه أن يقاوم وأن يصمد فلما رأى رفيقه ينكفيء إلى الجهة الأخرى، استل سكينه، وتسلل اليه من وراء محاذرا، وحسب ضربته، ورسم اشارة الصليب رانا عينيه إلى السماء، وتمتم يدعو الله بلهجة مرة: اغفر لي يا رب، باسم يسوع المسيح، ثم ذبح رفيقه بضربة واحدة، كما يذبح خروف، وأخذ منه ساعته انفجر روجويين يضحك ضحكة شديدة من نوبة عصبية فكان هذا الضحك يثير الدهشة بعد المزاج القاتم الذي كان يستبد به منذ قليل وأخذ روجويين يصرخ في تشنج، والضحك يخنقه هذا ما يعجبني هذا أجمل من كل شيء الأول لا يؤمن بالله البتة، والثاني يؤمن به ايمانة يبلغ من القوة أنه يذبح الناس وهو يتلو دعاءه لا يا أمير، لا يا أخي، هذا شيء لا يمكن اختراعه اختراع لا، لا، هذا أجمل

من كل شيء حقا وما أن هدأ روجويين قليلا، وان كان الضحك ما يزال يرعش شفتيه على تشنج، حتى استأنف الأمير كلامه فقال: وفي صباح الغد خرجت أتجول بالمدينة قليلا فرأيت جندي سكران، قد اختلت ثيابه تماما، وراح يمشي على الرصيف الخشبي مترنحا وها هو ذا يقترب مني ويقول لياشتر مني هذا الصليب يا سيدى. انه من فضة وأنا أبيعك اياه بعشرين كو بكا رأيت في يده صليبا مربوطا بشريط أزرق مهترىء لا بد أنه قد انتزعه من عنقه منذ قليل ولكن الصليب من قصدير صرف، ذلك أمر تراه العين من أول نظرة هو صليب كبير الأبعاد، من الطراز البيزنطي، ذو ثمانية أفرع أخرجت من جيبى عشرين كوبكا، وأعطيتها السكران، ولم ألبث أن علقت الصليب بعنقى. ما كان أعظم فرحه بأنه استطاع أن يغش مارة ساذجة وانطلق على الفور يشرب بثمن صليبه خمرا، لا شك في ذلك البتة كان كل ما ألاحظه في روسيا يحدث في نفسي تأثيرا قويا كنت في الماضي لا أفهم من أمر بلدي شيئا، كنت جاهلا جهلا مطبقا وفي البلاد الأجنبية، أثناء السنين الخمس التي عشتها فيها، لم أكن قد احتفظت عن روسيا الا بذكرى خيالية تابعت سيري وأنا أقول لنفسي: لا، سأنتظر مدة أخرى قبل أن أدين هذا الخائن الله وحده يعلم ما يحدث في قلوب هؤلاء السكارى الضعيفة وبعد ساعة، بينما كنت عائدا إلى النزل، صادفت امرأة طيبة تحمل رضيعا ان

المرأة ما تزال شابة، ولعل الطفل في الأسبوع السادس من عمره لقد ابتسم لأمه لأول مرة منذ ولادته، ابتسم لها منذ لحظة، فاذا هي ترسم على نفسها اشارة الصليب بكثير من التقى سألتها وكنت أسائل الناس دائما لماذا رسمت اشارة الصليب أيتها الشابة؟ فأجابتني قائلة كفرحة الأم التي ترى أول ابتسامة في ثغر ابنها هي فرحة الرب حين يرى من علماء سمائه مذنبا يدعوه دعاء صادقا من أعماق قلبه، انها فلاحة بسيطة تلك التي عبرت لي، بهذه الألفاظ نفسها تقريبا، عن فكرة تبلغ هذا المبلغ من الرهافة، فكرة تنسب هذا الانتساب الصادق إلى المسيحية، فكرة تعبر دفعة واحدة عن روح الديانة المسيحية كلها، وهي أن الرب أبونا جميعا، وأن فرحة الرب بالانسان كفرحة الأب بابنه هذه فكرة أساسية من أفكار المسيح هي أم، طبعا ومن يدري؟ فلربما كانت زوجة ذلك الجندي اسمع يا بارفيون، لقد سألتني عن هذا الأمر منذ قليل، فاليك جوابى:

ـ ان جوهر العاطفة الدينية مستقل عن جميع البراهين، وجميع الأفعال السيئة وجميع الجرائم وجميع مذاهب الالحاد أن في هذه العاطفة شيئا لا يمكن أن تدر كه ولا يمكن أن تناله أدلة الملحدين في يوم من الأيام وسيظل الأمر على هذا النحو أبد الدهر غير أن أهم شيء هو أن هذا يلاحظ في النفس الروسية أسرع ما تكون

الملاحظة وأوضح ما تكون الملاحظة وتلك هي النتيجة التي أخلص اليها هذه قناعة من أولى القناعات التي تكونت في نفسي عن بلادنا روسيا هناك أمور كثيرة يجب أن تعمل يا بارفيون، أمور كثيرة يجب أن تعمل في عالمنا الروسي، صدقني تذكر لقاءاتنا وأحاديثنا بموسكو لم أكن أرغب أية رغبة في أن أعود الآن إلى هنا ولم أكن أتصور أن أجدك على هذه الحال أبدا وكفى هذا استودعك الله إلى اللقاء أسأل الله أن يكون معك قال الأمير ذلك ثم استدار وأخذ يهبط السلم فلما وصل إلى الفسحة الأولى، صرخ بارفيون يسأله من فوق: ليون نيقولا يفتش ذلك الصليب الذي اشتريته من الجندي، هل هو معك الآن؟ فأجابه الأمير وقد توقف من جديد نعم، هو معي أرنيه هذه غرابة أخرى تردد الأمير، ثم صعد درجات السلم، وأخرج الصليب من قميصه دون أن ينزعه عن عنقه فقال له روجوبين: هب لي هذا الصليب لماذا؟ هل أنت. .. أحمله وأعطيك صليبى فتحمله تريد أن نتبادل صليبنا؟ ليكن ذلك يا بارفيون اذا شئت سوف يسعدني هذا فلنكن أخوين. انتزع الأمير صليبه القصديري، وانتزع بارفيون صليبه الذهبي، وتبادلا الصليبين كان بارفيون صامتا لا يتكلم فما كان الم الدهشة التي شعر بها الأمير حين لاحظ أن الريبة والابتسامة المرة التي تكاد تكون ساخرة ما برحتا ظاهرتين في وجه أخيه في الصليب، أو قل على الأقل انهما تظهران ظهورا واضحا

في بعض اللحظات وأخيرا تناول روجويين يد الأمير صامتا، ولبث جامدا لايتحرك خلال برهة كأنما هو عاجز عن اتخاذ قرار، ثم جر الأمير في النهاية وراءه قائلا له في دمدمة خافتة لا تكاد تسمع:تعال، فاجتازا فسحة الطابق الأول، وقرعا جرس الباب المقابل، فسرعان مافتحت الباب امرأة عجوز محدودبة الظهر ترتدى سوادا وتضع على رأسها منديلا، فلما رأت روجويين انحنت أمامه انحناء شديدا دون أن تتكلم فسألها روجويين عن أمر من الأمور مسرعا، واقتاد الأمير يدخله البيت دون أن ينتظر جوابها واجتازا مرة أخرى حجرات كثيرة مظلمة، نظيفة نظافة خارقة، أثاثها قديم بارد متقشف مكسو بأغطية بيضاء؛ ودون أن يطلب روجويين الإبلاغ عن حضوره، أدخل الأمير رأسا في غرفة صغيرة لها مظهر صالون، يقطعها حاجز من خشب الأكاجو اللميع، وفي طرفي الحاجز بابان صغيران، ووراءه غرفة النوم في أغلب الظن في ركن من الصالون، على مقعد قرب المدفأة، كانت تجلس امرأة عجوز صغيرة، لا يبدو أنها طاعنة في السن كثيرا، لكن شعرها قد أبيض تماما، وعقلها قد ارتد إلى الطفولة يقتنع المرء بذلك منذ أول نظرة انها ترتدي ثوبا من صوف أسود، وتلف عنقها بمنديل كبير أسود، وتضع على رأسها طاقية ناصعة البياض مزدانة بأشرطة سوداء وكانت قدماها موضوعتين على دكة صغيرة وبقربها تجلس عجوز أخرى، أكبر منها سنا، شديدة

النظافة، مرتدية ثياب الحداد أيضا، وعلى رأسها طاقية بيضاء هي الأخرى لا شك أنها قريبة فقيرة من قريبات العجوز الأولى وكانت الثانية تحبك بالأبرة جوربا لا بد أنهما تبقيان على هذه الحال طول الوقت لا تتكلمان فحين رأت العجوز الأولى روجويين والأمير ابتسمت لهما وحنت رأسها عدة مرات باشارات تعبر عن العاطفة والرضى قال لها رو جوين بعد أن قبل يدها: أماه، هذا صديقي الكبير الأمير ليون نيقولا يفتش ميشكين لقد تبادلنا صلينا وكان لي بمثابة الأخ في فترة ما بموسكو، وله على الاء كثيرة. بار كه يا أماه، كما لو كان ابنك انتظري يا أماه، سأساعدك في ضم أصابعك ولكن العجوز رفعت يدها اليمنى قبل أن يتسع وقت روجويين لأن يلمسها، فضمت ثلاثة من أصابعها، ورسمت اشارة الصليب فوق رأس الأمير ثلاث مرات بكثير من التقى والخشوع ثم حنت له رأسها من جديد باشارة ودود حنون. قال بارفيون: تعال الآن يا ليون نيقولا يفتش فمن أجل هذا وحده انما جئت بك إلى هنا وأضاف يقول للأمير حين بلغا فسحة السلم انها لا تفهم شيئا مما يقال لها، ولم تفهم شيئا من كلامي، ومع ذلك باركتك معنى ذلك أنها أرادت من تلقاء نفسها طيب أستودعك الله لقد آن الأوان لنا كلينا قال روجويين ذلك وفتح الباب فهتف الأمير قائلا وهو ينظر اليه نظرة فيها عتب رفيق: دعني أعانقك على الأقل قبل أن أنصرف وأراد الأمير أن يحتضنه بذراعيه ولكن

بارفيون ما كاد يهم أن يرفع ذراعيه حتى عاد يسبلهما أنه لم يستطع أن يعزم أمره وأشاح وجهه حتى لا يرى الأمير، وجمجم يقول بصوت مبهم وهو يضحك حكة غريبة: لا تخف لن أقتلك من أجل ساعة، وان كنت قد أخذت صليبك لكن وجهه انقلب فجأة، فاذا هو يشحب شحوبا رهيبا، واذا شفتاه تأخذان بالارتجاف، واذا عيناه تسطعان. ورفع ذراعه، وعانق الأمير عناقا قويا، وقال بصوت لاهث: خذها ما دام هذا هو القدر هي لك اني اتنازل لك عنها تذكر رو جوين ثم ترك الأمير دون أن يلقى عليه نظرة، وعاد يدخل مسرعا ويغلق الباب وراءه بقرقعة شديدة.

الفصل الرابع

الساعة قاربت الثانية والنصف لم يجئ الوقت الأمير الجنرال ايبانتشين في بيته، فوضع بطاقته، له وقرر أن يمضى الى فندق الميزان، عسى أن يجد فيه كوليا، أو يترك له كلمة إذا لم يجده فقيل له في الفندق أن نيقولا آرداليونتش قد خرج في الضحى، وطلب أن يذكر لمن يسأل عنه أنه قد يعود في نحو الساعة الثالثة، فاذا بلغت الساعة الثالثة والنصف قبل أن يعود فيكون معنى ذلك أنه سافر بالقطار إلى بافلوفسك ليزور الجنرالة ايبانتشين، وأنه سيتغدى هناك بقى الأمير في الفندق ينتظر، وانتهز الفرصة فأمر لنفسه بغداء ولكن كوليا لم يظهر لا في الساعة الثالثة والنصف، ولا في الساعة الرابعة فخرج الأمير من الفندق وأخذ يمشي على غير هدى ان بطرسبرج تعرف عند بداية الصيف في بعض الأحيان أياما لذيذة مضيئة دافئة هادئة ولقد كان ذلك اليوم واحدا من تلك الأيام النادرة، كأنما على عمد ظل الأمير يطوف في المدينة زمنا دون هدف أو غاية انه لا يعرف المدينة معرفة جيدة وكان يتوقف أحيانا عند مفارق الطرق أمام بعض المباني، أو يتلبث في الميادين والساحات،

أو يقف على بعض الجسور وفي لحظة من اللحظات دخل مطعم حلوى ليستريح قليلا لقد كان ينعم النظر في المارة باستطلاع قوي وفضول شديد أحيانا، ولكنه في أكثر الأحيان لا يلاحظ المارة، ولا يعرف أين هو انه الآن في حالة قلق عميق وتوتر أليم، وهو في الوقت نفسه يشعر بحاجة قصوى إلى العزلة انه يريد أن يخلو إلى نفسه وحيدا، وأن يستسلم لألم ذلك التوتر استسلاما سلبيا، فلا يسعى إلى أي مخرج منه؛ وهو يدفع سيل الأسئلة التي كانت تغزو قلبه ونفسه، يدفعها عنه مشمئزا؛ ويجمجم قائلا لنفسه دون أن يشعر تقريبا أأنا مسئول عن هذا كله؟

ـ وفي نحو الساعة السادسة وجد نفسه على رصيف خط السكك الحديدية الذي يصل بين تسار سكوى وسلو ان العزلة قد أصبحت ثقيلة الوطأة على نفسه فهو لا يطيقها ولا يحتملها آن اندفاعة جديدة قد استولت على قلبه بقوة وحرارة، وان ضياء ساطعا قد أنار الظلمات التي كانت تملأ نفسه بالغم والقلق اشترى تذكرة سفر الى بافلوفسك، متعجلا أن ينطلق بأقصى سرعة غير أن هناك شيئا كان يلاحقه ويطارده ولا شك، شيئا واقعيا لا خياليا كما لعله كان يظن فما ان هم أن يركب القطار، حتى رمي تذكرة السفر على الأرض، وغادر المحطة واجما مفكرا مضطربا وبعد قليل، حين صار في

الشارع، بدا كأنه تذكر شيئا ما على حين فجأة، كأنه أدرك شيئا غريبا جدا كان يقلقه منذ مدة طويلة لقد باغت نفسه مشغولا بأمر ما برح يلازمه منذ زمن لكنه لم يكن قد لاحظه حتى ذلك الحين انه منذ كان في فندق الميزان وربما قبل ذلك، قد أخذ فجأة يبحث عن شيء من حوله بين الفينة والفينة انه كان ينسى هذا الشيء أحيانا، حتى لقد كان ينساه مدة طويلة، مدة نصف ساعة، لكنه ما يلبث أن يلتفت بغتة من جديد، ليعود يبحث من حوله قلقا ولكنه ما آن لاحظ في نفسه هذه الاندفاعة المرضية التي كانت حتى ذلك الحين غير شعورية والتي كانت قد استولت على نفسه منذ مدة طويلة، حتى انبجست أمامه على حين فجأة ذكرى أخرى أهتم بها اهتماما قويا تذكر أنه حين لاحظ أنه ما انفك يبحث عن شيء ما حوله، انما كان واقفا على الرصيف أمام الواجهة الزجاجية لاحدى الدكاكين، وأنه كان ينعم النظر بكثير من الاستطلاع والاهتمام في الأشياء المعروضة داخل الواجهة فأصر عندئذ على أن يتحقق من أنه قد وقف أمام تلك الدكان فعلا، منذ ما لا يزيد عن خمس دقائق تقريبا فاذا لم يكن ذلك وهما من أوهام الخيال لا أكثر، أفلا يكون من الجائز أنه خلط بين الأمور؟

هل لتلك الدكان وتلك الأشياء المعروضة في واجهتها وجود حقا؟

ذلك أنه كان يحس فعلا، منذ مطلع النهار، أنه في حالة مرضية تكاد تكون نفس الحالة التي كان يحسها في الماضي عند بداية نوبات مرضه القديم كان يعلم أنه يصبح في تلك الفترات ذاهلا إلى أبعد حدود الذهول، وأنه يتفق له عندئذ أن تختلط عليه الأشياء وتتشابه عليه الوجوه، اذا هو لم ينتبه اليها انتباها خاصا مشدودا غير أن هناك سببا خاصا كان يدفعه الى التحقق من أنه وقف أمام ذلك الدكان فعلا حينذاك لقد كان بين الأشياء المرتبة في الواجهة الزجاجية شيء نظر اليه حتى لقد قدر له ثمنا هو ستون كوبكاء انه يتذكر هذا الأمر رغم ذهوله ورغم اضطرابه فاذا كانت تلك الدكان موجودا، واذا كان ذلك الشيء موجودا في الواجهة بالفعل، فانما يكون قد توقف هنالك بسبب ذلك الشيء ويترتب على هذا أن ذلك الشيء قد همه في ذاته إلى درجة بعيدة فلفت انتباهه حتى في حالة الاختلاط الأليمة تلك التي كان عليها حين خرج من المحطة مشي الأمير وهو ينظر إلى اليمين بما يشبه أن يكون خوفا، وقلبه يخفق من شدة القلق وفرط نفاد الصبر ولكن ها هي ذي الدكان لقد وجدها أخيرا كان قد ابتعد عنها قرابة خمسمائة خطوة حين بدا له أن يقفل راجعا وها هو ذا الشيء الذي قدر له ثمنا هو ستون كوبكا قال الأمير مؤكدا تقديره: نعم، ستون كوبكا، انه لا يساوي أكثر من ذلك وضحك لكن ضحكه كان هستيرية وشعر بثقل في قلبه، وانقباض في صدره هو

يتذكر الآن تذكرا واضحا أنه منذ قليل، في هذا المكان نفسه، أمام هذه الواجهة ذاتها، قد التفت بقوة، كما التفت في الصباح حين فاجأ نظرة يلقيها عليه رو جويين فلما تأكد أنه لم يخطيء الظن وذلك أمر كان موقنا به يقينا مطلقا حتى قبل أن يتحقق منه ترك الدكان وابتعد مسرعه ان عليه أن يفكر في هذا كله بأقصى سرعة لقد وضح الآن أن ماحدث في المحطة لم يكن وهما كذلك، وأن شيئا واقعيا لا شك أنه ذو صلة بكل قلقه السابق قد حدث له فعلا الا أن نوعا من نفوز داخلى لا يقاوم قد تغلب عليه أيضا، فلم يشأ أن يفكر لقد عدل عن التفكير عدو لا تاما وها هو ذا يفكر في أمور أخرى تذكر، فيما تذكر، أن نوبات الصرع التي كان يعانيها، كانت تشتمل على لحظة تسبق النوبة بزمن قصير جدا وذلك حين توافيه النوبة أثناء اليقظة لا أثناء النوم، لحظة يضطرم فيها ذهنه فجأة وسط الحزن وظلمات النفس والاختناق، وتستعر فيها جميع قواه الحيوية دفعة واحدة، فيتضاعف احساسه بالحياة، ويشتد وعيه لذاته ان الفكر والقلب يشرقان عندئذ بضياء ساطع، فاذا باضطرابه وشكوكه وقلقه ومخاوفه تهدأ على الفور، وتصير إلى نوع من طمأنينة عليا زاخرة بوعي العلة العلل وغاية الغايات غير أن تلك اللحظات أو تلك الومضات ليست بعد، الا استشرافا للهنيهة الأخيرة، للثانية الأخيرة التي تبدأ بها النوبة هي ثانية لا تطاق طبعا ولقد كان اذا فكر في هذا بعد أن تعود اليه صحته،

كان يقول لنفسه: ما هذه الومضات وهذه الاشراقات التي نظن أنها ومضات واشراقات وعي أعلى، ومن ثم حياة عليا، ما هي اذن الا مرض، ما هي الا فساد الحالة السليمة، فاذا كان الأمر كذلك لم يكن ثمة حياة عليا، بل حالة يجب أن تعد من أدنى الحالات ومع ذلك قاده هذا إلى استنتاج مفارق غريب إلى أبعد حدود المفارقة والغرابة فقال يحسم الأمر أي ضير في أن تكون هذه الحالة مرضا، أي ضير في أن تكون هذه الحالة حالة توتر غير سوي، ما دامت النتيجة، أي ما دامت تلك اللحظة التي يتذكرها المرء ويتأملها حين تعود اليه صحته تبدو له أعلى درجة من درجات الاتساق والانسجام والجمال، وما دامت تحدث له عاطفة لا عهد له بها ولا خطرت بباله، هي عاطفة التمام والامتلاء، والقصد والاعتدال، والسكينة والطمأنينة، والاندماج بالصلاة في أعلى مركب للحياة؟

كانت هذه التعبيرات الضبابية تبدو له مفهومة تماما، رغم أنها ما تزال ضعيفة غير قوية أما أن ثمة جمالا وتواصلا بالصلاة، ومركبا أعلى للحياة، في حقيقة الأمر، فذلك ما لم يكن يراوده فيه ريب، ولا يمكن أن يقبل فيه أي شك ذلك أن ما يحسه في تلك اللحظات ليس أخيلة سراب أو رؤي أحلام مرضية باطلة، كتلك التي تنشأ عن الحشيش أو الأفيون أو الخمر، مما ينحدر بالعقل ويفسد النفس ان

في امكانه أن يحكم في هذا حكمة سليمة عند الخروج من حالته المرضية لا، لا، أن تلك اللحظات انما هي جهد خارق في سبيل الوعى اذا كان لا بد من وصف تلك الحالة بكلمة وهي في الوقت نفسه التعبير المباشر عن الوعي ذاته واذا كان يتفق له أن يقول لنفسه بوضوح وجلاء في تلك الثانية، أعني في تلك اللحظة الأخيرة التي تسبق الغيبوبة: نعم، أن المرء مستعد لأن يهب حياته كلها في سبيل هذه اللحظة فانه كان واثقا كل الثقة بأن هذه اللحظة تساوى حياة بكاملها حقا على أنه كان لا يحرص حرصا شديدا على الجانب الجدلى المنطقى من استنتاجه، فان خيال العقل واضطراب النفس وبلاهة الذهن كانت تبدو له نتيجة واضحة لتلك اللحظات العليا فلو أراد أحد أن يشرع في مناقشة جادة معه حول هذا الموضوع لرفض المناقشة لا شك أن استنتاجه، أعني تقديره لتلك الثانية، كان يشتمل على خطأ، ولكن واقعية الاحساس ذاته كانت تفرض نفسها عليه وتقلقه كيف يمكنه أن لا يقيم وزنا للواقع، كيف يستطيع أن لا يعبأ بالواقع؟ ذلك أن ما حدث له قد حدث له حقا، في الواقع؛ ولقد قال لنفسه فعلا أثناء تلك الثانية أن هذه الثانية بما تحمله اليه من سعادة غير ذات حدود، يمكن أن تساوى حياة بكاملها لقد قال ذات يوم لروجين اثناء لقاءاتهما بموسكو:في تلك اللحظة يصبح ما جاء في رؤيا يوحنا مفهوما عندي، وهو قوله الخارق:لن يكون يومئذ

زمان، وقد أضاف الأمير يقول حينذاك مبتسم:لعل هذه اللحظة هي تلك اللحظة نفسها التي لم تتسع لأن ينسكب خلالها على الأرض ماء الجرة التي قلبها النبي محمد حين وافته غيبوبته، لكنه استطاع خلالها أن يرى وأن يتأمل جميع السماوات، نعم، كان يتفق له بموسكو أن يلقى روجويين في أحيان كثيرة، وكانت تجري بينهما أحاديث في موضوعات أخرى أيضا لقد قال لي روجويين منذ قليل انى كنت له بمثابة أخ ان روجويين يتكلم بهذه اللغة اليوم لأول مرة هذا ما خطر ببال الأميره خطر بباله وهو جالس على دكة تحت شجرة في حديقة الصيف كانت الساعة في نحو السابعة من المساء الحديقة خالية وهذه سحابة دكناء تحجب الشمس عند غروبها الهواء خانق كأنما توشك أن تهب زوبعة والأمير مرتاح إلى حالة التأمل هذه كان بذكرياته وفكره يتعلق بأي شيء يقع عليه بصره ان هذا يسره ويرضيه وكان ما ينفك يشعر برغبة في نسيان شيء ما، شيء راهن، شيء أساسي ولكنه ما أن ينظر حواليه حتى تعود اليه الفكرة المحاصرة التي كان يود أن يتخلص منها لقد تذكر، في لحظة من اللحظات، الحديث الذي جرى بينه وبين خادم المطعم عن جريمة القتل الغريبة كل الغرابة، التي وقعت منذ مدة قصيرة، وأثارت كثيرا من الصخب والمناقشات ولكنه ما كاد يتذكر هذا حتى حدث له شيء غريب أيضا ان رغبة ذات قوة خارقة لا تغالب، رغبة توشك أن تكون غواية، قد

سلبته ارادتـه فنهض عن الدكة التي كان جالسا عليها، وخرج من الحديقة، ومضى قدما نحو الضفة اليمني انه منذ قليل، حين كان على أرصفة نهر نيفا، قد سأل أحد المارة عن ذلك الحي من أحياء بطرسبرج، الذي يقع وراء النهر، فدلله الرجل عليه، لكن الأمير لم يذهب إلى ذلك الحى حينذاك ولم يكن يفيده أن يذهب اليه اليوم على كل حال لقد حصل على العنوان منذ مدة طويلة، وكان سهلا عليه أن يهتدى إلى منزل قرية ليبديف، لكنه كان على شبه يقين من أنه لن يجدها في بيتها ولا شك أنها سافرت إلى بافلوفسك، والا لكان كوليا قد ترك كلمة في فندق الميزان، كما اتفق على ذلك، فاذا كان يتجه الآن إلى منزل قرية ليديف، فانه لا يفعل ذلك من أجل أن يراها ان هناك شيئا آخر يغريه بالذهاب إلى هناك، شيئا هو فضول مظلم أليم ان فكرة جديدة مفاجئة قد ومضت في ذهنه ولكن كان يكفي الآن أن يسير وأن يعرف إلى أين هو يسير حتى يأخذ يمشي من جديد دون أن يلاحظ إلى أين هو يسير وأصبح ينفر أشد النفرة من الايغال في تحليل فكرته المباغتة، بل لقد أصبح يستحيل عليه ذلك وأخذ ينعم النظر في كل ما يقع عليه بصره، مركزا انتباهه تركيزا أليما أخذ ينظر إلى السماء والى نهر نيفا حتى لقد حاول أن يشرع في حديث مع طفل التقى به لعل حالته المرضية كانت تتفاقم ان وا العاصفة تقترب، ولو ببطء ان رعدا يسمع منذ الآن بعيد

وأصبح الهواء خانقا جدا وبدون سبب من الأسباب، استيقظت في ذهن الأمير ذكرى ابن أخت ليبديف، الذي رآه منذ ساعات، وأخذت تفرض نفسها عليه بغير انقطاع، كما تفرض نفسها على المرء جملة موسيقية تحاصره فيظل يرددها وقد ضاق بها أشد الضيق شيء غريب: أن ابن اخت ليبديف يتراءى له الآن بملامح القاتل الذي جاء ليبديف نفسه على ذكره حين عرفه بابن اخته، والذي كان الأمير قد قرأ قصته منذ مدة قصيرة كان الأمير، منذ وصوله إلى روسيا قد قرأ كثيرا وسمع كثيرا عن أمثال هذه القصص؛ وكان يتابع هذه المسائل باهتمام شديد واصرار عنيد حتى أنه أثناء حديثه مع خادم المطعم قد أظهر اهتماما قويا بتلك الجريمة نفسها التي كانت أسرة جيرامين ضحيتها وهو يتذكر الآن أن الخادم فتى ليس بالغبي البتة، فيه رصانة ووقار، وفيه روية وتعقل، ولكن الله وحده يعلم ما حققته ان من الصعب على المرء أن ينفذ إلى أعماق أناس جدد في بلد جديد وبدأ الأمير مع ذلك يؤمن بالنفس الروسية ايمانا قويا حارا ألم يلاحظ، خلال هذه الأشهر الستة، أشياء كثيرة، جديدة عليه، لا عهد له بها من قبل، ولم تخطر له ببال، ولا كان يتوقعها بحال من الأحوال؟ ولكن نفس الآخر ظلمات، والنفس الروسية ظلمات، ظلمات فوق ظلمات، أمام كثير من الناس ها هو ذا قد ارتبط بروجويين، منذ مدة طويلة، ارتباطا وثيقا، ارتباطا «أخويا»، ولكن هل هو يعرف روجويين؟

ثم ان هـذا كله يشتمل في بعض الأحيان على كثير من الغموض والفوضى والاضطراب والاختلاط والصغار وابن اخت ليديف ذاك يا له من فتي دعى دنىء كريه «فعلا، بماذا أسأت اليه؟ كذلك تساءل الأمير أهو الذي قتل أولئك الأشخاص الستة؟

ـ يبدو أني أخلط شيء غريب انني أشعر بـدوار ولكن ما كان أجمل وألطف محيا ابنة ليبديف الكبرى تلك التي كانت تحمل الطفل في ذراعيها وما كان أصغي تعبير وجهها الذي يكاد يكون وجه طفلة صغيرة، وما كان أروع ضحكتها التي تكاد تكون ضحكة طفلة صغيرة غريب أن ينسى ذلك الوجه وأن لا يتذكره الا الآن ان ليبديف الذي يقرع الأرض بقدميه ليروعهم، لعله يحبهم جميعا أعظم الحب، لعلهم يعبدهم عبادة والأمر الثابت الذي لا شك فيه ولا يقل يقينا عن أن اثنين واثنين أربعة، هو أن ليديف يحب ابن اخته كذلك حبا عظيما ثم كيف أمكنه أن يتولى اصدار حكم مبرم عليهم، هو الذي وصل منذ مدة قصيرة؟ كيف يحق له أن يصدر أحكاما من هذا النوع؟ هذه ليبديف نفسه: ألم يظهر اليوم أنه لغز، أنه مشكلة؟ هل كان يتوقع أن يجد ليديف هكذا؟ هل عرفه حتى اليوم في هذه الصورة؟ ليديف وكونتيسة بارى رباه اذا قتل روجويين، فانه لن يقتل على هذا النحو المشوش على الأقل لن يكون هناك فوضى كهذه الفوضى سلاح

يطلب صنعه وفقا لرسم معين، وستة أشخاص يذبحون دفعة واحدة في نوبة هذيان وجنون لا، أن روجويين لا يطلب صنع سلاح وفقا الرسم معين ولكن هل ثابت اذن أن روجويين سيقتل؟ ارتعش الأمير، وهتف يخاطب نفسه وقد اصطبغ وجهه بحمرة شديدة من الشعور بالخجل والعار أليست جريمة، أليست حطة مني أن أفترض هذا الافتراض بمثل هذه الصراحة السفيهة؟ وتستمر في مكانه مذهولا لقد تذكر فجأة محطة بافلوفسك التي كان فيها منذ حين، ومحطة نيقولا، والسؤال المباشر الذي ألقاه على روجويين عن النظرة وصليب روجويين الذي يحمله هو الآن معلقا بعنقه، ومباركا أم روجويين التي قاده اليها روجويين من تلقاء نفسه، والمعانقة التشنجية الأخيرة، وتنازل روجويين له عن حبيبته تنازلا نهائيا أعلنه روجويين منذ قليل وهو على سلم البيت وبعد ذلك كله يفاجيء نفسه باحثا بحثا متصلا عن شيء ما حوله وتلك الدكان وذلك الشيء المعروض في الواجهة الزجاجية، الذي قدر له ثمنا هو ستون كوبكا يا للحطة والصغار وها هو ذا الآن يسير إلى هدف خاص، تدفعه اليه تلك الفكرة المباغتة كان الكمد والألم قد استوليا على نفسه استيلاء تاما وأراد الأمير أن يعود الى الفندق رأسا حتى لقد استدار وأخذ يمشي في اتجاه الفندق، لكنه لم يلبث أن وقف بعد دقيقة واحدة، ففكر وعاد يسير في اتجاهه الأول وكان قد بلغ الضفة اليمنى وأصبح غير بعيد من

المنزل قال لنفسه مبررا : لا شك أنه لا يذهب الآن إلى هناك لتحقيق ذلك الغرض نفسه، ولا من أجل تلك الفكرة الخاصة، ذاتها كيف أمكن أن يخطر بباله هذا؟ نعم، لقد عاوده مرضه، ذلك أمر لا ريب فيه: ولعله نوبة ستوافيه في هذا اليوم نفسه فمن اقتراب النوبة انما تنشأ هذه الظلمات جميعها، والنوبة هي التي حملت اليه تلك الفكرة، ولكن الظلمات تبددت، والشيطان ولى هاربا، ولم يبق هنالك شكوك آن قلبه يفيض الآن فرحا وانه منذ زمن طويل لم يرها هي وهو في حاجة إلى أن يراها، ونعم انه يود لو يري روجويين فلو رآه لأمسك يده وذهبا اليها معا ان قلبه طاهر نقى.. أهو منافس لروجويين؟ ليذهبن إل روجويين منذ الغد ليقول له أنه رآها ألم يهرع إلى هنا، كما قال ذلك روجويين منذ قليل، لسبب واحد هو أنه يريد أن يراها؟ المله سجدها مع ذلك في بيتها، فهو ليس متأكدا من أنها سافرت إلى بافلوفسك نعم، ينبغي الآن توضيح كل شيء، حتى يستطيع هؤلاء وأولئك من الناس أن يقرأ بعضهم ما في قلوب بعض بغير التباس أو اشتباه فلا يكون بعد اليوم تنازلات ظلماء محمومة كتنازل روجويين، بل أفعال يقبلها المرء بحرية ووضوح هل يعجز روجويين عن تحمل الوضوح؟ لقد ادعى أنه يحب هذه المرأة حبا لا يشتمل لا على عطف ولا على شفقة أو رأفة صحيح أنه أضاف إلى ذلك قوله لعل شفقتك أكبر من حبي ولكنه قد تقول على نفسه هم أن يأخذ روجويين في

قراءة كتاب، أليس هذا وحده فعلا يشتمل على عطف أو على بداية عطف؟ أليس وجود هذا الكتاب بين يديه دليلا على أنه أدرك ادراكا كاملا ما يجب أن يكون عليه موقفه ازاء هذه المرأة؟ لا، ان في نفسه شيئا أعمق من الولهوهل وجه هذه المرأة لا يوقظ في النفس الا الوله؟ وهل يمكن أن يوقظ وجهها ولها في هذه الآونة؟ أن وجهها لا يأسر النفس كلها الا بالألم والعذاب اللذين يعبر عنهما، انه..

هنا أحس الأمير بذكرى كاوية أليمة تلسع قلبه نعم، ذكرى أليمة تذكر العذاب الذي سبق أن عاناه حين لاحظ فيها علائم جنون لأول مرة أن ذلك الاكتشاف قد رماه في هوة اليأس حينذاك، كيف أمكنه أن يتركها حين هربت منه إلى روجوين؟ كان ينبغي له أن يندفع في ملاحقتها ومطاردتها بدلا من أن ينتظر أنباءها وأخبارها ولكن هل يمكن أن لا يكون روجويين قد لاحظ أعراض جنونها حتى الآن؟ هم آن روجويين ينسب كل ما تفعله الى دوافع أخرى هي دوافع الهوى ان غيرته خطأ وضلال ماذا أراد أن يقول بافتراضه ذاك الذي أفصح عنه منذ قليل؟

ـ واحمر الأمير فجأة وأحس في قلبه بما يشبه أن يكون ارتجاف لكن مافائدة العودة الى هذه الذكريات؟ ان هناك جنونا في الطرفين كليهما أما فيما يتعلق به هو، فقد كان الأمير يرى أن من غير المعقول

أن يحب الانسان هذه المرأة حب غرام، بل لقد كان يرى أن ذلك أمر قاس وغير انسانى قال الأمير يحدث نفسه: نعم، ان روجويين قد تقول على نفسه ظالم أن له قلبا يزخر بالعاطفة، وهو قادر على أن يتألم وعلى أن يشعر بالشفقة وحين سيعرف الحقيقة كلها، حين سيقتنع بأن هذه المرأة مخلوقة بائسة مختلة العقل شبه مجنونة، فلن يسعه إلا أن يغفر لها كل الماضي، وكل آلامها ولسوف يصبح لها عندئذ خادمة وأخا وصديقة ومعينا سوف يرده العطف إلى الطريق القويم، وسوف تكون هي له تعليما من التعاليم، لأنها القانون الأساسي وربما القانون الوحيد الذي يحكم الوجود الإنساني،. ما أشد ندم الأمير الآن على السلوك الذي ملكه مع روجويين، وهو في نظره سلوك غير شريف، سلوك لا يغتفر لا، ليست النفس الروسية هي الظلمات، ليست هي اللغز، وانما اللغز نفسه هو، لأنه أمكن أن يتخيل تلك الشناعة أن روجويين قد وصفه بأنه أخ، لا لشيء غير بضع كلمات فيها حرارة ومودة قالها له بموسكو، فما باله هو ولكن ذلك كله لم يكن الا مرضا، لم يكن الا هذيانا سوف ينقضي كل هذا ما أغرب تلك الهيئة المتجهمة الذي بدت على روجويين حين قال له منذ قليل انهبسيل فقد ايمانه، لا بد أن الرجل يعاني ألما رهيبا هو يدعي أنه يحب أن ينظر الى لوحة هولباين: ليست المسألة أنه يحب أن ينظر اليها، بل المسألة أنه يشعر بحاجة إلى ذلك آن روجويين

ليس ذا طبيعة ملتهبة فحسب، بل هو كذلك ذو مزاج مناضل: انه يريد استرداد الايمان الذي فقده، يريد استرداده بأي ثمن، مهما يكلفه ذلك من عناء أنه يشعر الآن بضرورة ذلك، وهو من هذا في ألم شديد نعم، الايمان بشيء، الايمان بأحد ولكن ما أغرب تلك اللوحة، لوحة هولباين 1 هذا هو الشارع، وربما هذا هو المنزل الذي أبحث عنه نعم، هذا هو المنزل:

ـ رقم 19، دار زوجة الموظف فليسوف، هذه هي الدار قرع الجرس، وطلب ناستاسيا فيليبوفنا فأجابته صاحبة الدار بنفسها قائلة أن ناستاسيا فيليوفنا قد سافرت مند الصباح الى بافلوفسك، وأنها نزلت ضيفا على داريا ألكسيفنا، وانها قد تمكث عندها بضعة أيام أن السيدة فليسوفا امرأة قصيرة في نحو الأربعين من العمر، مدببة الوجه حادة العينين، لها نظرة ماكرة فاحصة سألت الزائر عن اسمه وقد لاح في وجهها شيء من معنى السر فأراد الأمير في أول الأمر أن لا يجيب عن سؤالها، لكنه ما لبث أن عدل عن رأيه، فعاد ليرجوها ملحا أن تنقل اسمه الى ناستاسيا فيليبوفنا فسجلت السيدة هذه التوصية بكثير من العناية والاهتمام، مصطنعة لهجة خاصة هي لهجة المسارة فكأنها تريد أن تقول: لا تخف لقد فهمت يظهر أن اسم الزائر قد أحدث في نفسها أثرا قويا ألقى الأمير عليها

نظرة ذاهلة، واستدار على عقبيه، وعاد يسير في الطريق المؤدي إلى فندقه لكن حالته الآن لا تشبه الحالة التي كان عليها حين قرع جرس باب السيدة فليسوفا لقد تغير مظهره كله في طرفة عين: فهو الآن يسير شاحب الهيئة، واهن العزم، معذب النفس، قلقا مضطربا؛ ركبتاه ترتجان، ابتسامة حائرة زائفة تلم بشفتيه الزرقاوين أن فكرته المباغتة، قد جاء الآن ما يؤكدها ويبررها وأحس الأمير مرة أخرى أن الشيطان استلمه فما الذي حدث فأكد فكرته وبر رها؟ لماذا يعتريه مرة أخرى هذا الارتجاف، وهذا العرق البارد، وهذه الظلمات الكثيفة في النفس؟ ألأنه رأى تينك العينين، من جديد؟ ولكن ألم يتعمد أن يترك حديقة الصيف، لغرض واحد هو أن يراهما؟ تلك كانت فكرته المباغتة لقد شعر برغبة قوية عنيفة في أن يرى تينك العينين، اللتين رآهما منذ قليل ليقتنع اقتناعا نهائيا بأنه سيجدهما لا محالة وهناك قرب تلك الدار فاذا كان قد رغب في رؤيتهما تلك، الرغبة القوية الحارة كلها، فلماذا أرهق هذا الارهـاق كله واضطرب ذلك الاضطراب كله حين رآهما، كأنه أمام حادث لم يكن في حسبانه؟ نعم، أنهما نفستينك العينين، لا مجال للشك في هذا الآن اللتين وشقتاه بنيراهما صباحا في محطة نيقولا وسط الجمهور حين نزل من القطار وهما نفس تينك العينين تماما اللتين شعر بثقلهما على كتفيه، بعد الظهر، في منزل روجويين، حين كان يهم أن يجلس لقد

أنكر روجوين ذلك حتى لقد سأل وهو يبتسم ابتسامة متقلصة باردة كالصقيع: هما عينا من؟.

وهاتان العينان نفسهما، رآهما الأمير مرة أخرى، مرة ثالثة في ذلك اليوم نفسه، قبل برهة قصيرة، في محطة خط تسار سكوى، عندما هم أن يركب القطار مسافرا لرؤية آجلايا لقد راودته عندئذ رغبة محمومة مسعورة في أن يقترب من روجويين وأن يقول لههما عينا من؟ ولكنه خرج من المحطة مسرعا، ثم لم يشب إلى وعيه الا أمام دكان بائع سكاكين، فقدر لشيء رآه في الواجهة الزجاجية، شيء له نصاب من قرن الوعل، قدر له ثمنا هو ستون كوبكا ان شيطانا عجيبا رهيبا قد استولى عليه استيلاء نهائيا، وأصبح لا يريد أن يتركه فذلك الشيطان هو الذي أوحى اليه أثناء تأمله جالسا تحت شجرة زيزفون في حديقة الصيف أن روجويين يلاحق كل خطوة من خطواته منذ الصباح، حتى اذا عرف أن الأمير لن يسافر إلى بافلوفسك وهذا وحده نبأ رهيب عنده قرر أن يذهب إلى هناك، إلى حي بطرسبرج القديمة، ليترقب فيما حول الدار وحول ذلك الرجل الذي عاهده في ذلك اليوم نفسه على أن لا يزورها،، وقال لهانه لم يجيء إلى بطرسبرج لهذا الغرض، حينئذ هرع الأمير الى تلك الدار باندفاعة مباغتة فأية غرابة إذن في أن يلقى هنالك روجويين؟ أنه

لم ير الا رجلا شقيا بائسا تعذبه خواطر مظلمة لكنها مفهوما ثم ان ذلك الرجل السيء الحظ لم يحاول حتى أن يختبيء نعم، لا شك أن روجويين قد كذب حين أنكر أثناء الحديث الذي جرى بينهما بعد الظهر لكنه في محطة تسار سكوى قد ظهر دون اختباء تقريبا واذا كان قد اختبأ أحد فان الأمير هو الذي اختبأ لا روجويين الذي يقف الآن قرب الدار لقد وقف روجويين منتظرا على الرصيف، المقابل، على مسافة خمسين مترا، عاقدا ذراعيه فوق صدره واضح أنه لا يحاول الاختباء، حتى لكأنه يرغب في أن يرى ان موقفه هو موقف المتهم، هو موقف القاضي، لا موقف الى موقف من فعلا؟ ولكن الأمير، بدلا من أن يقترب منه، مضي مبتعدا كانه لم يلمحه، مع أن أعينهم قد التقت، فلماذا؟ نعم، لقد التقت أعينهم، وتبادلا نظرة ألم يكن ينوي قبل ذلك هو نفسه أن يمسك يده وأن يذهب إلى هناك، في صحبته؟ ألم يكن ينوي أن يمر به في الغد ليقول له انه ذهب اليها؟ ومنذ قليل، في منتصف طريقه إلى الدار، ألم يتحرر من من شيطانه حين غمرت نفسه فرحة مفاجئة؟

ـ أم ترى كان في شخص روجويين أو قل في الوضع العام لهذا الرجل،طوال ذلك اليوم أي في مجموع أقواله وحركاته وأفعاله ونظراته، شيء يمكن أن يبرر توجسات الأمير الرهيبة وايحاءات

شيطانه المثيرة؟ ذلك كله كان يشتمل على ملاحظات تخطف البصر، ولكن يصعب تحليلها وترتيبها، ويستحيل كذلك أن ينسب اليها أساس منطقى ومع ذلك، رغم هذه الصعوبة، ورغم هذه الاستحالة، كانت تحدث انطباعا اجماليا لا يمكن التخلص منه، انطباعا يتحول من تلقاء نفسه إلى اقتناع مطلق. اقتناع، ولكن بماذا؟ آه لشد ما كان السخف المجيب والدناءة المنحطة في هذا الاقتناع، والصغار الشديد في هذا التوجس، لشد ما كان هذا كله يعذب الأمير؛ وما أعنف اللوم والتقريع اللذين كان الأمير يأخذ بهما نفسه لهذا كله كان الأمير يقول لنفسه مكررا معنفا بلهجة الاتهام والتحدي:أفصح عن ذلك الاقتناع بصراحة على الأقل، ان كنت تجرؤ عبر عن فكرتك بوضوح، بدقة، بغير موارية ومداورة أوه أنا انسان غير مستقيم، غير شريف هذا ما كان يضيفه وقد اعترته نوبة استياء تخضب وجهه بحمرة شديدة بأي عين سأجرؤ أن أرى هذا الرجل بعد الآن طوال حياتي؟ يا لهذا اليوم يا رب ما هذا الكابوس الثقيل وفي ختام هذه العودة الطويلة الشاقة من حي بطرسبرج القديمة، جاءت دقيقة استبدت بالأمير خلالها رغبة قوية لا تقاوم في أن يذهب إلى رو جويين فورة، وأن يعانقه ساكبا دموع الندامة، وأن يقول له كل شيء فيفرغ من هذه القضية دفعة واحدة ولكنه كان قد وصل إلى الفندق ان الفندق، والممرات التي فيه، والغرفة التي نزلها الأمير، والمبني نفسه، أن

ذلك كله كان قد أثار انزعاج الأمير إلى أقصى حد، منذ أول وهلة وقد شعر عدة مرات خلال ذلك النهار بنفور خاص واشمئزاز شديد حين كان يتصور أن عليه أن يعود الى ذلك الفندق وها هو ذا الأمير يقول مخاطبا نفسه:ولكن ماذا أصابنى؟ اني أشبه امرأة مريضة فأنا أو من اليوم بجميع أنواع التوجسات ومشاعر التنبؤ قال الأمير ذلك لنفسه بلهجه فيها غضب وسخرية وحين وافته هذه الفكرة، توقف أمام الباب الكبير ان حادثا واحدا من بين جميع أحداث النهار يحتكر في هذه اللحظة فكره، لكن الأمير يواجهه الآن بهدوء وبرود مالكا كامل عقله،، لا من خلال كابوس ثقيل، لقد تذكر السكين التي كانت على مائدة روجويين وها هو ذا يتساءل مستغربا فكرته نفسها:ولكن أي غرابة في أن يكون على مائدة روجويين ما يشاء من سكاكين؟،. وتضاعف استغرابه حين تذكر، على حين فجأة، توقفه بعد الظهر أمام دكان بائع السكاكين وها هو ذا يهتف قائلا:ولكن عجيب أية علاقة يمكن أن تكون بين.. ولم يكمل جملته ان نوبة جديدة من الشعور بالخجل والخزي، بل ومن الشعور بالكمد واليأس تقريبا، قد سمرته في مكان أمام الباب، ولبث جامدا برهة من الوقت لا يتحرك انها لظاهرة تحدث كثيرا، أن تستيقظ في ذهن المرء ذكرى لا تطاق، ذكرى رهيبة، فاذا هي تشله عن الحركة بضع ثوان قال الأمير يكرر لنفسه متجهم الوجه مظلم الهيئة:نعم، أنا انسان بلا قلب، أنا رجل

جبان،، وتحرك إلى أمام ليدخل، ولكنه توقف من جديد. ان مدخل الفندق، وهو في العادة قليل الضوء، كان عندئذ مظلما ظلاما حالكا، بسبب اقتراب هبوب العاصفة التي أعتمت نهاية ذلك النهار وقد هبت العاصفة في اللحظة التي عاد فيها الأمير، وأخذت تهطل أمطار غزيرة كالسيول فلما هم الأمير أن يدخل بعد وقفة قصيرة عند عتبة الباب الخارجية، لمح في الداخل على حين فجأة، رجلا واقفا في الظلام على أول السلم، كان يبدو على هذا الرجل أنه ينتظر شيئا، لكنه سرعان ما غاب في مثل لمح البصر سرعة واذ لم يميز الأمير قسمات وجهه، فانه لا يستطيع أن يقول جازمة من هو على وجه الدقة لا سيما وأن ناسا كثيرين يمرون هناك، ففي كل فندق حركة لا تنقطع، والناس بين داخل وخارج وسائر في الممرات غير أن الأمير قد اقتنع على الفور اقتناعا تاماه لا يتزعزع بأنه قد تعرف ذلك الرجل وأن ذلك الرجل لا يمكن أن يكون أحدا آخر غير روجويين وها هو ذا يسرع مقتفي أثره مطاردا خطاه على السلم انه محطم القلب وقال لنفسه واثقا:سيتضح الآن كل شيء أن السم الذي اندفع فيه الأمير يفضي إلى ممرات الطابق الأول والطابق الثاني انه سئم من حجر، كسلالم جميع المباني القديمة، وهو مظلم ضيق، يصعد ملتفا حول عمود ضخم وقد جعلت في هذا العمود عند الفسحة الأولى فجوة لا يزيد طولها عن قدم ولا يزيد عرضها عن

نصف قدم عمقا، فيستطيع رجل أن يقف فيها فلما وصل الأمير إلى هذه الفسحة لاحظ على الفور، رغم الظلام، أن أحدا كان مختبئا في الفجوة، فأراد في أول الأمر أن لا يكترث بالأمر وأن يتخطى الفتحة دون أن ينظر إلى يمين ولكنه لم يكد يتقدم خطوة واحدة حتى أصبح لا يستطيع أن يسيطر على نفسه فالتفت عندئذ التقت بعينيه العينان التقتا بعينيه فجأة ان الرجل الذي كان مختبئا في الفجوة قد تقدم خطوة ليخرج منها وبقى الرجلان واقفين وجهة الى وجه، متلامسين تقريبا، خلال ثانية ثم أمسك الأمير الرجل من كتفيه وجره في السلم نحو الضوء ليتفرس فيه مزيدا من التفرس سطعت عينا رو جويين، وتقلصت شفتاه بابتسامة حنق ورفع يده اليمني التي كانت تشهر أداة من الأدوات لم يخطر ببال الأمير أن يمده ولكن الأمير تذكر، فيما بعد، أنه صرخ يقول روجويين لا أصدق هذا؟ لقد بدا للأمير عندئذ أن شيئا ما يفغر أمامه على حين فجأة ان ضياء داخلي، ذا سطوع خارق قد أثار نفسه لعل الأمر لم يدم الا نصف ثانية ولكن الأمير احتفظ بذكري واضحة واعية عن النبرة الأولى للصرخة الفظيعة التي انطلقت من صدره والتي تعجز جميع قواه عن كبحها ثم انطفأ شعوره في لحظة، وغاب في الظلمات لقد اعترته نوبة صرع، وذلك أمر لم يحدث له منذ زمن طويل جدا تعلمون أن هذه النوبات تباغت المريض مباغتة، فيتشوه عندئذ وجهه وتتشوه

نظرته تشوها سريعا لا يصدق ان تشنجات وانقباضات تقلص جسمه كله وقسمات وجهه جميعها وان أنات رهيبة لا يتصورها الخيال ولا يمكن أن تشبه بشيء، تخرج عندئذ من صدره هي أنات ليس فيها ما يذكر بالانسان؛ ويصعب بل ويستحيل أن يتخيل المرء حين يسمعها أن هذا المسكين هو الذي يطلقها، وانما يميل به الظن إلى الاعتقاد بأنها صادرة عن كائن آخر مختبيء في داخل المريض هذا، على الأقل، ما يقوله كثير من الأشخاص حين يريدون أن يصفوا شعورهم ازاء تلك الأتات ان منظر المريض الذي اعترته نوبة الصرع يحدث في نفوس كثير من الناس رعبة لا سبيل إلى مغالبته لعل روجويين قد شعر بمثل ذلك الرعب المفاجيء ولعل هذا الرعب المفاجيء حين أضيف إلى انفعالات أخرى هو الذي جمده في مكانه فأنقذ الأمير من طعنة السكين الذي كانت ستقتله لا محالة لم يتسع وقت روجويين لأن يدرك النوبة التي جندلت خصمه ولكنه حين رأي خصمه يترنح ويسقط منقلبا على السلم فجأة، مصطدما بنقرته على احدى الدرجات، أسرع يهبط الدرجات أربعة أربعة، متحاشيا الجسم المتمدد، وولى هاربة من الفندق كالمجنون وكان من شأن التشنجات والانقباضات أن دحرجت الجسم درجة درجة وكان عدد الدرجات لا يزيد على خمس عشرة حتى أسفل السئم ولم تمض خمس دقائق حتى اكتشف فاحتشد الناس من حوله وكانت بركة من الدم تحيط

برأسه فأثار ذلك شكوكا وشبهات: أحادثة طارئة أم جريمة مقترفة؟ غير أن عددا من الأشخاص لم يلبثوا أن أدركوا أن الأمر أمر نوبة صرع وتعرف خادم الفندق الأمير، فقال أنه نزيل من نزلاء الفندق قدم في هذا الصباح ثم تبددت الشكوك والشبهات تبددا تاما بفضل مصادفة سعيدة جاءت في أوانها ان كوليا ايفولجين الذي كان قد وعد بأن يأتي إلى فندق الميزان قبل الساعة الرابعة ثم عدل عن رأيه فسافر إلى بافلوفسك، قد رفض، السبب لم يكن في الحسبان، أن يتغدى عند الجنرالة ايباتشين؛ وعاد إلى بطرسبرج، وأسرع الىفندق الميزان، فوصله في الساعة السابعة من المساء فلما وجد الرسالة التي تبلغه أن الأمير بالمدينة، هرع إلى العنوان المشار اليه في الرسالة فقيل له في الفندق أن الأمير قد خرج فنزل إلى قاعة الطعام ينتظره وهو يحتسي الشاي ويصغى الى أنغام الأرغن الآلى وشاءت المصادفة أن يسمع أناسا يتحدثون عن رجل سقط على السلم في نوبة صرع، فأوجس بما يشبه النبوءه أن الرجل قد يكون هو الأمير، فأسرع الى مكان الحادث فتعرف الأمير فعلا وسرعان ما اتخذت الاجراءات اللازمة فأصعد الأمير الى غرفته وقد ثاب إلى الأمير بعض شعوره، لكنه لم يسترد وعيه كاملا الا بعد مدة طويلة وقال الطيب الذي استدعي لفحص جروح الرأس أن الاصابات بسيطة ليس فيها خطر، ونصح للرضوض بكمادات وبعد ساعة من

الزمن كان الأمير قد عاد يعى كل ما يحيط به وعيا كاملا وعندئذ نقله كوليا بالعربة من الفندق الى دار ليبديف فاستقبله استقبالا فيه كثير من الاهتمام والرعاية والاحترام حتى لقد قدم في سبيله موعد السفر إلى الريف، فبعد ثلاثة أيام كان الجميع في بافلوفسك.

الفصل الخامس

به منزل ليديف في الريف فيللا صغيرة لكنها مريحة بل وجميلة والجزء المعد للتأجير منها وقد أولى تزيينه عناية خاصة ففي الشرفة الواسعة المطلة على الشارع عند مدخل الدار وضعت أحواض كبيرة من خشب مدهون باللون الأخضر، فيها شجيرات برتقال وليمون وياسمين صفت صفة لا بد أن يكون له أجمل الأثر، في تقدير ليديف وفي حسابه أن عددا من هذه الشجيرات قد اشتري مع العقار نفسه؛ وبلغ ليبديف من اعجابه وافتتانه باصطفافها على الشرفة أنه انتهز فرصة بيع بالمزاد فاشترى عدد آخر من نوعها؛ فلما نقلت الشجيرات كلها إلى الفيللا ووضعت في مكانها، أصبح لديف يهبط درجات الشرفة عدة مرات كل يوم ليتأمل منظرها من الشارع، حاسبة في كل مرة الزيادة التي سيطلبها من المستأجر أعجب الأمير بالفيللا كثيرا، وكان ما يزال واهن الجسم، خائر القوة، محطم البدن الواقع أنه منذ وصوله إلى بافلوفسك، أي في اليوم الثالث الذي انقضى على نوبة الصرع، كان قد استرد مظهر الصحة والعافية، ولكنه لا يشعر بأنه أبل ابلالا تامة وقد أسعده أن يرى

من حوله ناسا خلال تلك الأيام الثلاثة: كوليا الذي لا يكاد يتركه، وأسرة ليبديف باستثناء ابن الأخت الذي رحل لا يدري أحد إلى أين، وليديف نفسه حتى لقد سره أن زاره الجنرال ايفولجين ببطرسبرج قبل سفره وفي ذلك المساء الذي وصل فيه إلى بافلوفسك، اجتمع حوله على الشرفة عدد من معارفه، رغم أن الوقت متأخر: جاء جانيا أول من جاءوا، فلم يكد يتعرفه الأمير من شدة تغيره وفرط نحوله وهزاله؛ ثم جاءت فاريا ومعها بتسين، وكانا يصطافان في بافلوفسك أيضا وكان الجنرال ايفولجين يلبث عند ليبديف طول الوقت تقريبا، وكأنه انتقل معه، وكان ليبديف يبذل قصاراه ليبقيه بقربه وليمنعه من مقاربة الأمير وكان يعامله معاملة الصديق للصديق، وكان يبدو على الرجلين كليهما أنهما صديقان منذ عهد بعيد وقد رآهما الأمير عدة مرات في أثناء تلك الأيام الثلاثة يندفعان في محادثات طويلة، فكانا يصيحان حتى ليبدو عليهما أنهما يتناقشان في مسائل علمية، وذلك أمر كان واضحا أنه يلقى هوى في نفس ليبديف فمن رآهما قال ان ليبديف أصبح لا يستطيع الاستغناء عن الجنرال وكان ليبديف يتخذ هذه الاحتياطات ازاء أسرته أيضا، مداراة للأمير ومراعاة له، منذ اقامتهم في الفيللا فكان بحجة عدم ازعاج الأمير لا يدع لأحد أن يدنو منه، فمتى أظهر أولاده أنهم ماضون إلى الشرفة التي يجلس فيها الأمير، قرع الأرض بقدمه وركض وراءهم، رغم أن الأمير

قد رجا أن لا يبعدوا عنه وكانت فيرا نفسها، التي تحمل الطفل بذراعيها، لا تتجو من حركاته هذه، وكان يرد على اعتراضات الأمير قائلا: أن رفع التكليف هذا لا بد أن يؤدي الى قلة الاحترام، اذا نحن أجزناه هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان ذلك يكون من جانبهم مجافاة للياقة والكياسة فكان الأمير يعترض قائلا: لماذا؟ أؤكد لك أن رقابتك وقسوتك لا تزيدان على أن تحزنانى قلت لك مرارا انني أشعر بسأم وضجر من الوحدة، وانك تضاعف هواجسي ومخاوفي حين أراك ما تنفك تحرك يديك باشارات وايماءات، وتسير على رءوس الأصابع كان الأمير يلمع بذلك إلى العادة التي ألفها ليبديف خلال هذه الأيام الثلاثة وهي أن يدخل عليه في كل لحظة، فيطرد جلساءه بحجة توفير الهدوء والسكينة للمريض كان ليديف يبدأ بأن يشق الباب، فيدخل منه رأسه، ويتفحص الغرفة كأنما ليتحقق من وجود الأمير فيها، ومن أنه لم يهرب؛ ثم يدنو من المقعد خلسة على رءوس الأصابع، فيروع الأمير أحيانا بظهوره المفاجيء غير المتوقع، ويسأله بغتة أهو في حاجة إلى شيء؟ فاذا رجاه الأمير أخيرا أن يدعه وشأنه خرج طائعا دون أن يقول كلمة واحدة، سائرا على رءوس الأصابع أيضا، محركا يديه باشارات وايماءات كذلك، كأنما ليوهم بأنه لم يدخل الا عابرا، وأنه لم يبق ثمة ما يضيفه، وأنه خارج ولن يعود ولكن ذلك لا يمنعه من أن يظهر مرة أخرى بعد ربع ساعة، ان

لم يكن بعد عشر دقائق وكان كوليا الذي يجوز له أن يلقى الأمير في كل لحظة بغير حظر وأن يبقى معه ما شاء أن يبقى، يثير غيرة ليبديف الذي كان هذا التفضيل يغيظه ويحنقه إلى أبعد الحدود. وقد لاحظ كوليا أن ليبديف كان يقف وراء الباب في بعض الأحيان نصف ساعة يتجسس على حديثه مع الأمير، ولم يغب عنبال كولا طبعا أن ينبه الأمير إلى ذلك قال الأمير يحتج على ليديف: انك تحجر على كأنك ولي أمري وأنا أفهم أن يكون الأمر على غير هذه الحال، على الأقل هنا في الريف فاعلم أني سأستقبل من أريد استقباله، وانني سأذهب إلى حيث يحلو لي أن أذهب فأجابه ليبديف محركا ذراعيه: طبعا، بدون أدنى شك فنظر اليه الأمير من الرأس إلى القدمين قل لي يا لوكيان تيموفنفتش: هل نقلت إلى هنا الخزانة الصغيرة التي كانت عندك في بطرسبرج، فوق سريرك؟ لا، لم أنقلها كيف؟ أتركتها هناك؟ لا سبيل إلى نقلها فلو أردت نقلها لوجب انتزاعها من الجدار انها مثبتا في الجدار تثبيتا قويا متينا قد يكون ثمة خزانة مثلها هنا؟ نعم، بل ثمة خزانة أفضل منها وهذا أحد الأسباب التي دفعتنى إلى شراء هذه الفيللا ومن هو ذلك الشخص الذي حجبت عنه الوصول إلى غرفتي منذ ساعة؟ هو هو الجنرال نعم، صحيح، لم أسمح له أن يدخل ليس هذا المكان مكانه يا أمير، انني احترم هذا الرجل احتراما عميقا انه انه رجل عظيم، ألا تصدقني؟ طيب لسوف ترى

ومع ذلك فان الأفضل يا سمو الأمير أن لا تستقبله في بيتك.

هلا سمحت لى أن أسألك لماذا يجب أن لا أستقبله في بيتي؟ ولماذا أراك الآن، يا ليبديف، تقف على رءوس الأصابع وتظل تدنو منى دنو من يريد أن يفضي إلى بسر همسا في الأذن؟ أجاب ليبديف فجأة، وهو يلطم صدره بيده، قائلا بلهجة مؤثرة: من حطتى وصغارى انني أحس ذلك هذا حطة وصغار ولكن ألا يمكن أن يكون الجنرال مضافة إلى حد الغلو، بالنسبة اليك؟ مضافا إلى حد الغلو؟ ماذا تريد أن تقول بهذا الكلام؟ نعم، مضافا إلى حد الغلو هو أولا يهييء نفسه لأن يستقر في منزلى ساكنا مقيما هبنا قبلنا هذا على كل حال ولكن المهم أنه لا يشعر بحرج، فسرعان ما يحشر نفسه في الأسرة لقد سبق أن درسنا معا روابط القرابة التي تجمعنا، فلاحظنا أننا أقرباء بالمصاهرة وأنت أيضا تمت اليه بقربي من جهة أمك شرح لى ذلك أمس فاذا كنت أنت قريبه، فنحن اذن قريبان يا سمو الأمير على كل حال، هذه مسألة بسيطة لا تعدو أن تكون نقطة ضعف يسيرة في الجنرال وليس لها نتائج ذات بال لكنه قد أكد لي قبل لحظة أنه طوال حياته، منذ حصل على رتبة مرشح إلى اليوم الحادي عشر من شهر حزيران يونيه من العام الماضى، لم يقل عدد الضيوف في بيته كل يوم عن مائتي شخص، فالمائدة لا تخلو في لحظة في اللحظات:

فمن افطار الى غداء إلى شاي الى عشاء خلال خمس عشرة ساعة متصلة غير منقطعة وقد قال ان هذه الحال دامت ثلاثين عاما بلا انقطاع، فلا يكاد يتسع الوقت أثناء ذلك لتجديد غطاء المائدة؛ وما أن ينهض ضيف لينصرف حتى يجيء ضيف آخر فيحل محله وفي أيام الأعياد، ولا سيما أعياد الأسرة الامبراطورية، كان عدد ضيوف الجنرال يبلغ ثلاثمائة وقد بلغ عددهم سبعمائة عند الاحتفال بالذكرى الألفية لروسيا شيء رهيبه ان قصة كهذه القصة لا تبشر بخير، وانه لمن الخطر أن يستقبل المرء في بيته أناسا يبلغون هذا المبلغ من كرم الضيافة لذلك تساءلت ألا يمكن أن يكون الجنرال مضافا إلى حد الغلو، بالنسبة اليك، وبالنسبة إلى أيضا ولكني لاحظت أنكما كنتما على أتم وفاق، فهل كان ظني خطأ؟ انني أحمل هذره على محمل المزاح، بروح الأخوة فأن نكون قريبين بالمصاهرة فهذا لا يضيرني، بل هو شرف لي انني أعد الجنرال شخصا ممتازة رغم ضيوفه المائتين ورغم الحفلة الألفية أعلن هذا صادقا كل الصدق، مخلصا كل الاخلاص لقد قلت لي منذ هنيهة يا أمير اننى أدنو منذ دنو من يريد أن يفضي اليك بسر يملكه فاعلم أن لدى سرا أريد أن أفضى به اليك: هناك انسانة أعلمتني منذ برهة أنها تتمنى كثيرا أن تلقاك خفية لماذا خفية؟ مستحيل سأذهب اليها بنفسي، اليوم اذا لزم الأمر عاد ليديف يقول وهو يجرى اشارات كبيرة: لا، لا

ليست مخاوفها هي ما تظن أنت بالمناسبة، أن الشيطان يأتي كل يوم سائلا عن صحتك أنت تصفه دائما بأنه شيطان وأرى أن هذا يوجب الشبهة والشك أجاب ليبديف مسرعا لا مجال لشبهات وشكوك وانما أردت أن أقول انه ليس هو من تخشاه تلك الانسانة ان مخاوفها ترجع إلى غير هذا سأله الأمير منزعجة من اصطناعه هيئة السر: إلى ماذا ترجع مخاوفها؟ قل بسرعة فأجاب ليديف ضاحكا: ذلك هو السر سر من؟ سرك لقد منعتني أنت نفسك يا سمو الأمير أن أتكلم أمامك بهذا تمتم ليديف واذ لاحظ مغتبطة مبتهجا أنه استطاع أن يثير حب الاطلاع عند محدثه، أضاف يقول: ان تلك الأنسانة خائفة من آجلايا ايفانوفنا فقطب الأمير حاجبيه ثم قال بعد دقيقة صمت يمينه لأثر كن منزلك يا ليديف أين جبريل آرداليونتش وأسرة بتسين؟ عندك؟ هل جئت بهم إلى هنا أيضا؟ سيأتون، سيأتون وسيأتي الجنرال أيضا بعدهم سأفتح أبوابى كلها، وسأنادي بناتي جميعهن، جميعهن في هذه اللحظة نفسها بهذا همس ليديف مذعورة وهو يحرك يديه ويركض من باب إلى باب وفي تلك اللحظة ظهر كوليا في الشرفة آتية من الشارع، فأعلن أن زائرات هن اليزابت برو كوفيفنا وبناتها الثلاث واصلات وراءه فقال ليبديف يسأل مضطربا لهذا النبأ أشد الاضطراب: أيجب أن أدخل أسرة بتسين وجبريل آرداليونتش أم لا؟ أيجب أن أسمح للجنرال بالمجيء؟ قال الأمير

ضاحكا: لم لا؟ فليدخل من يشاء أن يدخل أؤكد لك يا ليديف أنك فهمت علاقاتى فهما خطأ منذ أول يوم أنت في ضلال متصل مستمر ليس هناك أي سبب يدعوني إلى أن اختبىء عن أحد فحين رآه ليبديف ضاحكا اعتقد أن من واجبه أن يقلده، فأخذ يضحك هو أيضا كان واضحا أنه مسرور أشد السرور رغم اضطرابه الشديد كان النبأ الذي أعلنه كوليا صحيحا: لم يكن كوليا يتقدم أفراد أسرة ايبانتشين الا بضع خطوات، ليبلغ عن قدومهن وهكذا دخل زوار من جهتين في آن واحد: فأفراد أسرة ايبانتشين جئن من جهة الشرفة، بينما جاء بتسين وجانبا والجنرال ايفولجين من شقة ليديف ان كوليا هو الذي أعلم أسرة ايبانتشين بمرض الأمير وبوصوله إلى بافلوفسك وكانت الجنرالة حتى ذلك الحين في حيرة أليمة كان زوجها قد نقل إلى الأسـرة، أمس الأول، بطاقة الأمير، فاستنتجت اليزابت برو كوفيفنا بدون أي تردد أن الأمير لن يتأخر عن المجيء إلى بافلوفسك لزيارتهن وعبثا حاولت الآنسات أن يعترضن على استنتاجها بأن الأمير الذي لبث ستة أشهر لا يكتب اليهن قد لا يستعجل زيارتهن، فربما كانت له ببطرسبرج مشاغل أخرى من ذا يعرف شئونه؟ وقد ضاقت الجنرالة بهذه الاعتراضات، وانزعجت منها، وأعلنت أنها مستعدة لأن تراهن على أن الأمير سيجيء في الغد اذا تأخر وانتظرته في الغد طوال الصباح، ثم انتظرته على الغداء، ثم انتظرته أخيرا في

السهرة فلما هبط الليل تعكر مزاجها واشتدت شراستها، فصارت تشاجر الجميع، ولكن دون أن تقحم اسم الأمير في مشاجراتها طبعا ولم تشر اليه في اليوم التالي كذلك ولكن آجلايا أفلتت منها هذه الملاحظة أثناء العشاء، قالت:آن ماما غضبى لأن الأمير لم يجيء الينا،، فأسرعت الجنرالة تقول:ليس هذا خطأه،، ونهضت غاضبة وغادرت المائدة ووصل كوليا أخيرا في المساء، فأبلغهن أنباء الأمير، وحكي لهن كل ما عرفه عما وقع له فكان هذا فرحا بانتصار لأليزابث بروكوفيفنا؛ ومع ذلك طفقت تؤاخذ كوليا، فقالت معرضة به:يقضى هنا أياما بكاملها فلا نعرف كيف تتخلص منه، حتى اذا احتجنا اليه غاب فكأنه مات، أوشك كوليا أن يغضب حين سمع قولها:فلا نعرف كيف تخلص منه لكنه كبح شعوره وأرجأ حقده ولقد كان يمكنه أن يغفر كل الغفران في الواقع لولا أن التعبير يبلغ هذا المبلغ من جرح الاحساس وايذاء الكرامة، نعم كان يمكنه أن يغفر كل الغفران، لشدة اغتباطه بما ظهر على اليزابت برو كوفيفنا من انفعال واضح وقلق بين حين علمت بمرض الأمير وألحت الجنرالة طويلا على ضرورة ايفاد رسول إلى بطرسبرج ليجيء بطبيب شهير يعتني بالأمير المريض، فشنتها بناتها عن ذلك، ولكنهن لم يشأن أن يقرن عن أمهن حين أعلنت فجأة أنها تريد أن تزور المريض قالت وهي تتحرك هنا وهناك: ما ينبغي أن تثنينا أو أن تصدنا قواعد البروتوكول اذا كان

الفتى على فراش الموت أهو صديق للأسرة أم لا؟ قالت آجلايا: ولكن لا تنزل الماء ما لم تضمن المخرج، طيب لا تذهبى أنت، وذلك أفضل لأن أوجين بافلوفتش سيجيء، فلا بد أن يكون أحد في استقباله وقد أسرعت آجلايا، بعد هذا الحوار، تنضم الى أمها وأختيها طبعا؛ وكانت تلك نيتها منذ البداية على كل حال ووافق الأميرشتش، الذي كان يصحب آديلائيد، على أن يرافق السيدات تلبية لطلب الفتاة وكان منذ مدة طويلة، منذ أن صارت له علاقات بأسرة ايبانتشين، قد اهتم اهتمام شديد بسماع كلامهن عن الأمير وكان يعرف الأمير، فقد التقى به قبل نحو ثلاثة أشهر في مدينة صغيرة بالريف، وقضى معه خمسة عشر يوما؛ وقص أمورا عن هذا الشاب الذي كان يحمل له أجمل المحبة وأطيب المودة لذلك رضي، مبتهجا ابتهاجا صادقا، أن يشارك في زيارة صاحبه القديم ولم يكن الجنرال ايفان فيدو روفتش بالمنزل في ذلك اليوم، ولا كان أو جين بافلوفتش قد وصل لا تزيد المسافة بين فيللا أسرة ايبانتشين وفيللا ليبديف على ثلاثمائة خطوة وحين دخلت الجنرالة على الأمير كان أول شعور مزعج أحست به هو أنها وجدت حوله جمهرة كبيرة من الناس، لا سيما وأن شخصين أو ثلاثة أشخاص منهم كانوا ممن تكرههم يضاف إلى ذلك أنها دهشت كثيرا حين تقدم اليها الأمير فرأت شابا يدل ظاهره على أن صحته جيدة، ويرتدي ثيابا أنيقة،

ويبدو عليه المرح والبشر، بدلا من أن ترى الفتى العليل الذي كانت تتوقع أن تراه؛ فوقفت لا تصدق عينيها، فما كان أشد فرح كوليا الذي كان في وسعه أن يطلعها على حقيقة الأمر قبل أن تخرج من دارها، ولكنه حرص على أن لا يفعل، لأنه تنبأ ماكرا بالغضب الضحك الذي لا بد أن تظهره حين ترى صديقها العزيز في صحة جيدة حتى لقد مضى كوليا في الوقاحة إلى أبعد من ذلك، فأعلن انتصاره وتباهى بنجاحه، ليجعل اليزابت برو كو فيفا تبلغ من الغضب أقصى ذروة لقد كان ولا يخز الجنرالة دائما، وكانت وخزاته في بعض الأحيان جارحا جدا، رغم ما بينهما من صداقة ردت عليه الجنرالة قائلة وهي تجلس على المقعد الذي قدمه نحوها الأمير: صبرك يا عزيزى، لا تعجل هذا التعجل كله لا تفسد انتصارك وأسرع ليبديف وبتسين والجنرال ايفولجين يقدمون مقاعد للأسات قدم الجنرال كرسية لأجلايا وقرب ليديف كرسيا آخر للأميرشتش، وهو ينحني أمامه انحناء شديدا باحترام عظيم وحيت فاريا الآنسات بكثير من الحرارة والتودد على عادتها، وأخذت تهامس معهن. قالت الجنرالة صحيح يا أمير أني كنت أقدر أن أجدك في السرير، من فرط ما ضخمت مخاوفي الأمور؛ واني لأعترف لك، حتى لا أكذب، بأننى تضايقت كثيرة حين رأيتك طلق المحيا منذ قليل، ولكنني أحلف لك أن هذا الضيق لم يدم الا دقيقة واحدة هي المدة التي كان لا بد منها للتفكير انني حين

أفكر يصبح سلوكى أسلم وكلامي أعقل وأرشد أظن أن هذه حالتك أنت أيضا يجب أن تقول لك اني لو كان لي ابن مريض لما سررت بشفائه أكثر من سرورى بشفائك فاذا لم تصدق كلامى كان هذا عار عليك لا على ولكن هذا الولد الخبيث يسمح لنفسه بأن يدبر لى مكائد أنكى كثيرا من هذه المكيدة يظهر أنك ترعاه وتحميه فاعلم اذن انني في ذات يوم قريب سأحرم نفسي من متعة وشرف صحبته، صدقني صاح كوليا يقول: ولكن ما هو الذنب الذي ارتكبته؟ لو قد أكدت لك أن الأمير أبل من مرضه تقريبا لما ارتضيت أن تصدقيني لقد كنت تريدين أن تصوريه راقدا على فراش الموت تلك صورة تشوقك أكثر قالت اليزابت برو كوفيفا تسأل الأمير أأنت باق هنا مدة طويلة؟ الصيف كله، وقد أزيد أأنت وحيد؟ ألم تتزوج؟ أجاب الأمير مبتسما من سذاجة الجنرالة في القاء هذا السؤال لا، لم أتزوج لا تبتسم ذلك يمكن أن يحدث لكني أفكر في الاصطياف: لماذا لا تنزل عندنا؟ ان في دارنا جناحا بكامله لا يشغله أحد على كل حال، هذا شأنك أنت ثم أضافت تسأل بصوت خافت وهى تومىء بعينها إلى ليبديف: أأنت مستأجر عند هذا الشخص؟ ما باله يتلوى طول الوقت؟ وفي تلك اللحظة ظهرت فيرا في الشرفة خارجة من شقة ليبديف انها على عادتها تحمل الطفل بذراعيها وكان ليبديف يدور حول الكراسي لا يعرف ماذا يعمل بنفسه ولكنه لا يعزم أمره على أن

ينصرف، وها هو نا يهجم فجأة على ابنته ويأخذ يحرك يديه باشارات كثيرة ليبعدها، حتى لقد نسى نفسه فقرع الأرض بقدمه أسرعت الجنرالة تسأل: أهو مجنون؟ لا، ولكنه فلعله اذن سكران؟ ثم أضافت تقول بعد أن ألقت نظرة على سائر الزوار: لست تغبط على هؤلاء الذين يحيطون بك ويصحبونك على كل حال، هذه فتاة لطيفة فمن تكون هذه الفتاة؟ هي فيرا لوكيانوفنا، ابنة ليبديف هذا أ هي لطيفة حلوة حقا.. أريد أن أعرف اليها ولكن ليبديف الذي س مع أقوال المديح هذه تزجيها اليزابت برو كوفيفنا، كان قد أخذ يقود ابنته نحوها ليقدمها اليها قال في أنين وهو يقترب باحترام واجلال: يتامى انهم يتامى والطفل الذي تحمله بذراعيها يتيم أيضا هذه أخته ليوبوف، ابنتي التي ولدت لى من زواجي الشرعي جدة بزوجني ايلينا التي توفاها الله أثناء الوضع منذ ستة أسابيع نعم هي للطفل بمثابة أم، رغم أنها ليست الا أخته، ليست الا أخته، ليست الا أخته فحسب وأنت أيها الرجل لست الا غبية فحسب اغفر لي صراحتى وكفي الآن هذا ثم أضافت تقول وقد اعترتها نوبة استياء مفاجئة: أحسب أنك تدرك ذلك بنفسك فأجاب ليبديف وهو ينحني باحترام عميق: هذه هي الحقيقة بعينها سألته آجلايا: قل لي يا سيد ليبديف: يدعي بعضهم أنك تفسير رؤيا يوحنا، فهل هذا صحيح؟ هذه هي الحقيقة بعينها ما برحت أفسرها منذ خمسة عشرة عاما سمعت عنك، بل

أظن أن الجرائد جاءت على ذكرك قال ليديف وقد أخذ يشعر بفرح: لا الجرائد تكلمت عن شارح آخر مات فحللت محله هلا سررتنى، ما دمنا جيرانا، فجئت إلى ذات يوم لتفسر لي بعض فقرات من رؤيا يوحنا انني لا أفهم منها شيئا وكان الجنرال ايفولجين جالسة إلى جانب آجلايا يحرقه العذاب من أنه لا يستطيع التدخل في الحديث، فاذا هو يقول الآن فجأة:لا أستطيع أن أعفى نفى من واجب تنبيهك يا آجلايا ايفانوفنا إلى أن هذا كله ليس الا تدجيلا نه، صدقينى وتابع الجنرال ايفولجين كلامه يقول صحيح أن للحياة في الريف حقوقها، كما أن لها مسراتها ولأن يستقبل المرء في بيته رجلا دخيلا من أجل أن يشرح له رؤيا يوحنا فهذه نزوة كغيرها من النزوات، ولعلها نزوة بارعة الذكاء، لكننى مالك تنظرين إلى مدهوشة؟ اسمحي لي أن أقدم اليك نفسي: أنا الجنرال ايفولجين لقد حملتك على ذراعى يا آجلايا ايفانوفنا دمدمت آجلايا تقول وهي تبذل جهودا كبيرة من أجل أن لا تنفجر ضاحكا سعيدة بمعرفتك انني أعرف باربارا آردااليونوفنا ونينا ألكسندروفنا غضبت اليزابت بروكوفيفنا حتى احمرت أشد الاحمرار ان الغضب الذي كظمته في قلبها مدة طويلة كان في حاجة إلى أن ينطلق وكانت لا تطيق احتمال الجنرال ايفولجين الذي سبق أن عرفته في الماضي منذ زمن بعيد قالت له باندفاع أنت تكذب، يا عزيزى، على عادتك انك لم تحمل ابنتي على ذراعيك في

يوم من الأيام؟

فانبرت آجلايا تؤيد كلام الجنرال فجأة فتقول: بلى يا ماما أنت نسيت لقد حملني على ذراعيه فعلا كان ذلك في مدينة تفير التي كنا نقيم بها أيامئذ كان عمري ست سنين، مازلت أتذكر هذا وقد صنع لى قوسا وسهما وعلمني الرماية فاصطدت حمامة ألا تتذكر أننا اصطدنا معا حمامة؟ وهتفت آديلائيد تقول: وأعطاني خوذة من كرتون وسيفا من خشب أنا أيضا أتذكر وزادت ألكسندرا فقالت: أنا أيضا أتذكر حتى لقد تشاجرنما على الحمامة الجريح، فوضعت كل واحدة منكما في ركن واضطرت آديلائيد أن تسمر في مكانها مع خوذتها وسيفها حين ذكر الجنرال آجلايا بأنه حملها على ذراعيه، فإنه لم يكن يبغى الا أن يقول شيئا ما ليجرى معها حديثا، كما يفعل هذا نفسه كلما أراد أن يتعرف إلى شبان أو شابات ولكن شاءت المصادفة، بما يشبه العمد، أن يكون كلامه في هذه المرة صحيحا، لأنه ذكر بواقعة صادقة كان قد نسيها هو نفسه، فلما قالت آجلا يا على غير توقع انهما اصطادا حمامة معا، عادت اليه ذاكرته دفعة واحدة، فتذكر كل شيء بأدق تفاصيله، كما يحدث ذلك في أحيان كثيرة للشيوخ حين يتذكرون ماضيا بعيدا انه ليصعب علينا أن نقول ماهو الشيء الذي أثار انفعال الجنرال المسكين من تلك الذكري

وكان ثملا على عادته، ولكن مما لا شك فيه نه قد انفعل انفعالات قوية وتأثر تأثرا شديدا فصاح يقول: أتذكر، نعم أتذكر كل شيء كنت عندئذ كابتن وكنت أنت صغيرة جدا، لطيفة حلوة يا نينا ألكسندروفنا يا جانيا كان ذلك في الزمن الذي استقبلت فيك عندكم قالت الجنرالة: فانظر إلى أين صرت الآن على أن الشراب لم يخنق فيك العواطف النبيلة، ما دمت تتأثر هذا التأثر من تلك الذكري ولكنك عذبت امرأتك عذاب الشهداء وبدلا من أن تكون قدوة ومثالا الأولادك أخذت تستدين وستدين إلى أن وضعت في السجن اذهب من هنا يا صاحبي انسحب إلى أي مكان، إلى ما وراء الباب، الى ركن من الأركان، لتبكى براءتك القديمة الذاهبة، فلعل الله أن يغفر لك ويتوب عليك هيا، اذهب انني أكلمك جادة لا هازلة لا شيء ينفع في اصلاح المرء كما تنفعه ذكرى ماضيه نادمة لم يكن ثمة داع إلى مزيد من الكلام: لقد كان الجنرال يملك الحساسية المفرطة التي يملكها المدمنون عادة، وكان يؤله كما يؤلم سائر الساقطين أن يتذكر أيامه السعيدة فها هو ذا ينهض ويتجه نحو الباب طائعا صاغرا، فسرعان ما أشفقت عليه اليزابت برو كوفيفنا، فصاحت تناديه قائلة: أرداليون ألكسندروفتش، صديقى، انتظر دقيقة نحن جميعا خطاة آثمون فمتى شعرت بأن ضميرك قد هدأ بعض الهدوء واسترد شيئا من السكينة والطمأنينة، فتعال الى زائرا لنتحدث لحظة عن الماضي من

ذا الذي يستطيع أن يؤكد أنني لم أرتكب من الذنوب أضعاف ما ارتكبت أنت؟ ولكن استودعك الله الآن، اذهب، انصرف، فليس لك هنا شأن أضافت تقول هذه العبارة الأخيرة فجأة وقد روعها أن رأته عائدة هم كوليا أن يلحق بأبيه، ولكن الأمير قال له: الأفضل أن لا تبعه الآن والا اعتكر مزاجه وفسد ما ينعم به من صفاء وسعادة فقالت اليزابت برو كوفيفنا: صحيح دعه ستلحق به بعد نصف ساعة وجازف ليديف فقال: هذا تأثير قول الحقيقة للانسان مرة في حياته: لقد تأثر حتى الدموع فأسرعت اليزابت برو كوفيفنا ترده إلى مكانه قائلة له: وأنت أيضاً، يا صاحبي، لا بد انك سيد مدهش اذا صدق ما سمعته عنك أخذ وضع كل واحد من الزوار المجتمعين على الشرفة يتضح شيئا بعد شيء واستطاع الأمير طبعا أن يدرك حق الادراك دلائل عاطفة المودة التي تحملها له الأميرة وبناتها فقال لهن بلهجة صادقة أنه قبل زيارتهن كان قد عقد النية على أن يذهب اليهن في ذلك اليوم نفسه رغم سوء حالته الصحية، ورغم أن الوقت متأخر فأجابته اليزابت برو كوفيفنا، وهي تلقى على الزوار نظرة ازدراء، ان انفاذ تلك النية ما يزال ممكنا فلم يلبث بتسين، وهو رجل مهذب مساير، أن نهض على الفور وانسحب إلى شقة ليبديف وقد أراد أن يقتاد ليبديف، ولكنه لم يحصل منه الا على وعد بأنه سيدر كه في الحال وكانت فاريا تتحدث مع الفتيات فلم تحرك وقد مرت هي

وجانبا من انصراف الجنرال وانصرف جانيا بعد بتسين بقليل انه خلال الدقائق القليلة التي قضاها على الشرفة بحضور أسرة ايبانتشين قد حافظ على موقف متواضع كريم رصين، ولم يضطرب بتأثير نظرة السيطرة التي ألقتها عليه اليزابت بروكوفيفنا مرتين من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ان الذين عرفوه من قبل لا بد أن يبدو لهم الآن أنه تغير تغيرا كبيرا وقد أحدث وضعه أثرا حسنة جدا في نفس اجلايا . أظن أن جبريل آرداليونوفتش هو الذي خ رج الآن، أليس كذلك؟ هكذا سألت آجلايا فجأة، على عادتها في الميل إلى مقاطعة حديث الآخرين أحيانا على حين بغتة، دون أن توجه الكلام إلى أحد بعينه فأجاب الأمير بقوله: نعم هو قالت آجلايا: كدت أنكره فما أعرفه نقد تغير كثيرا لقد تحسن قال الأمير: سرى تغيره هذا أعظم السرور وأضافت فاريا تقول بلهجة تعبر عن شفقة ويخالطها فرح خفي: كان مريضا جدا وسألت اليزابت برو كو فيفا بنبرة فيها غضب ويكاد يكون فيها ذعر: في أي شيء تحسن؟ من أين جئت بهذا؟ انني لا أرى فيه شيئا تحسن؟ ما الذي تجدينه أنت؟ صاح كولا يقول فجأة وكان ما يزال واقفا قرب كرسي اليزابت برو كوفيفنا: لا شيء أحسن من فارس فقير، قال الأميرشتش، وهو يضحك: هذا رأيي أيضا وأعلنت أديلائيد قائلة: وهو رأيى كذلك فسألت الجنرالة وهي تحدق اليهما بنظرة فيها حيرة وغضب أيفارس فقير،؟ ثم أضافت تقول

غاضبة حين رأت أن آجلايا احمر وجهها: لا بد أنها سخافة من السخافات ما الفارس الفقير، هذا؟ قالت اجلايا بلهجة فيها غطرسة شديدة: أهذه أول مرة يشوه فيها هذا الصبي، الأمير عندك، أقوال الآخرين؟ كانت أجلايا تعتريها نوبات غضب في كثير من الأحيان، ولكن انقيادها لنوبات الغضب يصحبه دائما شيء يبلغ من سذاجة الطفولة وخرافة التصرف أن المرء لا يملك أحيانا الا أن يضحك حين يراها وكان هذا الضحك يخرجها عن طورها لأنها لا تستطيع أن تجد له تفسيرة، وكانت تتساءل كيف يستطيع هؤلاء الناس وكيف يجرون أن يضحكوا من سلوكها وحين قالت اجلا عبارتها الأخيرة في حق كوليا ضحكت أختاها وضحك الأميرشتش حتى أن الأمير ليون نيقولايفتش نفسه لم يستطع أن يحبس ابتسامة، وان يكن وجهه قد احمر لا ندري لماذا أما كوليا فقد انتصر وطفق يضحك ملء حلقه فغضبت آجلايا، فزادها ذلك جمالا ان الاضطراب والغضب اللذين شعرت بهما قد ضاعفا فتنتها الأخاذة وعادت تتكلم فقالت: اه ألم يسبق لهذا الصبى أن شو أقوالك نفسها في أحيان كثيرة؟ قال كوليا: أنا لم أرد على أن كررت صيحة من صيحات الاعجاب التي تطلقينها فمنذ شهر، حينما كنت تقرئيندون كيشوت،، قلت انه لا شيء أحسن من «فارس فقير، لم أكن أعرف من ذا الذي كنت تقصدين حينذاك: أهو دون كيشوت، أم أوجين بالتش، أم شخص

آخر؟ وانما المهم أن أقوالك كانت تعني أحدا ما وقد جرى حول هذا حديث طويل طويل قالت اليزابت برو كو فيفا بلهجة حادة: أرى يا صديقي أنك تسمح لنفسك بالاسراف قليلا فيما تمضى اليه من افتراضات فتابع كرليا كلامه مماحكا: أنا الوحيد؟ لقد تكلم الجميع في هذا وما زالوا يتكلمون: فمنذ لحظة واحدة قال الأمير شتش وآديلائيد ايفانوفنا والآخرون انهم من أنصارالفارس الفقير فهذا الفارس موجود اذن بالفعل، وفي رأيي أننا كان في وسعنا جميعا أن نعرف من هو، لولا أديلائيد ايفانوفنا سألت أديلائيد ضاحكة: ما ذنبي أنا؟ ذنبك أنك لم تقبلي أن ترسمي لنا صورة وجهه ان آجلايا ايفانوفنا قد رجتك أن تفعلى حتى لقد أعدتك بجمع تفاصيل اللوحة كما تصورها هي، ألا تتذكرين؟ ولكنك لم تشائى ولكن كيف كان في وسعي أن أفعل، ومن ذا الذي كان يمكنني أن أصورها؟ أنالفارس الفقير، هو كما وصف لي رجل لم يرفع أمام أحد حافة خوذته الفولاذية فما هو الوجه الذي يجب أن أهبه له؟ ماذا أصور؟ أأصور حافة خوذة؟ أأصور وجها ليس وجه أحد؟ صاحت الجنرالة تقول منزعجة: لست أفهم شيئا؟ ما حافة الخوذة هذه التي تتكلمون عنها؟ وكانت الجنرالة في الواقع قد بدأت تحدد شخصية صاحب هذا اللقب الذي لعله قد تم تخيله منذ مدة طويلة، اعنى لقب الفارس الفقير غير أن الأمر الذي أثار استياءها خاصة، إنما هو ما رأته في

هيئة الأمير ليون نيقولا يفتش من اضطراب اضطراب طفل في العاشرة من عمره فهتفت تقول: أما لهذه السخافات من آخر؟ هلا شرحتم لي أخيرا قصة الفارس الفقير، هذه؟ أهذا سر كبير فلا تجوز مقاربته؟ ولكن الجميع لم يزيدوا على أن استمروا في الضحك فتدخل الأمير وشتش، أخيرا فقال ليحول الحديث عن مجراه: الأمر أمر قصيدة روسية غريبة بعض الغرابة، لا أكثر من ذلك هي أبيات من قصيدة لا ذنب لها ولا رأس، تصور فارسا فقيرا فمنذ نحو شهر، في ذات مساء بعد العشاء، كنا قد ضحكنا كثيرا ونحن نبحث اون على عادتنا عن موضوع للوحة الجديدة التي سترسمها آديلائيد ايفانوفنا انك لا تجهلين أن هذا البحث عن موضوع اللوحات آديلائيد ايفانوفنا قد أصبح واجبا من واجبات الأسرة منذ زمن طويل وفيما نحن نبحث، وقعنا على موضوع الفارس الفقير، ولست أدري من ذا الذي خطرت بباله فكرته قبل الأخرين صاح كوليا يقول هذه فكرة آجلايا ايفانوفنا وتابع الأمير شتش، كلامه فقال: جائز جدا ولكنني لا أذكر فبعضهم ضحك من الموضوع، وبعضهم أكد أنه ليس ثمة موضوع أرفع منه ولا أسمي، ولكن لا بد على كل حال من أن تخلع علىالفارس الفقير، وجها فأخذنا نبحث عن وجه بين وجوه جميع الناس الذين نعرفهم، ولكن أحدا منهم لم يقع عليه الاختيار، ووقف الأمر عند ذلك الحد هذا كل شيء ولا أدري لماذا خطر ببال نيقولا

آردالیونوفتش أن یعید هذا الأمر إلى الأذهـان فان ما كان مسلیا ومناسبا منذ شهر قد أصبح الیوم غیر ذي قیمة قالت الیزابت برو كوفیفنا بلهجة قاطعة: لأن ثمة غمزة مضمرة، غمزة جارحة مؤذیة قالت آجلایا: لا شيء من ذلك البتة، ولیس ثمة الا التعبیر عن احترام عمیق نطقت آجلایا تلك الكلمات بلهجة فیها رصانة شدیدة غیر متوقعة فهي لا تسیطر على أعصابها سیطرة تامة كاملة فحسب، بل یبدو علیها أیضا من بعض القرائن أنها الآن مسرورة باتساع نطاق المزاح وقد حدث هذا الانقلاب في نفسها حین لوحظ أن اضطراب الأمیر قد أخذ یشتد مزیدا من الاشتداد. یضحكون كالمجانین، ثم اذا بهم یتحدثون فجأة عن احترامهم العمیق جنون مطبق لماذا الاحترام؟ أجیبیني فورا: من أین جاءك هذا الاحترام العمیق بغتة بلا سبب ظاهر؟ فقالت آجلایا تجیب عن السؤال الذي ألقته علیها أمها ثائرة، قالت تجیب بتلك اللهجة الرصینة الوقور نفسها تكلمت عن احترام عمیق، لأن تلك الأشعار في القصیدة تتحدث عن رجل قادر على أن یكون له مثل أعلى، وقادر متى حدد لنفسه ذلك المثل الأعلى على أن یؤمن به ایمانا أعمى وعلى أن ینذر له حیاتها كلها وهذا أمر لیس شائعا في زماننا الحاضر ان القصیدة لا تعین لنا المثل الأعلى الذي یؤمن به الفارس الفقیر ولكننا نرى بوضوح أن ذلك المثل الأعلى نوع من صورة مضیئة هي آیة الجمال الطاهر النقي؛ حتى ان الفارس

العاشق يلف عنقه بمسبحة بدلا من أن يلفعه بمنديل صحيح أن هناك أيضا شعارا غامضا مبهمة ملغزة تعبر عنه هذه الأحرف الثلاثة متهم به، التي رسمها على ترسه فانبرى كولا يصحح قائلا: بل وأمد فردت أجلا يا غاضبة: بل آمب، ولا أتراجع من الواضح على كل حال أن الفارس الفقير كان لا يقيم أي وزن لما هي عليه سيدته، ولا لما كانت تفعله حسبه أنه اختارها وآمن بجمالها الطاهر النقي، حتى ينحنى أمامها إلى الأبد وميزته أنه، ولو أصبحت بعد ذلك لصا، يظل يؤمن بها ويظل مستعدا لأن يدافع عن جمالها الطاهر النقي يبدو أن القصيدة أرادت أن تجسد في صورة استثنائية فذة قوة فكرة الحب الفروسى طبعا ولكن هذا المثل الأعلى يصل فيالفارس الفقير، إلى أعلى در جانه، ويبلغ حد التقشف والنسك والزهد يجب أن نعترف بأن القدرة على الشعور بمثل هذه العاطفة، التي تقتضي بذاتها شكيمة قوية وطبعا صلبة وارادة عنيدة، هي شيء لا يستهان به، وهى شىء محمود جدا من جهة ما، بصرف النظر عن دون كيشوت هنا أنالفارس الفقير، هو دون كيشوت، هو دون كيشوت جدى لا هزلي انني لم أفهمه في البداية، حتى لقد ضحكت منه وتندرت عليه، أما الآن فأنني أحبالفارس الفقير،، وأحترم جسارته واقدامه خاصة صمتت آجلايا انه ليصعب على المرء حين ينظر اليها أن يعرف أكانت جادة فيما قالته أم كانت هازلة فاعلمي أن هذاالفارس

الفقير، رجل غبي رغم كل ما وصفته به من جسارة واقدام وأنت يا صغيرتي قد تدفقت تلقنيننا درسا كاملا، فصدقيني اذا قلت لك أن هذا لا يناسبك وهو على كل حال لا يطاق ما هي أشعار تلك القصيدة؟ أشدينى أبياتها لا بد أنك تحفظينها انتي أحرص على سماعها أشد الحرص أنا لم أطق الشعر في حياتي فلعل ذلك كان منى احساسة أشبه بالنبوءة تجمل بالصبر يا أمير، ناشدتك الله واضح أن الصبر خير ما يمكن أن تذرع به أنا وأنت وأضافت الجنرالة قولها هذا تخاطب الأمير وكان واضحا أنها مستاءة أشد الاستياء، ممتعضة أكبر الامتعاض أراد الأمير أن يقول شيئا، ولكنه كان قد بلغ من الاضطراب أنه لم يستطع أن ينطق بكلمة أجلا يا وحدها التي أجازت لنفسها هذه الجرأة كلها فيتلقين درسها،، كانت لا تظهر أي اضطراب، بل وكانت تبدو راضية عن نفسها، مغتبطة بما قالته وها هي ذي تنهض على الفور بمثل ذلك الوقار نفسه وبمثل تلك الأبهة نفسها، كأنها كانت متهيئة لانشاد تلك الأشعار، فهي لا تنتظر الا أن يدعوها أحد الى ذلك وها هي ذي تتقدم إلى وسط الشرفة، وتقف قبالة الأمير الذي ما يزال جالسة على كرسيه

انظر الجميع اليها بشيء من الدهشة كان الأميرشتش،، وأختاها، وأمها، وجميع الحضور تقريبا، يشعرون بحرج وضيق ازاء هذه الاندفاع

الطفولي الذي يقدرون أنه سيتجاوز حدود القصد والاعتدال ولكن كان واضحا أن آجلا يا مفتتة أشد الأفتتان بهذه الطريقة في التمهيد الانشاد القصيدة وهمت اليزابت برو كوفيفنا أن تحملها على العودة إلى الجلوس في مكانها؛ ولكن في اللحظة التي أوشكت فيها الفتاة أن تنشد قصيدتها، صعد من الشارع إلى الشرفة زائران جديدان آخذان في الحديث بصوت عال انهما الجنرال ايفان فيدوروفتش ايبانشين وفتي يتبعه فأحدث ظهورهما دهشة.

الفصل السادس

ان الشاب الذي يصحب الجنرال هو في نحو الثامنة والعشرين من عمره، طويل القامة، حسن التكوين، له وجه وسيم ذكى، وعينان واسعتان تفيضان نشاطا ومكرا أبت آجلايا حتى أن تلتفت اليه واستمرت تنشد قصيدتها متظاهرة بأنها لا تنظر الا إلى الأمير، ولا تتجه إلى أحد غيره فأدرك الأمير أنها تخفي وراء ذلك نية خاصة غير أن مجيء الزائرين الجديدين خفف ارتباكه قليلا على كل حال فما أن رآهما حتى نهض نصف نهوض، وحرك رأسه من بعيد يحيى الجنرال تحية فيها مودة، وأوصى باشارة من يده أن لا يقطع انشاد القصيدة ثم مضى يقف وراء كرسيه، مستندة بكوعه الأيسر على ظهر المقعد، ليسمع تتمة القصيدة وهو في وضع أكثر طلاقة وأقل أضحاكا من وضع رجل غاطس في مقعد وانبرت اليزابت برو كوفيفنا من جهتها تهيب بالزائرين أن يتوقفا، وذلك بحركة من يدها قامت بها مرتين اهتم الأمير اهتماما شديدا بالشاب الذي يصحب الجنرال وأحس أنه قد يكون أوجين بافلوفتش رادومسكي الذي سمع عنه كثيرا، وفكر فيه غير مرة غير أن اللباس المدني الذي كان يرتديه

هذا الشاب قد حيره، ذلك أنه قد سمع أن أوجين بافلوفتش عسكرى لا مدنى وكانت ابتسامة ساخرة تطوف بشفتي الزائر الجديد طوال مدة انشاد القصيدة فكأن الشاب يعرف، هو أيضا، قصة الفارس الفقير قال الأمير يخاطب نفسه:لعله هو الذي اخترع هذا أما أجلا يا فكانت حالتها النفسية مختلفة كل الاختلاف ان التصنع والافتعال اللذين بدأت بهما القاء القصيدة قد حلت محلهما عاطفة رزينة ملأي بمعنى الأشعار التي كانت تلقيها وكانت تنطق كل كلمة من الكلمات نطقة يبلغ من قوة التعبير وجمال البساطة أنها في آخر انشادها لم تأسر انتباه السامعين فحسب، بل بررت كذلك، بابراز قوة الوحي وعمق الالهام في هذه القصيدة، بررت الأبهة التي اصطنعتها منذ قليل حين نصبت قامتها في وسط الشرفة ان في وسع المرء أن لا يرى الآن في ذلك التصنع الا علامة احترام بالغ ذكى غير مدود تحمله الفتاة للقصيدة التي تولت القاءها كانت عيناها تسطعان؛ وسرت في وجهها الجميل، مرتين، رعدة حماسة لا تكاد تدرك واليكم ما أنشدته: فقيرا كان الفارس وصموتا وبسيطا، ومظلما كان وجهه وشاحبا، وكانت نفسه جسورة وصريحة لاحت له رؤيا حفرت في قلبه أثرا عميقا التهبت نفسه منذ ذلك اليوم حول عينيه عن النساء، فالى أن ووري التراب، لم يخاطب امراة بكلمة بمسبحة لف عنقه، لا بمنديل لفها ولم يرفع أمام أحد حافة خوذته

الفولاذية بحب طاهر امتلا قلبه ظل وفيا لرؤياه، وبدمه على ترسه كتب نون فاء باء وفي صحارى فلسطين بينما الفرسان بين الماخور يهبون إلى القتال ذاكرين اسماء سيداتهم كان يصيح بحماسة عاتية قائلا: يا ضياء السماء، أيتها الوردة المقدسة وبانقضاضه كالصاعقة، كان يجندل الأعده وحين عاد الى قلعته البعيدة عاش فيها معتزلا ناسكا، وظل صامتا، وحزينا، ومات كمجنون حين تذكر الأمير تلك اللحظات فيما بعد، عذبت فكره مسألة لا يجد إلى حلها سبيلا: كيف أمكنهم أن يجمعوا بين عاطفة صادقة هذا الصدق، جميلة هذا الجمال، وبين سخرية سافرة غير محجبة، سخرية سيئة ذلك السوء كله؟ لم يـراوده شك في أن ثمة سخرية السخرية واضحة لها ما يؤكدها: أن آجـلا يـا قـد سمحت لنفسها أثنـاء الالـقـاء أن تبدل الأحرفألف، ميم، بـاء، بالأحرف:نون، فـاء، بـاء،. هو واثق بأنه لم يخطيء السمع وذلك ماجاء البرهان عليه فيما بعد وكيف كان الأمر فان مزاحة أجلايا ذلك أن المسألة لا تعدو أن تكون مزاحة مهما تكن جارحة ومهما تضمن من خفة وطيش انما كانت مبيتة مقصودة فالجميع ما برحوا منذ شهر يتكلمون عنالفارس الفقير، ويضحكون على أن الأمير حين رجع إلى هذه الذكريات فيما بعد، اقتنع بأن اجلا يا قد نطقت هذه الأحرفنون، فاء، باء، دون أن تضفي عليها لهجة مزاح أو تهكم، ودون أن تبرزها ابرازا يظهر معناها الحبيء بالعكس؟

لقد نطقتها برصانة تبلغ من الهدوء، وبساطة تبلغ من البراءة والسذاجة أن المرء يمكن أن يظن أن هذه الأحرف موجودة فعلا في نص القصيدة المطبوع ومهما يكن من أمر، فأن الأمير لم يلبث أن شعر بعد سماع القصيدة بضيق شديد وألم قاس ان اليزابت برو كوفيفا لم تلاحظ تبديل الأحرف وما يختبىء وراء هذا التبديل من تلميح وكل ما أدر كه الجنرال ايفان فيدوروفتش هو أن هناك أشعارة تششد أما السامعون الأخرون فقد أدرك كثيرون منهم قصد آجلايا فأدهشتهم جسارتها هذه ولكنهم صمتوا فكأن شيئا لم يكن وأما أوجين بافلوفتش فانه لم يدرك فحسب وهذا ما يراهن عليه الأمير، بل حاول أن يفصح أيضا عن أنه أدرك، فزاد مقدار السخرية في ابتسامته هتفت الجنرالة تقول في اندفاعة اعجاب صادق، منذ انتهى انشاد القصيدة: رائع لمن هذه الأشعار؟ فصاحت أديلائيد تقول: هي لبوشكين يا ماما لا تشعرينا بالخزي والعار كيف يمكن أن يجهل أحد أنها لبوشكين؟ فقالت اليزابت برو كوفيفنا بلهجة مرة: ان المرء يمكن أن يصبح من معاشرتكن أشد غباوة وأكثر جهلا هذا معيب عليكن أن تأتبني بقصيدة بوشكين هذه متى رجعنا إلى البيت أظن أننا ليس في بيتنا شيء من شعر بوشكين قالت ألكسندرا : بلى عندنا مجلدان مهترئان ملقيان في البيت منذ عهد بعيد يجب ارسال احد الى المدينة فورا لشراء كتب بوشكين فليذهب فيدور أو ألكسي

في أول قطار والأفضل أن يذهب ألكسي آجلايا، تعالى لينى لقد أحسنت القاء القصيدة ايما احسان ثم أضافت تهمس في أذنها قائلة: ولكن اذا كانت نبرتك في القاء القصيدة صادقة، فانى أرثى لحالك واذا كنت قد أردت أن تسخري منه فانني لا أؤيد شعورك وفي الحالين كان الأفضل أن لا تلقى هذه القصيدة هل تفهمين عني؟ اذهبى الآن يا آنسة، سنعاود الكلام فيما بعد لقد طال مكوثنا هنا في أثناء ذلك كان الأمير قد سلم على الجنرال ايفان فيدوروفتش ايبانتشين الذي قدم اليه أوجين بافلوفتش رادومسكى لقد أدركته في الطريق ذهب من القطار إلى البيت رأسا فقيل له انني جئت إلى هنا التحق بسائر الأسرة أوجين بافلوفتش مقاطعة وقد علمت أيضا أنك هنا؛ واذ كنت أرغب منذ مدة طويلة لا في التعرف اليك فحسب، بل وفي التماس صداقتك أيضا، فانني لم أشأ أن أضيع وقتا أأنت مريض؟ انني لم أعرف هذا الا منذ لحظة أجاب ليون نيقولا يفتش وهو يمد اليه يده شفيت شفاء تاما، ويسعدني أن أتعرف اليك لقد سمعت عنك كثيرا، حتى انني تحدثت في أمرك مع الأميرشتش. تصافح الرجلان بعد تبادل هذه الأقوال المهذبة، ثم حدق كل منهما إلى عينى الآخر وسرعان ما أصبح الحديث عامة ولاحظ الأمير، الذي أصبح الآن يلاحظ بسرعة ويقظة، حتى لقد يرى أشياء لا وجود لها، لاحظ أن الجميع قد أدهشهم أن يروا أوجين بافلوفتش

مرتديا ثيابا مدنية لا عسكرية وقد بلغت دهشتهم من القوة أنها محت سائر ما عداها من مشاعر لا بد أن تغير الشباب هذا يدل على وقوع حادث هام وتحيرت آديلائيد وألكسندرا فبادرتها إلى سؤال صاحب الشأن عن الأمر وبدا على الأمير هشتش،، وهو قريب الشاب، قلق شديد وكان الجنرال منفعلا انفعالا يكاد يخالط صوته آجلايا وحدها كانت هادئة كل الهدوء، فألقت على أوجين بافلوفتش نظرة فضول وكأنها تساءل هل تناسبه الثياب المدنية أكثر مما تناسبه البزة العسكرية، وما هي الا لحظة حتى أشاحت وجهها عنه ثم لم تهتم به قط وامتنعت اليزابت برو كوفيفنا عن سؤاله كذلك، رغم أنها لعلها شعرت ببعض القلق هي أيضا وأحس الأمير أن هناك شيئا من الفتور تشعر به الجنرالة نحو أوجين بافلوفتش ردد ايفان فيدوروفتش يقول مجية عن جميع الأسئلة: دهشت أشد الدهشة لم أصدق عيني حين رأيته بثياب مدنية لا عسكرية ببطرسبرج ما هذا التغيير المفاجيء؟ ذلك هو اللغز انه هو نفسه أول المنادين بأن على المرء أن لا يحطم الكراسي وخرج من الحديث الذي دار حول هذا الموضوع أن أوجين بافلوفتش كان منذ زمن طويل قد أفصح عن نيته في ترك الخدمة العسكرية، ولكنه كان، كلما أثار هذا الموضوع، يتكلم بلهجة تبلغ من قلة الجد أن أحدا لم يصدقه ذلك عدا أنه اعتاد أن يخلع على الأمور الهامة الخطيرة صفة الهزل، فلا يعرف أحد

أيصدقه أم لايصدقه، ولاسيما حين يتعمد هو نفسه أن يحير الناس وأن يضئهم في شعاب الظنون قال رادومسكى مرحا: لكنني لا أدع الخدمة العسكرية الا إلى حين، لا أدعها الا بضعة أشهر، أو سنة في أكثر تقدير فقال الجنرال بحرارة وهمة: لكنني لا أرى ضرورة هذا، في حدود معرفتى بشئونك وأعمالك على الأقل ألا يجب على أن أزور أطياني؟ ألم تنصحني أنت نفسك بذلك؟ ثم انني أود أن أقوم برحلة إلى الخارج وسرعان ما انحرف الحديث، ولكن القلق ظل ظاهرا، فاعتقد الأمير أن أمرا خطيرا يختبيء تحت هذا التبدل قال أوجين بافلوفتش سائلا وهو يدنو من آجلايا: هل عاد، الفارس الفقير واذن إلى بساط البحث؟ فما كان أشد دهشة الأمير حين ردت عليه الفتاة بنظرة مشدوهة مستفهمة، كأنما لتفهمه بأنالفارس الفقير، لم يكن موضع بحث بينهما في يوم من الأيام حتى أنها لا تفهم ماذا يريد أن يقول؟ وكان كوليا ما يزال في جدال مع اليزابت برو كوفيفا، فهو مايفتا يردد قائلا: فات الأوان، فات الأوان، لا يمكن ارسال أحد إلى المدينة في هذه الساعة ليجيء بكتب بوشكين سأظل أكرر هذا ثلاثة آلاف مرة اذا لزم الأمر: فات الأوان قال أوجين بافلوفتش وهو يبتعد عن اجلا يا مسرعة: فعلا فات الأوان الوقت متأخر الآن أظن أن المتاجر ستغلق أبوابها بطرسبرج بعد قليل، فالساعة قاربت التاسعة قال ذلك وهو ينظر في ساعته وقالت أديلائيد: انتظرنا حتى الآن،

ففي وسعنا أن ننظر إلى غد وأضاف كولا: لا سيما وأنه لا يليق بأبناء المجتمع الراقي أن يهتموا بالأدب كثيرا اسألى أوجين بافلوفتش لأن يملك المرء عربة ذات مقاعد صفراء وعجلات حمراء، فذلك أرقى وأميز قالت آدلائيد لقد اقتبست هذا أيضا من كتاب يا كوليا فقال أوجين بافلوفتش معقبا صحيح أن كل ما يقوله مستمد من قراءات فهو قادر على أن يتلو عليكم صفحات بكاملها مستمدة من مجلات نقدية، وقد سعدت بمعرفة حديث نيقولا آردااليوتش منذ زمن طويل؛ ولكنه في هذه المرة لا يردد جملة قرأها، وانما هو يلمع إلى عربتي ذات المقاعد الصفراء، التي تجري على عجلات حمراء فعلا ولكنني أحب أن أقول لك انتي أبدلت عربتى تلك، فجاء كلامك متأخرا عن الوقت المناسب أصغي الأمير إلى كلام رادومسكى فلاحظ أن الشاب يسلك سلوكا لا مأخذ عليه، وأنه متواضع مرح وأعجبه فيه خاصة أنه يعامل كوليا معاملة فيها مودة الند للند، حتى حين يناكده كولا ما هذا الذي تجيئينى به؟ كذلك قالت اليزابت برو كوفيفنا تسأل فيرا، بنت ليبديف، التي وقفت أمامها فجأة، مثقلة الذراعين بعدة كتب كبيرة الحجم أنيقة التجليد تكاد تكون جديدة قالت فيرا: هذا بوشكين هذا شاعرنا بوشكين أمرني بابا بأن أهدى اليك كتبه. فقالت اليزابت برو كوفيفنا مدهوشة: كيف؟ أهذا معقول؟ لا، لا، ما هذا بهدية ما هذا بهدية ما كان لي أن أجيز النفي ذلك هكذا قال

لبيديف محتجا وقد ظهر وراء ابنته على حين فجأة وتابع كلامه يقول وانما أتنازل لك عن هذه الكتب بيعت بسعر الشراء انها نسخه أسرتنا من مؤلفات بوشكين، طبعة آنكوف، التي أصبح العثور عليها الآن مستحيلا أتنازل عنها بيعا بسعر الشراء انني يا صاحب السعادة أقدمها اليك باحترام، على نية أن تبيعها اياها فتشبع بذلك نهمها النبيل إلى المباهج الأدبية اذا كنت تبيعها فأنا أشكر لك ذلك لا تخف، لن تخسر شيئا ولكن كفاك تلوية وتعقفة، أرجوك سمعت عنك أنك غزير الاطلاع جم المعرفة، فستحدث معة في يوم من الأيام هل تولى حمل الكتب الى بنفسك؟ قال ليديف وهو يظهر سروره ورضاه بحركات شتى من التلوى.

والتعقف: بكل احترام واجلال وانتزع الكتب من يدى ابنته حسن التي بها انني أعفيك من الاحترام والإجلال، ولكن لا تضيع الكتب ثم أضافت تقول وهي تحدق إلى عينه ولكني اشترط أن لا تتخطى عتبة باب بيتى، فانني لا أنوي أن استقبلت هذا اليوم غير أن في وسعك أن ترسل إلى ابنتك فيرا حالا اذا شئت لقد أعجبتني كثيرا قالت فيرا لأبيها بلهجة تدل على نفاد الصبر لماذا لا تقول شيئا عن أولئك الذين ينتظرون هناك؟ اذا لم تدخلهم فسوف يقتحمون الباب لقد بدأوا باحداث صخب وضجة ثم أضافت تخاطب الأمير الذي كان قد

تناول قبعته: يا ليون نيقولايفتش، ان في بيتك أربعة أفراد ينتظرونك منذ مدة طويلة، ويحدثون جلبة لأن أبي لا يسمح لهم بأن يدخلوا عليك سألها الأمير: من هم هؤلاء الزوار؟ يدعون أنهم يجيئون اليك لعل من الأعمال، لكنهم أناس لا يتورعون أن يستوقفوك في الشارع اذا لم يسمح لهم بالدخول الأفضل يا ليون نيقولايفتش أن تدخلهم وتتخلص منهم عبثا حاول جبريل آردااليونوفتش وبين أن يفاوضاهم، أنهم لا يريدون أن سمعوا، لا يريدون أن يسمعوا شيئا البتة قال ليديف وهو يحرك يديه باشارات كثيرة: هذا ابن بافلشتشيف ابن بالشتشيف لا داعي إلى استقباله، لا داعي ان هؤلاء الناس لا يستحقون أن تصغي اليهم وسمع كلامهم، بل انه لا يليق بك يا سمو الأمير أن تزعج نفسك من أجلهم نعم، لا يستحقون هتف الأمير يقول بانفعال عميق: ابن بافلشتشيف؟ آه أنا أعلم أن ولكني عهدت إلى جبريل آردااليونوفتش أن يهتم بهذه القضية هو نفسه قال لي منذ لحظة وهنا ظهر جبريل آردااليونوفتش في الشرفة خارجة من شقة الأمير وظهر بعده بتنسين ان ثمة ضجة تسمع من الغرفة المجاورة وان صوت الجنرال ايفولجين المدوي يحاول أن يطغى على أصوات عدة أشخاص آخرين هرع كوليا يستطلع بواعث هذه الجلبة قال أوجين بافلوفتش: شيء شائق جدا حدث الأمير نفسه بقوله:هو اذن على علم بالأمر وقال الجنرال ايفان فيدوروفتش متحيرا وهو يسأل

بنظره جميع الوجوه، كأنما يدهشة أن يكون الوحيد الذي يجهل هذه الحكاية الجديدة ابن بالشتشيف؟ هل يمكن أن يكون هناك شخص هو ابن بالشتشيف؟ أيقظ الأمر اهتمام الجميع، وشحذ انتباههم فما كان أشد دهشة الأمير حين رأى أن قضية شخصية لا تتعلق بأحد غيره قد أثارت هذا الاهتمام كله لدى جميع الحضور قالت آجلايا وهي تقترب من الأمير برصانة ووقار:الأفضل أن تسوى هذه القضية فورا، وأن تسويها بنفسك اسمح لنا بأن نكون جميعا شهودة لك انهم يريدون أن يلطخوك يا أميره فعليك أن تبرىء نفسك تبرئة ساطعة باهرة انني لأبتهج سلفا حين أتصور أنك فاعل ذلك وهتفت الجنرالة تقول أنا أيضا أتمنى أن يوضع حد لهذا الادعاء الدنيء لقنهم درسا قاسيا يا أمير، لا ترأف بهم لقد صدعوا رأسي بهذه القضية، ما أكثر ما زعلت لك انه لمن الشائق أن تراهم. ادعهم إلى المجيء سنبقى هناء فكرة أجلا يا فكرة حسنة ثم قالت الجنرالة تسأل الأمير شتش،: هل سمعت عن هذه القضية يا أمير؟ نعم، سمعت عنها، بل سمعت عنها في بيتكم أنتم انني أحب كثيرا أن أرى هؤلاء الشبان. هم عدميون، أليس كذلك؟ قال ليبديف وهو يتقدم خطوة ويكاد يرتجف من شدة الانفعال: لا، ليسوا عدميين بمعنى الكلمة، هم فئة أخرى، من نوع على حدة ابن اختى يزعم أنهم أكثر غلوة من العدميين تخطىء يا صاحب السعادة اذا ظننت أنك بحضورك ستربكهم وتخيفهم هؤلاء

فتية لا يهابون أحدا ان بين العدميين أناسا مثقفين على الأقل، حتى لقد تجد بينهم علماء أما هؤلاء فهم يفوقون العدميين لأنهم أناس عمليون. صحيح أنهم منحدرون من العدميين، ولكنهم منحدرون منهم على نحو غير مباشر، بطريقة مواربة انهم لا يعبرون عن أنفسهم بمقالات في الجرائد، بل يمضون إلى الوقائع رأسا لا يعنيهم مثلا أن يبرهنوا على أن بوشكين لا نفع فيه ولا جدوى منه، ولا يعنيهم أن يبرهنوا على أن من الواجب تقسيم روسيا وتجزئتها لا، هذه أمور لا تهمهم وانما هم يرون أن من حقهم، متى رغبوا في شيء من الأشياء، أن لا يصدهم عنه أي عائق وأن لا تعترضهم أية عقبة، فاذا اقتضى الأمر أن يقتلوا ثمانية أشخاص فعلوا دون تردد انني انصحك يا أمير بأن لا لكن الأمير كان قد مضى يفتح الباب للزوار وقال وهو يبتسم انك تجنى عليهم يا ليبديف صحيح أن ابن اختك قد سبب لك متاعب كثيرة لا تصدقيه يا اليزابت بروكوفيفنا أؤكد لك أن أمثال جورسكى وأمثال دانيلوف ليسوا الا حالات فردية استثنائية أما هؤلاء الشبان فانهم مخطئون لا أكثر على اننى أوثر أن لا أتحدث معهم هنا أمام الجميع معذرة يا اليزابت برو كوفيفنا : سوف يدخلون، فأقدمهم اليكم وأعرفكم بهم، ثم أخرج معهم ادخلوا أيها السادة، تفضلوا والحق أن الأمير كانت تشغل باله وتعذبه فكرة أخرى كان يتساءل أليست هذه مكيدة مدبرة لهذه الساعة بعينها ولهذا الاجتماع نفسه، لا من أجل

أن تتاح له فرصة الانتصار، بل من أجل أن تهيأ له أسباب التلطخ بالخزي والعار؟ ومع ذلك كان يأخذ على نفسه انقياده لمثل هذا والشك الشاذ الخبيث،، ويشعر من ذلك بحزن شديد، حتى لكأنه يمكن أن يموت من الشعور بالخزي والعار على الفور لو استطاع أحد أن يكتشف أن فكرة كهذه الفكرة قد خطرت بباله أو دارت في خلده وحين ظهر الزوار كان مستعدا أصدق الاستعداد لأن يعد نفسه أحط الناس قاطبة من الناحية الأخلاقية بين هؤلاء الذين يحيطون به دخل خمسة أشخاص: أربعة قادمين جدد، ووراءهم الجنرال ايفولجين الذي كان يبدو منفعلا أشد الانفعال، وكان يبدو أن نوبة فصاحة وبلاغة قد استولت عليه واستبدت به قال الأمير يحدث نفسه مبتسما: لا شك في أن هذا معي وكان كوليا قد تسلل إلى الجماعة، فهو يتحدث بحرارة إلى هيبوليت، احد أفراد العصبة، وكان هيبوليت يصغي إلى كلامه مبتسما ابتسامة عدم التصديق أجلس الأمير القادمين انهم شبان في غضارة العمر، يكادون أن يكونوا مراهقين، حتى ليستغرب المرء أن يستقبلوا بهذا الاحتفال كله وهم في هذه السن وحين رأى ايفان فيدوروفتش هؤلاء الصيان الأغرار وكان يجهل كل شيء عن هذه القضية الجديدة، ولا يفهم منها شيئا البتة استاء استياء شديدا، حتى لقد كان يمكن أن يعترض ويحتج لولا أن صده عن ذلك ما لاحظه لدى امرأته من اهتمام عنيف بشئون الأمير

الشخصية، وهو اهتمام كان يبدو له في الوقت نفسه غريبا عجيبا على أنه بقي ولم ينسحب، مدفوعا إلى ذلك بحب الاطلاع من جهة، وبحب فعل الخير من جهة أخرى، فلعله يمكن أن يكون نافعا، ولعله يستطيع أن يفرض مهابته بما له من سلطة، ولكن التحية التي حياه بها الجنرال ايفولجين من بعيد حين دخل، قد أضرمت استياءه من جديد، فاكفهر وجهه وقرر أن يلوذ بالصمت فما ينطق بحرف بين الزوار الشبان الأربعة كان واحد منهم على الأقل في نحو الثلاثين من عمره انه ذلك الملاكم الليوتنان المتقاعد الذي كان أحد أفراد عصبة روجويين، والذي كان يتباهي بأنه أعطى في الماضي صدقة قدرها خمسة عشر روبلا في وسع المرء أن يقدر أنه قد انضم إلى الآخرين رفيقة يشد أزرهم ويثبت عزيمتهم ويهب إلى مساعدتهم اذا اقتضى الأمر وبين صحبه الثلاثة، كانت المنزلة الأولى وكان الدور الأكبر لذلك الذي يسمىابن بالشتشيف رغم أنه كان هو نفسه يعرف نفسه للناس باسم آنشب بوردوفسكى انه فتى أشقر؛ في وجهه بثور؛ ثيابه فقيرة قذرة؛ يبلغ ردنجونه من الاتساخ أن كميه يلمعان؛ تدل صديريته الوسخة المعقودة أزرارهـا حتى النحر على أنه لا يلبس تحتها قميصا؛ يلفع عنقه منديل من حرير أسود ملطخ متلفف كحبل؛ يداه غير مغسولتين؛ نظرته تعبر عن مزيج من سذاجة ووقار؛ نحيل الجسم أميل إلى الطول؛ يبدو في نحو الثانية والعشرين من العمر،

لا يكشف وجهه لا عن أي سخرية ولا عن أي تفكير، لا يقرأ المرء في هذا الوجه الا امتلاء غبيا بليدا بما يظن أنه حقه، ولا حاجة غريبة مستمرة في الوقت نفسه إلى الشعور بأنه مساء اليه مهان؛ يتكلم بلهجة فيها انفعال؛ وفي كلامه المتدفق السريع المتردد الذي يضيع جزءا من الألفاظ ما قد يوهم بأنه ثأثاء أو بأنه أجنبي مع أنه روسى صرف وكان يصحبه ابن اخت ليبديف الذي سبق أن عرفه القارىء، وكان يصحبه كذلك هيبوليت ان هيبوليت فتى في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من العمر ينم محياه عن ذكاء، لكن وجهه دائم التقلص، يحمل طابع المرض الرهيب الذي يأكله أكلا أنه نحيل أشد النحول، حتى لكأنه هيكل من عظم؛ وهو شاحب اللون، كالشمع اصفرارا؛ له عينان ساطعتان متقدتان، وعلى خديه بقعتان حمراوان؛ وهو لا ينفك يسعل بغير انقطاع؛ وكل كلمة من كلماته، وكل زفرة من زفراته تصحبها حشرجة تقريبا واضح أنه بلغ المرحلة الأخيرة من مرض السل، فاذا راه المرء قدر أنه لن يعيش أكثر من أسبوعين أو ثلاثة كان يبدو مرهقا، فما كاد يدخل حتى تهالك على كرسي قبل أن يجلس الآخرونه

وقد دخل رفاقه وهم يفتعلون شيئا من الأبهة والاحتفال كان يبدو عليهم أنهم مرتبكون بعض الارتباك، لكنهم يصطنعون خطورة الشأن

كأنهم يخشون أن يعرضوا مهابتهم للضياع وذلك وضع يتعارض تعارضا غريبا مع ما اشتهروا به من أنهم أناس يستخفون بالسفاسف الاجتماعية ولا يعبأون بالآداب السخيفة التافهة، ومن أنهم لا يعرفون الا قانونا واحدا هو مصلحتهم. دمدم ابن بالشتشيف، يقول معرفا بنفسه آنتيب بوردوفسكى وقال ابن أخت ليديف معرف بنفسه، ناطقا اسمه بوضوح وتميز كأنما هو يعتز به: فلاديمير دوكتور نكو: وتمتم اليونان القديم قائلا في التعريف بنفسه كير صاح الزائر الأخير يقول بنبرة غير متوقعة هيبوليت تيرنتيف جلس هؤلاء كلهم صفا واحدا أمام الأمير حتى اذا فرغوا من تقديم أنفسهم وذكر أسمائهم عبسوا وقطبوا، وأخذوا ينقلون طاقياتهم من يد إلى بد، زيادة في اظهار قوة البأس كان كل منهم متأهبا لأن يتكلم، لكنه يلتزم الصمت، ويتخذ وضع الانتظار والاستفزاز ونسان حاله يقول: لا يا صاحبي، لن تخدعنا وتغرر بنا ان المرء ليحس أنهم متي قيلت الكلمة الأولى التي تحطم الجيد فسوف يندفعون في الكلام جميعا في آن واحد يقاطع بعضهم بعضا ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

الفصل السابع

بدء الأمير الكلام فقال: اى لم أكن أتوقع أن أرى أحدا منكم يا سادة، ولقد كنت أنا نفسي مريضا حتى هذا اليوم أما قضيتك قال الأمير ذلك متجها بالكلام إلى أنتيب بوردوفسكى، فانني قد عهدت بها منذ شهر إلى جبريل آر داليونوفتش، كما أنبأتك بذلك في حينه ثم انـي لا أرفـض أن أبحث معكم الأمـر بنفسي ولكن لا بد أنكم توافقون على أن بحث هذا الأمر الآن فاذا كنتم تقدرون أن البحث لن يطول فانني اقترح عليكم أن تنتقلوا معي الى غرفة أخرى ان عندي في هذه اللحظة أصدقاء، وأرجوكم أن تصدقوا أن فقاطعه ابن اخت ليديف قائلا بلهجة فيها شدة وتسلط، دون أن يرفع صوته مع ذلك: أصدقاء ليكن عندك ما شئت من أصدقاء ولكن اسمح لنا أن نعلن أنك كان في وسعك أن تسلك معنا سلوكا أقرب إلى الأدب والتهذيب، وأن لا تجعلنا ننتظر في حجرة المدخل ساعتين فما ان قال ابن أخت ليديف ذلك الكلام حتى اندفع آنتيب بوردو فسكى يقول فجأة وقد بلغ ذروة الانفعال: طبعا طبعا وأنا أيضا انظروا كيف يتصرف الأمراء أنا لست خادمك ولكنني ولكنني كانت شفتاه تختلجان وكان صوته يرتجف من فرط الغيظ، وكان الزبد يخرج من فمه فقاعات تنفجر،

وكان تدفقه في الكلام يبلغ من السرعة أنه أصبح بعد عشر كلمات لا يفهم البتة وقال هيوليت بصوت صارخ: نعم هذه أساليب الأمراء ودمدم الملاكم قائلا: لو كان هذا السلوك موجهة إلى، أعني لو أن هذا الأسلوب استعمل معي لا مع بوردوفسكى، لكنت قال الأمير صدقوا يا سادة أنني لم أعلم بوجودكم هنا الا منذ دقيقة واحدة وعاد ابن أخت ليبديف قول لسنا نخشى أصدقاءك مهما يكن شأنهم يا أمير، لأننا على حق واستأنف هيبوليت زعيقه فقال وقد ازدادت حرارته زيادة واضحة من ذا الذي أجاز لك اسمح لي أن ألقى عليك هذا السؤال من ذا الذي أجاز لك أن تعرض قضية بوردوفسكى لحكم أصدقاءك؟ قد لا تكون مستعدين لأن نقبل هذا الحكم اننا نعرف ما عسى أن تكون قيمة هذا الحكم ارتبك الأمير من هذا الاستهلال أشد الارتباك، فلم يعرف كيف يدس في زحمة هذا الكلام جوابا قال: لكنني سبق أن قلت يا سيد بوردوفسكى ان في وسعنا، اذا أنت لم تشأ أن تشرح الأمر هنا، في وسعنا أن نستقل، إلى غرفة أخرى على الفور وأعود فأقول لك انني لم أعلم بحضور كم الا في هذه البرهة وعاد بوردوفسكى يغمغم وهو يلقي حوله نظرة ريب وشك، ويزداد اندفاعة على قدر شعوره بقلة الثقة ولكن لا يحق لك، لا يحق لك، لا لا يحق لك ان اصدقاءك هه لا يحق لك ثم توقف عن الكلام فجأة كأن شيئا قد تحطم فيه؛ ومال بجسمه الى أمام، ثم حدق إلى الأمير، كما لو كان يريد أن يسأله، حدق اليه بعينيه الحميرتين اللتين تحددهما

أوردة صغيرة حمراء فبلغ الأمير من الدهشة في هذه المرة أنه لم يجد كلمة يقولها، ونظر هو أيضا إلى بوردوفسكى محملقا وفجأة نادته اليزابت برو كوفيفنا قائلة له اقرأ هذا في هذه الجلسة نفسها يا ليون نيقولا يفتش فان له علاقة مباشرة بقضيتك وأسرعت تمد اليه جريدة أسبوعية ساخرة، ودلته بأصبعها على مقالة في الجريدة ان ليديف الذي كان يريد أن تنظر اليه الجنرالة نظرة حسنة كان قد استل تلك الجريدة من جيبه لحظة دخول الزوار، فوضعها تحت بصر الجنرالة مشيرة لها إلى عمود مؤشر عليه بالقلم الرصاص فاذا بالأسطر القليلة التي اتسع وقتها لأن تقرأها تحدث في نفسها أعمق الاضطراب تمتم الأمير يقول خجلا أشد الحجل لعل الأفضل أن لا تكون القراءة جهارا سأطلع على المقالة وحدى فيما بعد فما كان من اليزابت بروكوفيفنا الا أن انتزعت الجريدة من يدي الأمير بحركة تململ وتذمر، قبل أن يستطيع الأمير أن يلقى على المقالة غير نظرة سريعة، ثم مدت الجريدة إلى كوليا وقالت له: طيب اقرأ أنت اقرأ على الفور واقرأ بصوت عال اقرأ جهارا هل سمعت؟ جهارا، جهارا ان اليزابت برو كوفيفنا امرأة شديدة الاندفاع، حتى لقد ترفع في بعض الأحيان جميع المواسي دون تفكير ناضج، وتقلع في عرض البحر رغم العواصف شعر ايفان فيدوروفتش بقلق وبيمنا كان الحضور حائرين مرتبكين منتظرين، فض كوليا الجريدة وأخذ يقرأ، بصوت عال، المقالة التي أسرع ليبديف يدله عليها: گادحون وأحفاد

أمـراء قصة سرقة وقعت اليوم وتقع كل يوم تقدم اصـلاح عدالة وتحدث أمور غريبة في هذه البلاد التي يسمونها روسيا المقدسة في هذا الزمان، زمان الاصلاحات والمشروعات الرأسمالية الكبرى والـروح القومية ونـزوح الملايين إلى البلاد الأجنبية في كل عام وتشجيع الصناعة واضطهاد العاملين، الخ الخ واذ أننا لن نفرغ من هذا التعداد أيها السادة فلننتقل إلى الواقع:آن حدثا غريبا قد وقع لواحد من أبناء أرستقراطيتنا الاقطاعية المتوفاة رحمها الله أن أسلاف هؤلاء الأبناء قد خسروا كل شيء في القمار بالروليت ووجد آبـاؤهـم أنفسهم مضطرين أن يخدموا في الجيش مرشحين أو ملازمين، ثم ماتوا على وجه العموم تحت وطأة ملاحقات قضائية لمخالفات بريئة، ارتكبوها في حق أموال ائتمنوا عليها وعينوا لها محاسبين ويشب أولادهـم، كبطل قصتنا، كما يشب أولاد بلهاء، أو يقبض عليهم لجرائم يقترفونها فيبرنهم القضاء ليتيح لهم فرصة أصلاح حالهم، أو يسببون فضيحة من تلك الفضائح التي تدهش الرأي العام ويجللون بعار جديد هذا العصر الذي أصبح يجلله العار بما فيه الكفاية منذ الآن لقد عاد صاحبنا ابن سلالة الأمراء، عاد إلى روسيا من سويسرا منذ ستة أشهر بعد أن اتبع هنالك علاجا لشفائه من البلاهة كذا، وهو يرتجف بردا تحت معطف ليس له حتى بطانة يجب أن نعترف بأنه كان امرءا فبصرف النظر هنا عن المرض اللطيف الذي سافر إلى سويسرا لمعالجته معالجة البلاهة، تصوروا

هذا ، فان أمره يأتي مصدقة للمثل الروسي القائل:لا حظ الا لفئة من الناس، وسنعرض عليكم الوقائع فاقضوا في المسألة بأنفسكم: لقد أصبح هذا الشاب يتيما في طفولته منذ نعومة أظفاره، لأن أباه مات، فيما يقال، حين كان سيمثل أمام المجلس الحربي لتبديده في القمار أموال سريته كضابط ملازم، وربما أيضا لأنه جلد بكثير من السخاء واحدا من مرءوسه تذكروا الزمان القديم أيها السادة وحين مات أبوه كفله ورعاه ملاك روسى محسن غنى جدا ان ذلك الملاك ولنطلق عليه اسم ب كان يملك في ذلك العصر الذهبي أربعة آلاف نفس، أربعة آلاف من الأقنان هل تفهمون معنى كلمة الأقنان هذه أيها السادة؟ أما أنا فانني لا أفهمها ولا بد لي من الرجوع إلى معجم لأدرك معنى هذه الكلم فالمرء لا يكاد يصدق هذا الأمر رغم أنه قريب العهد، أغلب الظن أنه كان واحدة من أولئك الروس الكسالى الطفيليين الذين يقضون حياتهم الخالية العاطلة في الخارج، ففي الصيف يذهبون إلى مناطق المياه المعدنية وفي الشتاء ينتقلون إلى قصر الأزهار، بباريس، فينفقون هنالك مبالغ خرافية نستطيع أن نؤكد أن ثلث الاتاوات التي كان الفلاحون في عهد القنانة يدفعونه لأسيادهم انما كان ينتقل إلى يدي مالكقصر الأزهار، الرجل السعيد . مهما يكن من أمر، فان ذلك الرجل اللاهى قد نشأ اليتيم كما ينشأ أمير، فعين له مربين ومربيات جميلات طبعا كان يأتي بهن من باريس ولكن هذا الابن الأخير من أبناء تلك السلالة الشهيرة كان أبله فرغم

جميع الجهود التي بذلتها المربيات اللواتي تم اغراؤهن في قصر الأزهار فان تلميذنا قد بلغ العشرين من عمره دون أن يستطيع تعلم أية لغة أجنبية، وحتى دون أن يستطيع تعلم اللغة الروسية على أن جهل اللغة الروسية أمر يغتفر وأخيرا نبتت فكرة سخيفة في ذهن ذلك السيد «ب،، الذي كان يؤمن بالعبودية، فاعتقد ان في الإمكان أن يكتسب الأهبل ذكاء في سويسرا، على أن هذه الفكرة لا تخلو من منطق: فان هذا الطفيلي، هذا الملاك، كان لا بد أن يتصور أن أي شيء يمكن أن يشتري بالمال كسائر الأشياء، ولا سيما في سويسرا وهكذا وقفت خمس سنين على معالجة سليل الأمراء في تلك البلاد تحت اشراف استان شهير، وأنفقت في ذلك الاف الروبلات ولم يصبح الأبله رجلا ذكيا بطبيعة الحال، ولكن يزعم بعضهم أنه أخذ يشبه الإنسان بعض الشبه.هنا مات «ب، فجأة ولم يترك أي وصية طبعا وكانت أعماله وشئونه المالية فوضى، مضطربة أشد الاضطراب وورثه جمهور من الورثة الطامعين الشرهين الذين لا يكترث أحد منهم بأن يمول أبناء سلالة نبيلة وأن يساعدهم من باب الاحسان على الشفاء في سويسرا من بلاهة ولدوا بها ولكن سليل أسرة الأمراء الذي نتحدث عنه حاول أن يخدع البروفسور الذي يعالجه، فأخفى عنه نبأ موت الرجل المحسن اليه، واستطاع بذلك أن يحمله على أن يعالجه بالمجان سنتين أخريين ولكن البروفسور نفسه كان دجالا بارعة: فانه اذ أقلقه أخيرا أن لا يقبض شيئا من مريض يلتهم الطعام

بشهوة ابن الخامسة والعشرين من العمر، ألبس قدميه البادت حذاء به، وخلع على كتفيه معطفا مهترئة، ورحله على نفقته إلى روسيا في الدرجة الثالثة من القطار ليخلص منه سويسرا يمكن أن يظن أن الحظ قد أدار ظهره لبطلنا ولكن الحقيقة ليست هذه: أن الحظ الذي يحلو له أن يبيد بالمجاعة أقاليم بأكملها قد أغدق جميع نعمه على هذا الارستقراطي الصغير دفعة واحدة، مثله في ذلك كمثل تلك السحابة التي تحدثنا عنها حكاية كريلوف، تلك السحابة التي مرت فوق حقول يابسة من الظمأ، ثم مضت تهطل مطر غزيرة فوق البحر المحيط ففي اللحظة التي كان فيها صاحبنا سليل الأمراء عائدة من سويسرا إلى بطرسبرج مات رجل من أقرباء أمه سليل أسرة من التجار طبعا، هو تاجر عجوز ذو لحية لم يخلف أولادا وكان ينتمي إلى ملة الراسكولنيك، وقد ترك ميراثة لا يمارى فيه أحد، يقدر ببضعة ملايين عدا ونقدا شيء يمكن أن يسوي قضيتنا، أليس كذلك أيها القارىء العزيز؟، ترك هذ الميراث لصاحبنا سليل أسرة الأمراء، لصاحبنا البارون الذي كان يعالج في سويسرا من البلاهة عندئذ تغيرت الموسيقى ان صاحبنا البارون الواضع على حذاءيه البادتين، رأى نفسه بعد أن غازل امرأة شهيرة، رأى نفسه محاطا بجمهور من الأصدقاء والأصحاب لقد اكتشف لنفسه أقرباء أكثر من ذلك أن أنسات نبيلات كثيرات أصبحن يحترقن رغبة في أن يتزوجنه زواجا شرعيا، اذ هل يمكنهن أن يجدن عريسا أفضل من شاب ارستقراطي،

صاحب ملايين، أبله؟ عريسا اجتمعت فيه كافة المزايا في آن واحد؟ ما كان لهن أن يعثرن على عريس مماثل، ولو بحثن عنه في ضوء قنديل، أو أوصين عليه وفقا للمقاييس صاح ايفان فيدوروفتش يقول وقد بلغ ذروة الاستياء: هذا أصبحت لا أفهمه ودوت صيحات تعجب في كل جهة من الجهات قالت اليزابت برو كوفيفنا أمرة: فليقرأ، فليقرأ مهما يكلف الأمر يا أمير، اذا كف عن القراءة فسوف نزعل وكان واضحا أن اليزابت برو كوفيفنا كانت أقلهن سيطرة على نفسها وكبحا لجماحها لم يكن ثمة مفر تابع كوليا قراءته مختلج الصوت محمرا أشد الاحمرار من فرط الانفعال:وبينما كان صاحبنا المليونير الجديد يشعر انه انتقل إلى السماء السابعة ان صح التعبير، حدث ما لم يكن متوقعا قط ففي ذات صباح جاء اليه زائر ذو وجه هادىء قاس، يرتدي ثيابا بسيطة لكنها محترمة وأخذ هذا الرجل الذي تميز لغته بأنها مهذبة رضية معقولة في آن واحد، والذي يدل تفكيره على أنه لبرالى الاتجاه، أخذ يشرح له الغرض من زيارته بايجاز هو محام مشهور جاء من قبل شاب وكله عنه في تولي شئونه، وليس ذلك الشاب الا ابن المرحوم «ب»، رغم أنه يحمل اسما آخر ان المرحوم «ب، الذي كان في شبابه رجلا داعرا فاسقا قد أغوى فتاة فقيرة شريفة كانت رغم حالة العبودية التي هي فيها قد تربت تربية أوروبية واضح أنه استعمل ما كانت تجيزه القنانة للسادة من حقوق فلما لاحظ ما ستنجبه هذه العلاقة من ثمرة قريبا لا مفر منها أسرع يزوج

الفتاة لرجل نبيل الخلق كان له عمل صغير بل وكانت له وظيفة رسمية، وكان يحب الفتاة منذ عهد بعيد وقد ساعد العروسين في أول الأمـر، ولكن الـزوج لم يلبث أن رفض مساعداته أنفة وشمما وكبرياء فما انقضى بعض الوقت حتى كان ب، قد نسى شيئا فشيئا صديقته القديمة والطفل الذي ولد له منها ثم مات، كما ذكرنا، دون أن يكتب وصية فهذا الابن الذي ولد لصاحبنا ب، بعد زواج أمه، والذي تبناه الرجل الطيب القلب وحمل الولد اسمه، أصبح بغير مورد بعد وفاة الرجل الطيب زوج أمه، وأصبح مسئولا عن أمه المريضة الكسيحة كانت أمه تعيش في اقليم ناء من الأقاليم وقد استقر هو في العاصمة، فكان يجني رزقا شريفا باعطاء دروس خاصة في بيوت أسر من التجار، فاستطاع بذلك أن يقيم أوده وأن يعول نفسه خلال مدة دراسته في المدرسة الثانوية، ثم استطاع بعد ذلك أن يتابع دراسة علا بغية التهيؤ لمركز في المستقبل ولكن ما الذي يمكن أن تدر لك دروس خاصة تعطيها في بيوت أسر من التجار الروس الذين يدفعون أجر الساعة عشر كو بكات، ولا سيما حين يكون عليك أن تساعد أما مريضة كسيحة؟ وقد ماتت أمه في الاقليم النائي بعد ذلك، فلم يكد يخرجه هذا مما هو فيه من عسر وضيق.والآن يطرح سؤال: ما عسى يكون تفكير صاحبنا سليل الأمراء في هذا الأمر اذا هو أراد العدل والإنصاف؟ أغلب الظن أنك تقدر أيها القارىء العزيز أنه قال لنفسه: أن «ب، قد غمرني بفضله ونعمه طوال حياته وقد

أنفق عشرات الألوف من الروبلات على تعليمى ومربياتى وعلاجى بسويسرا وأنا اليوم مليونير، بينما أرى ابنه النبيل ذاك، البريء من أخطاء أب طائش نساء، يرهق نفسه في اعطاء دروس خاصة أن كل ما أنفقه على أبوه انما ينبغي أن يعود اليه شرعا وانصافا ان جميع تلك المبالغ الضخمة التي ضحى بها أبوه في سبيلى ليست ملكى في حقيقة الأمر فلولا خطأ ارتكبه الحظ الأعمى لكان ينبغي أن تئول إلى ابن «ب»، وأن ينتفع هو بها لا أنا، لأن «ب، لم يقفها على الا من باب النزوة أو الخفة أو النسيان فاذا كنت رجلا شريفة كل الشرف، مرهف الشعور تماما، عادلا كل العدل، لوجب أن أهب لابن ذلك الرجل الذي أحسن الى وأنعم على نصف ميرانى ولكن لما كنت رجلا مقتصدا قبل كل شيء، وكنت أعلم حق العلم أن مطالبته لا تستند إلى أي أساس قانونى فسوف امتنع عن مقاسمته ملاييني على انني اذا لم أرد اليه الآن، على الأقل، عشرات الألوف من الروبلات التي انفقها على أبوه الشفائي من بلاهتى، فانني أرتكب عملا دنيئا كل الدناءة، حقيرا كل الحقارة نسي أن يضيف إلى ذلك أن عمله يكون عندئذ مفتقرا إلى بعد النظر وحسن التبصر بالعواقب، أن المسألة لا تعدو أن تكون مسألة ضمير وعدل وانصاف اذ ما الذي كان يمكن أن أصير اليه لو أن ب، لم يكفلني ولم يتول تربيتى، وانصرف باهتمامه إلى ابنه لا إلى؟ ولكن لا أيها السادة أن أبناء سلالات الأمراء لا يفكرون في الأمور هذا التفكير هل تصدقون أن صاحبنا سليل أسرة الأمراء هذا

الذي نشأ بسويسرا لم يستجب أي استجابة للحجج الدامغة والأدلة القوية التي ساقها له المحامى يجب أن نذكر هنا أن المحامي حين قبل أن يتولى شئون مصالح الشاب انما فعل ذلك من باب الصداقة، ورغم ارادة الشاب تقريبا موضحا ما توجبه قواعد الشرف وأخلاق الكرم ومبادىء العدل، بل ويوجبه أبسط احساس بالمصلحة ذاتها ولو اقتصر الأمر على ذلك لهان وأمكن احتماله ولكن اليكم ما حدث مما لا يمكن غفرانه ولا يمكن أن يلتمس له عذر بأي مرض من الأمراض ان هذا المليونير الذي لم يخلع لبادتي البروفسور عن حذاء به الا منذ برهة قصيرة، لم يستطع حتى أن يفهم أن هذا الشاب النبيل الذي كان يضنى جسمه في العمل حتى لكأنه يقتل نفسه به قتلا لم يتجه اليه طالبا الرأفة به والتصدق عليه، وانما هو يطالبه بدين صريح، وأن هذا الدين اذا كانت تعوزه المؤيدات القانونية فهو التزام يوجبه الحق ذلك عدا أن الشاب لم يطلب شيئا بنفسه، لأن أصدقاء له هم الذين كانوا يتدخلون في الأمر نيابة عنه وهذا هو صاحبنا سليل أسرة الأمراء يصطنع هيئة التعاظم، ويستل من جيبه ورقة نقدية قدرها خمسون روبلا فيقدمها إلى الشاب النبيل صدقة وقحة، وهو يشعر بكل ما يشعر به من كبر وخيلاء، مليونير يعتقد أن كل شيء مباح ألا تصدقون أيها السادة؟ انكم مستاءون ثائرون انكم تطلقون صيحات استنكار ومع ذلك فان هذا هو ما حدث طبيعى أن المبلغ قد رد اليه فورا، بل ألقي في وجهه القاء ان صح التعبير ما

عسى تكون نتيجة هذه القضية؟ ما كانت هذه القضية تفتقر إلى أساس قانونى، فانه لم يبق الا أن تعرض على الرأي العام فنحن لذلك تنقل هذه القصة إلى قرائنا مؤكدين لهم صحتها وصدقها وقد نظم أحد شعرائنا الساخرين المشهورين، نظم بهذه المناسبة أبيات جميلة تستحق أن يكون لها مكان في وصف أخلاقنا وعاداتنا لا بالاقاليم وحدها بل بالعاصمة أيضا فاليكم هذه الأبيات: ظل ليوفا اعواما خمسة + يختال بمعطف شنايدر. يقضي وقته على عادته في انواع السفاسف والترها

حتى اذا عاد وعلى حنايه لبادتان ضيقتان ورث مليون روبل. انه يرتل صلواته بالروسية لكنه يسرق الطلاب حين انتهى كوليا من القراءة أسرع يناول الأمير الجريدة، ومضى يعتصم بركن من الأركان دون أن يقول كلمة واحدة، دافنا وجهه في يديه كان يشعر بخزي لا يطاق، وكانت نفس الطفل التي هي نفسه لا تألف بعد حقارات الحياة ودناءاتها، فهو مضطرب الآن اضطرابا يفوق كل وصف كل يخيل اليه أن شيئا خارقا للعادة قد حدث، شيئا سيعقبه انهيار كل شيء من حوله دفعة واحدة، وأنه سبب هذه الكارثة كلها بمعنى من المعاني، لأنه قرأ هذه المقالة بصوت عال جهارا واتفق أن جميع الحضور قد راودهم شعور من هذا النوع أحست الفتيات بضيق وحياء وكبحت اليزابت برو كوفيفنا غضبها الذي بلغ أقصى حد ولعلها كانت تشعر

بندم مر على اقحامها نفسها في الأمر فهي الآن صامتة لا تتكلم أما الأمير فكان يعاني المشاعر التي يعانيها الأفراد الخجولون جدا في مثل هذه الحالات: كان يحس بعار هذه الأفعال التي يقوم بها هؤلاء الزوار احساسا بلغ من القوة أنه لبث لحظة من الوقت لا يجرؤ أن ينظر إلى أحد وكان بتشين وفاريا وجانبا وحتى ليديف، كانوا جميعا يشعرون بخجل شديد واضطراب قوى. وأغرب ما في الأمر أن هيوليت وابن بافلشتشف، كان يبدو عليهما، هما أيضا، أنهما مدهوشان وكان ابن أخت ليديف يصطنع هيئة عدم الرض وقلة الارتياح واحتفظ الملاكم وحده بهدوء كامل، فكان يرفع شاربيه بوقار ويغض عينيه لا حرجا بل تواضعا كريما، وشعورا بانتصار صريح كان واضحا أنه معجب بالمقالة اعجابا شديدا دمدم ايفان فيدوروفتش يقول: الشيطان وحده يعلم مصدر هذه الدناءة لكأن خمسين حقيرا اشتركوا في تلفيق حكاية تبلغ هذا المبلغ من الخسة قال هيبوليت وهو يرتجف أشد الارتجاف من فرط الغضب اسمح لي أن أسألك، يا سيدي العزيز بأي حق تفترض هذه الافتراضات الجارحة؟ وجمجم الملاكم يقول وقد ارتعش فجأة وأخذ يعقف شاربيه بينما أخذت كتفاه وجسمه تهتز بار تعادات: هذه، هذه، هذه اهانة، يا جنرال، بالنسبة إلى سيد نبيل، بالنسبة إلى رجل يجب أن تسلم بأنه سيد نبيل قال الجنرال بلهجة قاسية وقد اغضبه هذا الكلام أشد الغضب: أولا أنا لست سيد العزيز؛ وثانيا ليس عندي ما أوضحه لك أو أعتذر

به اليك ثم نهض وتحرك حركة من يريد أن ينزل من الشرفة دون أن يضيف كلمة واحدة، ولكنه لبث واقفا على الدرجة العليا، مديرا للحضور ظهره لقد أزعجه أن يرى اليزابت بروكوفيفنا لا يخطر ببالها أن تتصرف، حتى في هذه اللحظة هتف الأمير يقول وقد امتلأ غما وانفعالا:

ـ أيها السادة، أيها السادة، دعوا إلى أن أشرح لكم أمري، وأن أبسط لكم عذرى أرجوكم: دعونا نتكلم على نحو يتيح لنا أن يفهم بعضنا عن بعض ليس لدي ما أعقب به على هذه المقالة، فلا تعودن اليها ولكن اعلموا أيها السادة أن ما حوته باطل كل البطلان أقول لكم ذلك لأنكم تعلمونه كما أعلمه ألا أن هذا عار لسوف يدهشنى أشد الدهشة أن أعرف أن واحدا منكم هو الذي كتب هذه المقالة قال هيبوليت حتى هذه اللحظة لم أكن أعرف عن هذه المقالة شيئا ولست أؤيدها أو أحبذها وأضاف ابن أخت ليبديف إلى ذلك قوله: أما أنا فكنت أعلم بوجودها لكنى لو استشرت لما نصحت بنشرها أن نشرها سابق لأوانه فتمتم ابنبالشتشيف، يقول: وأنا كنت على علم بأمرها، ولكن هذا حقى انتى فسأله الأمير وهو يتفرس فيه مستطلعا مستغربا: ماذا؟ أأنت الذي لفقت هذا كله؟ مستحيل قال ابن أخت ليديف ليس من حقك أن تلقى أسئلة كهذه الأسئلة أنا لم أزد على أن عبرت عن دهشتى من أن يكون السيد بوردوفسكى قد استطاع أن

ولكن على كل حال أريد أن أقول لكم ما يلي: ما دمتم قد نشرتم هذه القضية في الجرائد، فانني لا أرى السبب الذي أغضبكم منذ قليل حين أردت أن أتكلم فيها أمام أصدقائي مدمت اليزابت برو كوفيفنا تقول مستاءة: أخيرا ونفد صبر ليديف فانسل فجأة بين الكراسي وهو يكاد يكون محموما، وقال: هناك شيء نسيت أن تضيفه يا أمير: هو أنك اذا كنت قد استقبلت هؤلاء الناس وأصغيت إلى كلامهم، فانما فعلت ذلك مدفوعا اليه بنبل نفسك وطيب قلبك لم يكن من حقهم أن يطالبوا بذلك، لا سيما وأنك عهدت بالقضية إلى جبريل آردالیونوفتش فهذا دليل جديد على فرط طيب قلبك وانك تنسى أيضا يا سمو الأمير أنك الآن في صحبة أصدقاء مختارين مصطفين لا تستطيع أن تضحي بهم في سبيل هؤلاء السادة فأنت وحدك تملك أن تطرد هؤلاء، وتلك مهمة يسرني أنا كثيرا، بصفتى صاحب البيت، أن نادي الجنرال ايفولجين يقول من آخر الغرفة بصوت قوى هذا صحيح كل الصحة وبدأ الأمير يتكلم فقال: كفى يا ليديف، كفى غير أن صيحات استياء واستنكار تفجرت في كل جهة فغطت كلمات الأميروصرخ ابن اخت ليديف صرخة غلب صوتها سائر الأصوات، فقال: لا يا أمير، معذرة؛ أصبح هذا غير كاف يجب الآن أن توضع النقط على الحروف، اذ لا يبدو أن هناك رغبة في فهمنا ان بين الحضور هنا من يدلي بحجج قانونية فيهددنا بالطرد ولكن هل تظن يا أمير أننا نبلغ من الحماقة حدا يجعلنا لا ندرك نحن أنفسنا أن

قضيتنا خالية من أي أساس قانوني وأن القانون لا يجيز لنا أن نطالبك بروبل واحد؟ اننا لكوننا ندرك هذه الحقيقة انما نقف على أرض الحق الانساني، الحق الطبيعي، الحق الذي يمله الحس السليم والضمير الصادق ليس أمرا ذا بال أن لا يكون ذلك الحق مكتوبا في نص قانونى بال عتيق، لأن الانسان الذي يملك عواطف نبيلة ومشاعر شريفة، أعني الانسان الذي يملك سداد الرأي وسلامة الحكم، من حقه أن يبقى وفية لتلك العواطف والمشاعر، حتى في الحالات التي تغفلها نصوص القانون المكتوب ولا تتكلم عنها واذا كنا قد جئنا الى هنا دون أن نخشى الطرد الذي هددتنا به منذ لحظة بسبب مطالباتنا ذلك أننا نطالب، ولانرجو وبسبب أن مجئنا قد تم في ساعة غير مناسبة والحق أن مجيئنا لم يتم في ساعة متأخرة، وانما أنت حجزتنا في حجرة المدخل، فاننا لم نفعل ذلك الا لأننا قدرنا أن نجد فيك انسانا سديد الرأى سليم الحكم أي انسانا ذا شرف وضمير نعم، هذه هي الحقيقة، فنحن لم نأتك أذلاء ستجدى نعمك وآلامك كطفلين، وانما دخلنا رافعين رؤسنا، لا نقدم رجاء بل نبلغ انذارا هل سمعت؟ انذارا لا رجاء لاحظ هذا اننا نلقي عليك هذا السؤال جهارا دون لف أو دوران: أتعتقد أنك على حق أم على باطل في قضية بوردوفسكى؟ هل تعترف بأن بالشتشيف قد أحسن اليك وأنعم عليك، وبأنك ربما كنت مدينا له بحياتك؟ واذا كنت تعتقد بهذه الحقيقة الواضحة فهل تجد أن من الأنصاف والعدل، بعد أن أصبحت

مليونيرا، أن تعوض عن الضرر ابن بافلشتشيف الذي يعيش الآن حياة بؤس، دون أن يصدك عن ذلك أنه يحمل الآن اسم بوردوفسكى؟ أنعم أم لا؟ فاذا قلت: نعم، أي اذا كنت تملك ما تسمونه بلغتكمكم شرفا وضميرا، وما نسميه نحن سلامة الحكم وهذه تسمية أصدق فما عليك الا أن تبادر الى ارضائنا ثم لا نمودن إلى الكلام في هذا الأمر أبدا؛ ماعليك الا أن تسوى القضية دون أن تنتظر منا لا رجاء ولا شكرا، لأن ما ستفعله لن تفعله من أجلنا بل من أجل العدل أما اذا رفضت ارضاءنا، أي اذا قلت «لا،، فستنصرف فورا، فتقف القضية عند هذا الحد لكننا نحرص على أن نقول لك دون تهيب، أمام هؤلاء الناس جميعا، انك انسان غليظ الفكر منحط الثقافة، وانك لن يحق لك بعد الآن أن تعد نفسك رجلا ذا شرف وضمير اننا نطالب، ولا نستجدى . وتوقف ابن أخت ليديف عن الكلام لقد تكلم مهتاجة أشد الاهتياج 0 وتمتم بوردوفسكى يقول وقد احمر وجهه احمرارا شديدا: اننا نطالب، نطالب، نطالب، ولكننا لا نستجدى بعد الخطبة التي ألقاها ابن أخت ليديف سرت في الجمع حركة شاملة، وسمعت دمدمات متصلة، رغم أن كل واحد كان يميل ميلا واضحا إلى أن يتحاشى اقتحام نفسه في هذه القضية، الا ليديف الذي كان مهتاجا مضطربا شيء غريب: أن ليديف، على كونه مناصرا للأمير، كان يبدو عليه نوع من الاعتزاز العائلي اثناء سماع كلام ابن اخته؛ فكان يجيل على الحضور نظرات يتجلى فيها رضي خاص ومسرة

واضحة بدأ الأمير يتكلم فقال بصوت خافت بعض الخفوت: في رأيي أن في كلامك نصف حق يا سيد دوكتور نكو، بل أنني الأسم بأن فيه أكثر من نصف حق، وكان يمكن أن أوافقك كل الموافقة لولا أنك أغفلت في حديثك أمرا من الأمور، وهذا الأمر لا أملك أن أقوله لك على وجه الدقة المهم أن أقوالك يعوزها شيء ما حتى تكون صحيحة كل الصحة ولكن فلنتكلم في القضية نفسها أيها السادة، فهذا أولى قولوا لي: لماذا نشرتم تلك المقالة؟ ألا تعتقدون أن فيها من النمائم بقدر ما فيها من ألفاظ؟ رأيي أيها السادة أنكم ارتكبتم عملا هنحط اسمح لي يا عزيزى آه هذا هذا كذلك صاح الزائرون معا في آن واحد وقد ظهرت عليهم علائم لاهتياج وأجاب هيبوليت بصوته الحاد: أما عن المقالة فقد سبق أن قلت لك انني لا أؤيدها ولا أحبذها، لا أنا ولا غيري ان كاتبها هو هذا قل هيبوليت ذلك وهو يوميء بيده إلى الملاكم الجالس قربه أقر لك بأنها مقالة غير لائقة، كتبها رجل غير مثقف، بأسلوب هو أسلوب أمثاله من العسكريين المحالين على التقاعد أنه رجل أحمق، وأنه فوق ذلك غشاش، أوافقك على هذا وأنا أكرر هذا الكلام على مسامعه كل يوم ولكنني أضيف إلى ذلك أنه كان على بعض الحق: ان النشر حق يملكه جميع الناس شرعة، ويملكه اذن بوردوفسكى واذا تضمنت المقالة سخافات فهو مسئول عنها أما الاعتراض الذي أعلنته منذ قليل باسمنا جميعا، وهو الاعتراض الخاص بحضور أصدقائك، فانني أعتقد أن من

الضروري أن أعلمكم أيها السادة أن ذلك الاعتراض لم يكن له من هدف الا تأكيد حقنا فالواقع أننا كنا نريد أن يكون ثمة شهود، حتى لقد اتفقنا نحن الأربعة على هذا قبل أن ندخل، فنحن نقبل الشهود أيا كانوا، ولو كانوا أصدقاءك، اذ ما داموا لا يستطيعون أن يجحدوا حق بوردوفسكى وهو حق بديهى كالرياضيات فمن الأفضل أن يكونوا أصدقاءك، لأن ذلك يظهر الحقيقة بوضوح أكبر وجلاء أعظم قال ابن أخت ليديف مؤيدا : نعم لقد اتفق رأينا على ذلك فاعترض الأمير يقول مدهوشا : اذا كانت هذه نيتكم، فلماذا أحدثتم تلك الجلبة كلها وذلك الشغب كله منذ الكلمات الأولى من الحديث بيننا؟ كان الملاكم يحترق رغبة في أن يقول كلمة، فتدخل يقول بلهجة فيها تودد نستطيع أن نخمن أن وجود السيدات قد أثر في نفسه تأثيرا قويا فيما يتعلق بالمقالة يا أمير، أعترف لك بأني كاتبها فعلا، رغم أن صديقي الممرض قد نقدها نقدا لاذعا، وذلك أمر أغفره له كما أغفر له ما عداه بسبب حالة الضعف التي هو فيها ولكني كتبتها ونشرتها على شكل رسالة صحفية في جريدة واحد من أصدقائي الخلص لكن الأشعار وحدها ليست لي،انما نظمها شاعر ساخر مشهور وقد قرأت المقالة البوردوفسكى، حتى انني لم أقرأها كلها، فأسرع يأذن لي بنشرها لاحظ انني لم أكن في حاجة إلى موافقته لنشرها فالنشر حق عام، نبيل، مفيد؛ واني لأرجو يا أمير أن تكون أنت نفسك أكثر لبرالية من أن تنكر حق النشر لست أنكر حق النشر، ولكن لا بد لك

أن تعترف بأن مقالتك تضمين تتضمن أشياء قاسية بعض القسوة أهذا ما تريد أن تقول؟ ولكن هذه الأشياء لها ما يسوغها من اعتبارات المصلحة الاجتماعية بمعنى من المعاني عليك أن تعترف أنت نفسك بذلك ثم هل يستطيع المرء أن يفوت فرصة كهذه الفرصة؟ نحن لا يهمنا الجناة، فمصلحة المجتمع فوق كل مصلحة أما فيما يتعلق بما ورد في المقالة من أمور ليست صحيحة صحة تامة، أقصد بعض المبالغات في التعبير، فيجب عليك أن تعترف أيضا أن العبرة بالغاية المنشودة والنية المعقودة، والهدف المقصوده فانما المهم أن نقدم مثالا مفيدا، ثم يتسع وقتنا بعد ذلك للمناقشة في حالات خاصة وأما فيما يتعلق بالأسلوب أخيرا، فهو الفكاهة الساخرة طبعا، والناس جميعا يكتبون بهذا الأسلوب؛ عليك أن تعترف أنت نفسك بذلك، هأهأهأ صاح الأمير يقول: لكنكم ضللتم الطريق أيها السادة، أؤكد لكم ذلك لقد نشرتم المقالة وأنتم تتصورون أنني لا أريد أن أصنع شيئا البتة للسيد بوردوفسكى، فحاولتم على أساس هذا الافتراض أن تخيفوني وأن تنتقموا مني ولكن ما أدراكم؟ لعلني أتوى ارضاء السيد بوردوفسكى وهأنا ذا أعلن لكم الآن بقول قاطع على رءوس الأشهاد أن تلك هي نيتى صاح الملاكم يقول: أخيرا هذا قول حكيم نبيل يصدر عن انسان حكيم نبيل وتنهدت اليزابت برو كوفيفنا وهي تقول على غير ارادة منها: رباه ودمدم الجنرال قائلا: هذا لا يطاق تضرع الأمير يقول: اسمحوا لي يا سادة، دعوني أبسط لكم القضية

منذ نحو خمس أسابيع، زارني في «ز»، يا سيد بوردوفسكى، زارنى مندوبك رجل الأعمال تشيباروف لقد رسمت له في مقالتك صورة أخاذة جدا، ياسيد كيلر أضاف الأمير ذلك ضاحكا وهو يلتفت نحو الملاكم، غير أن هذا الشخص لم يعجبني البتة في الواقع لقد أدر كت منذ أول لحظة أن تشيباروف هذا هو المحرض في القضية كلها، وأنه هو الذي ورطك يا سيد بوردوفسكى، مستغلا بساطتك أقول لك هذا بكل صراحة تأثأ بوردوفسكى يقول وقد بلغ الغيظ منه كل مبلغ: لا يحق لك اننى أنا أنا لست بسيطا وقال ابن اخت ليبديف بلهجة الواعظ الناصح لا يحق لك أن تفترض مثل هذه الافتراضات وصاح هيبوليت يقول بصوته الحاد هذا شيء رهيب فظيع هذا افتراض جارح كاذب مهين، وليس له بالقضية أية علاقة أسرع الأمير يبرىء نفسه قال عفوكم عفوكم يا سادة اعذروني، أرجوكم لقد قدرت أن الأفضل أن يتكلم الطرفان كلاهما بصراحة تامة ولكن لكم ما تشاءونه أجبت تشيباروف بانني لغيابى ببطرسبرج قد أسرعت أرجو صديقا لي بأن يتابع هذه القضية، وقلت لتشيباروف انني سأنقل النتيجة اليك أنت يا سيد بوردوفسكى ولا أكتبكم أيها السادة أن تدخل تشيباروف هو الذي جعلني أحس بأن في الأمر غشا آه لا تزعلوا يا سادة، ناشدتكم الله لا تزعلوا كذلك هتف الأمير مرتاعا حين رأي بوردوفسكى يعود إلى الاهتياج، وحين رأي اصحابه يهبون إلى الاعتراض والاحتجاج وتابع كلامه فقال: حين أقول أن المطالبة بدت

لي محاولة غش ونصب، فان قولى لا يمكن أن يتناولكم أنتم لا تنسوا أنني كنت لا أعرف حينئذ أي واحد منكم حتى لقد كنت أجهل أسماء كم انني لم أحكم على الأمر الا من خلال تشيباروف انني أتكلم بصورة عامة ليتكم تعلمون كم خدعت منذ آل الى هذا الميراث قال ابن أخت ليبديف بلهجة السخرية أنت ساذج سذاجة رهيبة يا أمير وزاد هيبوليت على ذلك فقال: وأنت عدا ذلك أمير ومليونير فرغم ما قد تملك من طيبة النفس وبساطة القلب، لا يمكنك أن تخرج على القانون العام فقال الأمير يجيب بسرعة: جائز، جائز جدا، وان كنت لا أفهم عن أي قانون عام تتكلم ولكني أتابع كلامى، فأرجوكم أن لا تهتاجوا في غير داع إلى اهتياج، لأنني أقسم لكم لا أنوي أن أسيء إلى شعوركم البتة ما هذا يا سادة؟ ألا يستطيع المرء أن يقول كلمة صدق دون أن تثوروا؟لقد ذهلت حين علمت بوجود شاب يقال انه ابن بافلشتشيف وحين علمت بحالة البؤس التي ذكر لي تشيباروف أنه يعيش فيها ان بافلشتشيف كان يحسن الى وكان صديق أبي آه يا سيد كلر، لماذا كتبت في مقالتك عن أبي أشياء تبلغ هذا المبلغ من البعد عن الحقيقة؟ أنه لم يسلب أموال سريته في يوم من الأيام، ولا أساء معاملة أحد مرءوسيه قط انني مؤمن بهذا كل الايمان كيف استطاعت يدك أن تخط نميمة كهذه النميمة؟ وان ما قلته عن با فلشتشيف لا يمكن قبوله البتة أنت تزعم أن هذا الانسان النبيل كان داعرا فاسقا، وأنه كان خفيفا طائشا وأنت تقول هذا الكلام بثقة كاملة كأنما أنت

تذكر الحقيقة والواقع خلاف هذا تماما لقد كان بالشتشيف أعف انسان في العالم وكان عدا ذلك عالما مرموقا؛ كان يراسل عددا من الشخصيات العلمية، وقد وهب أموالا كثيرة في سبيل تقدم العلم أما عن شهامته وأعماله الخيرة، فقد كنت على حق حين كتبت أنني كنت في ذلك الحين شبه معتوه أو أبله أو أهبل، وانني كنت لا أستطيع أن أدرك من ذلك شيئا البتة ومع هذا كنت أتكلم الروسية وأفهمها ولكني الآن قادر على أن أقضي برأي في كل ما أتذكره صرخ هيبوليت يقول: اسمح لي دعك من العاطفيات. ما نحن بأطفال لقد كنت تريد أن تمضي الى جوهر القضية والساعة الآن قد تجاوزت التاسعة لا تنس هذا فأسرع الأمير يوافق قائلا: ليكن يا سادة، أريد ذلك حقا هأنا ذا أعود إلى القضية قلت النفسي بعد شيء من الشك والارتياب: لعلني مخطيء، ولعل با فلشتتيف أن يكون له ابن غير أن الشيء الذي كان يبدو لي صعب التصديق هو أن يعمد ذلك الأبن، بمثل هذه الخفة كلها ومثل هذا الطيش كله، أن يفضح سر ولادته وأن يلطخ شرف أمه علانية، للناس قاطبة ذلك أن تشيباروف كان قد هددني باذاعة الفضيحة ونشرها هتف ابن أخت ليبديف يقول يا للحماقة وصاح بوردوفسكى قائلا لا يحق لك، لا يحق لك وانبرى هيبوليت يقول بصوته الحاد وقد اهتاج اهتياجا شديدا: ليس الابن مسئولا عن فجور أبيه، وليست الأم مدنية فقال الأمير خجلا: فهذا في رأيي أدعى إلى مداراة الأم والامتناع عن التشهير بها قال ابن أخت ليديف

وهو يضحك ضحكة ساخرة: لست ساذجا فحسب يا أمير، فلعلك تتجاوز حدود البساطة وسأله هيبوليت بصوت لم يبق فيه شيء طبيعى: وأي حق كان لك أنت؟ لم يكن لي أي حق، لم يكن لى أى حق كذلك أسرع الأمير يضيف إلى كلامه ثم تابع فقال: أنت هنا على صواب، أعترف لك بذلك لكنني لم أستطع أن أمتنع عن ذلك التفكير ثم سرعان ما قدرت أن انطباعي الشخصي يجب أن لا يكون له في القضية أي تأثير فمتى كان من واجبي أن أرضى السيد بوردوفسكى عرفانا بجميل بالشتشيف وتحية لذكراه، نسيان أن احترم السيد بوردوفسكى وأن لا أحترمه واذا كنت قد حدثتكم عن ترددي أيها السادة، فانني لم أفعل ذلك الا لأنه كان قد بدا لي أنه من غير الطبيعي أن يكشف عن سر أمه للناس كافة الخلاصة: أن هذا الدليل خاصة هو الذي أقنعني بأن تشيباروف لا بد أن يكون وغدا ورط السيد بوردوفسكى في هذا الغش باحتيالات محسوبا اح الزوار يقولون: آه وهذا كلام يتجاوز جميع الحدود حتى أن بعضهم اندفع ينهض أيها السادة أن هذا الدليل نفسه هو الذي جعلني أخمن أن السيد بوردوفسكى المسكين التعيس هذا لا بد أن يكون متخلف العقل محدود الذكاء، فهو لا يحسن أن يدفع عنه مكر الماكرين وأن يحمى نفسه من أحابيل الغشاشين، فزادني ذلك شعورا بواجب مساعدته مادام ابن بافلشتشيف وذلك بثلاث طرق: أن أدرأ عنه تأثير تشيباروف أولا، وأن أوجهه وأرشده باخلاص ومحبة ثانيا، وأن

أدفع له عشرة آلاف روبل ثالثا، وهو المبلغ الذي يساوي في حسابي ما أنفقه على بافلشتشيف صاح ميبوليت يسأل: ماذا؟ عشرة آلاف روبل فقط؟ وهتف ابن أخت ليديف هيا يا أمير، لست قديرا في علم الحساب، أو قل انك قدير في علم الحساب أكثر مما يجب، رغم ما تصطنعه من بساطة وأعلن بوردوفسكى قائلا: لا أقبل هذه العشرة الاف روبل فهمس الملاكم يقول له بسرعة وهو يميل عليه من وراء كرسى هيبوليت: اقبل يا آنتيب وزار هيوليت يقول: اعتذر يا سيد ميشكين عليك أن تفهم أننا لسنا أغبياء نحن لسنا أولئك الأغبياء المفرطين في الغباوة الذين يفترضهم ضيوفك فيما يبدو، لسنا أولئك الأغبياء الذين تتصورهم هاته السيدات اللواتي ينظرن الينا ومن يبتسمن ابتسامة احتقار، أو يتصورهم خاصة هذا السيد الذي ينتمي إلى المجتمع الراقي قال ذلك وهو يشير إلى أوجين بافلوفتش، هذا السيد الذي لم أتشرف بمعرفته طبعا، ولكنني سمعت عنه أشياء كثيرة قال الأمير بحرارة مضطرمة

اسمحوا لي، اسمحوا لي أيها السادة لقد أخطأتم فهمى مرة أخرى يجب أن أذكر أولا أنك يا سيد كيلر قد قدرت ثروتى تقديرا بعيدا عن الصحة كل البعد: فأنا لم أقبض ملايين، ولعل ما أملكه لا يزيد على ثمن أو عشر ما تظنون ثم ان ما أنفق على بسويسرا ليس عشرات ألوف الروبلات: لقد كان شنايدر يتلقى ستمائة روبل في

السنة؛ وهذا المبلغ نفسه لم يدفع الا في السنين الثلاث الأولى أما عن المربيات الجميلات، فان بافلشتشيف لم يأت بمربية من باريس في يوم من الأيام فهذه أيضا نميمة أعتقد أن المبالغ التي أنفقت على تقل كثيرا عن عشرة آلاف روبل، لكنني وافقت على ذلك الرقم لا بد لكم من التسليم بأنني اذا كنت أرد دينا فلا أستطيع أن أقدم للسيد بوردوفسكى مبلغا أكبر من ذلك الدين، مهما تكن عاطفة المحبة التي أحملها له ذلك أن الشعور بأبسط قاعدة من قواعد الذوق يمنعني من أن أظهر بمظهر من يتصدق عليه، في حين أنني أرد اليه دينا لا أدري أيها السادة كيف يمكن أن لا تفهموا عنى هذا الأمر، ولكنني أردت أن أفعل أكثر من ذلك، فأهب للسيد بوردوفسكى هذا العاثر الحظ، صداقتى ودعمي لقد لاحظت أنه خدع وأنه غرر به، فلولا ذلك لما رضي عن دناءة كدناءة نشر ذلك المقال الذي كتبه السيد كيلر مشهرا فيه بأمه ولكن ما بالكم تغضبون من جديد أيها السادة؟ لسوف ينتهي بنا الأمر إلى أن لا نفهم شيئا البتة وختم الأمير كلامه قائلا صدق ظني اذن لقد اقتنعت الآن اقتناع المشاهدة والعيان بأن تخمينى كان صحيحا صادقا قال الأمير ذلك منتعشة، دون أن يلاحظ أن سامعيه كانوا أثناء محاولته تهدئتهم يزدادون غضبا وغيظا سألوه حانقين: ماذا؟ بماذا اقتنعت؟ أجاب الأمير: استطعت أن أرى السيد بوردوفسكي على مهل، فعرفت حقيقته بنفسي انه رجل بريء، ولكن الجميع يخدعونه ويغررون به. هذا انسان لا يملك عن نفسه دفاعا،

فيجب على اذن أن أحميه ثم أن جبريل آردالیونوفتش الذي كلفته بمتابعة هذه القضية ثم لم تصلني أنباؤه منذ مدة طويلة بسبب سفرى وبسبب مرضى أثناء الأيام الثلاثة التي قضيتها ببطرسبرج، أقول أن جبريل آردالیونوفتش هذا قد أطلعني على نتائج تحرياته منذ ساعة، في أول لقاء بيننا، فأبلغني أنه كشف النقاب عن جميع مرامى تشيباروف وأهدافه، وأنه يملك البرهان القاطع على أن جميع افتراضاتى عن هذا الرجل صحيحة أنا أعلم تماما أيها السادة أن كثيرا من الناس يعدوني أبله فلما سمع تشيباروف انني انسان مبسوط الكف، وان انتزاع المال منى أمر يسير، قدر بأن في وسعه أن يخدعني بسهولة، مستغلا ما أحمله للمرحوم بالشتشف من شعور الشكر والامتنان ومن عاطفة العرفان بالجميل غير أن الأمر الأساسي ما بالكم أيها السادة؟ أرجو أن تصغوا إلى كلامي حتى النهاية أقول أن الشيء الأساسي هو أنه قد ثبت الآن بالدليل القاطع أن السيد بوردوفسكى ليس ابن با فلشتشيف لقد أبلغني جبريل آردالیونوفتش هذا الاكتشاف منذ هنيهة، مؤكدا أن ثمة أدلة ثابتة وبراهين قاطعة فما قولكم؟ انه ليصعب على المرء أن يصدق هذا الكلام بعد جميع ما عوملت به من اهانة واذلال واسمعوني جيدا: أن ثمة أدلة ثابتة وبراهين قاطعة أنا نفسي لا أصدقها بعد أؤكد لكم انني لا أستطيع تصديقها ما زلت أشك في صحتها، لأن جبريل آردالیونوفتش لم يسع وقته لأن يذكر لى جميع التفاصيل غير أن هناك واقعة أصبحت

ثابتة لا مجال للشك فيها، هي أن تشيباروف وغد، فهو لم يقتصر على أنه أضل السيد بوردوفسكى المسكين، وانما أضلكم أنتم جميعا أيها السادة، أنتم الذين جئتم إلى هنا على نية نبيلة وغاية شريفة هي أن تدعموا صديقكم وأن تسندوه ذلك أنه في حاجة إلى الدعم والسند، فهذا أمر أنهمه حق فهمه لقد ورطكم تشيباروف، ورطكم جميعا في قضية غش ونصب واحتيال، لأن هذه القضية ليست الا غشا ونصب واحتيالا هتف الجميع يقولون من كل جهة: كيف؟ غش ونصب واحتيال؟ كيف هذا؟ ليس هو ابن با فلشتيف،؟ كيف يمكن أن يكون هذا؟ أصبحت عصبة بوردوفسكى كلها في حالة انصعاق قال الأمير: هي قضية غش ونصب واحتيال طبعا اذا ثبت الآن أن السيد بوردوفسكى ليس ابن بافتشتشيف فان مطالبته تصبح غشا ونصا واحتيالا لاأكثر هذا اذا كان يعرف الحقيقة طبعا ولكن الواقع أنه خدع وغرر به اننى ألح على هذه النقطة لأبرئه من الجرم، وأزعم أن بساطته تجعله جديرا بالشفقة عاجزا عن الاستغناء عن سند يدعمه والا كان يمكن أن يعد شريكا في الغش والنصب والاحتيال في هذه القضية لكنني مقتنع منذ الآن أنه لا يفهم من الأمر شيئا؛ ولقد كنت أنا نفسي على هذه الحال إلى حين سفرى الى سويسرا كنت أتمتم بأقوال غير مترابطة كنت أريد أن أعبر فما توافيني الكلمات اني أدرك هذا وأنا أشفق عليه وأرني لحاله وأتعاطف معه، لأنني كنت في مثل وضعه تقريبا فمن حقى اذن أن أتكلم عن هذا الأمر واني لأعلن

لكم في الختام، رغم أنه لا وجود الأن لأحد هوابن با فلشتشيف أعلن لكم اني ما زلت متمسكا بقرارى، ما زالت مستعدا لأن أدفع للسيد بوردوفسكى مبلغ عشرة آلاف روبل، تحية لذكرى بالشتشيف لقد كنت أنوي، قبل السيد بوردوفسكى، أن أقف هذا المبلغ على انشاء مدرسة، تمجيدا لذكرى با فلشتشيف ولكن أصبح يستوى الأن عندي أن أقف هذا المبلغ على انشاء مدرسة أو أن أهبه للسيد بوردوفسكى، لأنه ان لم يكنابن بافلشتشيف، فهو قريب من ذلك، ما دام قد اعتقد صادقا بأنه ابن بافلشتشيف، نتيجة للتضليل والخداع الذي كان ضحيته استمعوا إلى جبريل آر داليونوفتش أيها السادة فلنفرغ من هذا الأمر دفعة واحدة لا تغضبوا، ولا تضطربوا اجلسوا سيشرح لكم جبريل آرداليونوفتش القضية كلها؛ واني لأعترف بأنني أحترق شوقا إلى معرفة التفاصيل وهو يقول أنه ذهب إلى بسكوف يا سيد بوردوفسكى، وقابل أمك التي لم تمت كما زعمت المقالة اجلسوا ايها السادة اجلسوا جلس الأمير هو نفسه، واستطاع أن يجلس أصدقاء السيد بوردوفسكي الذين كانوا يضطربون ويتحركون ولا يستقرون على حاله لقد ظل ربع ساعة يتكلم بعاطفة حارة، وصوت قوي، وتدفق سريع، واندفاع شديد، محاولا أن يسيطر على صيحات التعجب وصرخات الاستنكار وهو الآن نادم ندما مرا على أن أفلتت منه تعبيرات وأقوال كان يتمنى أن لا تفلت فلولا أنه استثير وأخرج عن طوره ان صح التعبير لما أجاز لنفسه أن يفصح بمثل

هذا الوضوح وهذه القسوة عن بعض تخميناته، ولما أجاز لنفسه أن ينساق هذا الانسياق في صراحة زائدة لا داعى اليها ولا محل لها فما أن جلس حتى أحس بندامة أليمة تقبض قلبه: أنه لا يكتفي الآن بمؤاخذة نفسه على أنه أهان بوردوفسكى اذ وصفه على رءوس الأشهاد بأنه مصاب بالمرض الذي ذهب هو إلى سويسرا لمعالجته، بل يزيد على ذلك فيلوم نفسه على أنه عامله معاملة فظة خالية من اللطف والذوق اذ عرض عليه العشرة الاف روبل الموقوفة على انشاء مدرسة، عرضها عليه صدقة أمام جميع الناس قال الأمير يخاطب نفسه:كان ينبغي لي أن أنتظر فأقدمها اليه غدا في خلوة بيني وبينه هذه خرافة لا سبيل إلى اصلاح ما أفسدته نعم، اني أبله، أبله حقا بهذا ختم الأمير كلامه لنفسه وهو يشعر بأشد الحجل والخزي والعار بعد ذلك، تلبية لدعوة الأمير، تقدم جبريل آردااليونوفتش الذي ظل متنحيا حتى ذلك الحين ولم ينطق بكلمة واحدة، تقدم نحو الأمير وجلس إلى جانبه وأخذ يشرح، بصوت واضح رصين، المهمة التي عهد بها اليه، فانقطعت الأحاديث فجأة، وأخذ جميع الحضور، ولا سيما بوردوفسكى، يصيخون السمع باهتمام قوى وفضول شديد.

الفصل الثامن

بدأ جبريل آردااليونوفتش بالكلام في أول الأمر إلى بوردوفسكي الذي كان مضطربا اضطراب واضحا ووكان يحدق اليه منتبه أشد الانتباه، وقد امتلأت نظرته دهشة قال له جبريل آردااليونوفتش: لا شك في أنك لن تنكر ولن تجحد، جادا، أنك ولدت بعد انقضاء عامين على الزواج الشرعي بين أمك المحترمة وأبيك الموظف بوردوفسكى انه لمن السهل جدا تحديد تاريخ ميلادك بواسطة وثائق ثابتة وسجلات دقيقة أما تزوير هذا التاريخ في مقالة السيد كيلر، ذلك التزوير الذي يهين كرامة أمك ويهين كرامتك في آن واحد، فان تفسيره الوحيد هو خيال السيد كيللر الذي كان يظن أنه يخدم بذلك مصلحتك اذ يجعل حقك أوضح لقد صرح السيد كيلر بأنه قرأ لك المقالة قبل نشرها، ولكنه لم يقرأها كاملة فمما لا شك فيه أنه أسقط من قراءته تلك الفقرة قاطع الملاكم يقول: فعلا، لم أقرأ له تلك الفقرة ولكن جميع الوقائع انما نقلها إلى شخص مطلع، وأنا قال جبريل اردااليونوفتش معذرة يا سيد كينسر، دعني أكمل كلامي أعدك بأننا سنتكلم عن مقالتك في الوقت المناسب، فتقدم الينا عندئذ ما

لديك من تفسيرات أما الآن فالأفضل أن نتبع تسلسل العرض لقد حصلت، بمصادفة محض وبمعاونة أختى باربارا آرداليونوفنا بتسينا، حصلت من صديقتها الحميمة فيرا ألكسيفنا زوبكوفا، وهي أرملة صاحبة أمـلاك، على رسالة كان المرحوم نيقولاى آندريفتش با فلشتشيف قد كتبها اليها منذ أربعة وعشرين عاما حين كان في الخارج وبعد أن اتصلت بفيرا ألكسيفنا اتجهت، عملا باشاراتها، إلى كولونيل محال على التقاعد اسمه تيمونى فيدوروفتش نياز وفكين، وهو واحد من أقرباء المرحوم كان صديقا حميما له فاستطعت أن أحصل منه على رسالتين أخريين من نيقولاي أندريفتش مكتوبتين من الخارج هما أيضا أن المقابلة بين التواريخ والوقائع المذكورة في هذه الوثائق الثلاث تثبت بدقة رياضية لا تدع مجالا لأي اعتراض أو أي شك، أن نيقولاى آندريفتش عاش في ذلك الأوان بالخارج خلال ثلاث سنين، وأن سفره إلى الخارج انما تم قبل ولادتك بسنة ونصف سنة على وجه الدقة يا سيد بوردوفسكى وأنت تعلم أن أمك لم تخرج من روسيا طول حياتها ولن أقرأ لك الآن تلك الرسائل لأننا في ساعة متأخرة، ولكنني أقرر الواقعة فحسب فاذا شئت يا سيد بوردوفسكى أن نلتقي غدا عندى، بحضور شهودك وليكن عددهم ما شئت وأن تجيء بخبراء في الخطوط، فلسوف تضطر إلى التسليم بالحقيقة البديهية التي أذكرها لك اني متى سئمت هذه الحقيقة، سقطت

القضية كلها من تلقاء نفسها طبعا استولت على جميع الحضور، من جديد، حركة انفعال عميق ونهض بوردوفسكى عن كرسيه فجأة وقال: اذا كان الأمر كذلك فقد خدعت اذن، نعم خدعت، ولكن ليس تشيباروف هو الذي خدعني، ويرجع هذا إلى زمن بعيد، بعيد جدا لا أريد خبراء في الخطوط، ولن أجيء اليك انني أصدقك وأتنازل عن دعواى وأرفض العشرة آلاف روبل استودعكم الله قال بوردوفسكى ذلك وهو يتناول قبعته، ويدفع كرسيه، ويهم أن يخرج. فقال له جبريل آر داليونوفتش بلهجة تصطنع الرقة والعذوبة: ابق قليلا، ولو خمس دقائق، اذا كنت تستطيع ذلك، يا سيد بوردوفسكى ان هذه القضية تكشف أيضا عن أمور خطيرة الشأن جدا، لا سيما بالنسبة اليك، وهي على كل حال أمور تبلغ غاية الطرافة وفي رأيي أنك لا تستطيع أن تستغني عن معرفة هذه الأمور، وقد تغبط نفسك على أنك جلوت المسألة كلها وأخرجتها إلى النور جلس بوردوفسكى دون أن يقول كلمة واحدة، جلس مائلا برأسه إلى أمام، على وضع انسان مستغرق في التفكير أعمق الاستغراق وجلس أيضا ابن أخت ليبديف الذي كان قد قام ليخرج معه لقد كان يبدو عليه الاضطراب والتشوش، وان لم يفقد هدوء الأعصاب ولا هيئة الوقاحة وكان هيبوليت مظلم الوجه حزين النفس، مصعوقا بعض الشيء، هذا إلى أن نوبة من سعال قد استبدت به في تلك اللحظة وبلغت من القوة أن منديله تلطخ كله

بالدم وبدت على الملاكم امارات الانشداه، وهتف يقول مخاطبا بوردوفسكى بلهجة فيها مرارة ألم أقل لك يا آنتيب منذ أمس الأول ان من الجائز فعلا أن لا تكون ابن با فلشتشيف فاستقبل هذا الاعتراف بضحكات مخنوقة وعجز اثنان أو ثلاثة عن كظم شعورهما فانفجروا يضحكون في قهقهة مجلجلة تابع جبريل آردالیونوفتش كلامه فقال ان لهذا الأمر اليسير الذي كشفت لنا عنه الآن يا سيد كيلر قيمة كبيرة وفي وسعي أن أؤكد مع ذلك، بناء على أدق المعلومات، أن السيد بوردوفسكى، على علمه الكامل بتاريخ ميلاده، كان يجهل أن با فلشتشيف كان مقيما في تلك الآونة بالخارج، حيث قضى الشطر الأكبر من حياته دون أن يعود إلى روسيا الا فترات قصار ثم ان تلك السفرة كانت أهون شأنا في ذاتها من أن تحفظها، بعد انقضاء أكثر من عشرين عاما عليها، ذاكرة أقرب المقربين إلى بافلشتشيف من أصدقائه، ناهيك عن ذاكرة السيد بوردوفسكى الذي لم يكن قد ولد في ذلك الأوان صحيح أن تقصى أمر تلك الرحلة إلى الخارج لا يبدو متعذرا أو مستحيلا، ولكن يجب أن أعترف أن جهود التقصى التي بذلتها أنا كان يمكن أن لا تؤدي إلى نتيجة، وان المصادفة هي التي يسرت لي جمع ما جمعته من معلومات، بحيث كان يمكن أن لا تثمر مثل تلك الجهود، وأن لا يكون لها أي حظ من النجاح، لو قام بها السيد بوردوفسكى، أو حتى تشيباروف، هذا اذا خطر ببالهما أن

يفعلا ذلك ولكن من الجائز أن ذلك لم يخطر لهم ببال قاطع هيوليت يقول في غضب: اسمح لي يا سيد ايفولجين، علام هذا اللغو الطويل كله؟ معذرة لقد أصبحت القضية واضحة وعرفنا جوهر الأمر فلماذا هذا الإلحاح المؤلم الجارح؟ أم تراك تريد الافتخار ببراعتك فيما قمت به من بحوث، وتريد أن تظهر الأمير وتظهرنا على ما تملك من مواهب الباحث المتقصى والمحقق المتحرى؟ أم أنت تريد أن تعذر بوردوفسكى وأن تبرئه بالبرهنة على أن الجهل هو الذي قاده إلى هذه الحالة؟ ولكن هذه وقاحة أيها السيد العزيز ان بوردوفسكى ليس في حاجة إلى أن تفضل عليه بالتبرئة، فاعلم ذلك هذه اهانة له، ما أغناه عن هذا وهو فيما هو فيه الآن من وضع مؤلم محرج كان عليك أن تدرك هذا، وأن تفهمه قال جبريل آر داليونوفتش مقاطعة طيب يا سيد تير تييف كفى هدىء روعك لا تندفع كثيرا أعتقد أنك مريض جدا، أليس كذلك؟ انني أشاطرك ألمك لقد أنهيت كلامى، اذا كنت تريد ذلك أو قل انني مستعد لأن أختصر الوقائع التي كان لا يخلو من فائدة، في رأيي، أن تعرف كاملة أضاف ايفولجين ذلك وقد لاحظ في الحضور حركة تشبه أن تكون رغبة في الاستماع اليه وتابع كلامه فقال: فمن أجل أن أنير الأشخاص الذين يهتمون بهذه القضية انما أحرص على أبين، والبراهين في يدي، أن أمك يا سيد بوردوفسكى قد حظيت من بالشتشف بأنواع من الرعاية والعناية

لأنها كانت أخت خادمة شابة من بلد نيقولاى آندريفتش، خادمة أحبها في شبابه الأول وكان يمكن أن يتزوجها حتما لولا أنها ماتت فجأة انني أملك براهين ثابتة على هذه الواقعة التي لا تعرف الا قليلا بل قل نسيت سيانا تاما هذا وأستطيع أن أشرح لك كيف كفل السيد بالشتشيف أمك حين لم يكن عمرها الا عشر سنين فأنفق على تعليمها ووقف لها مهرا كبيرا ان علامات التعلق هذه قد ولدت بعض المخاوف لدي أقرباء السيد بالشتشيف، وهم كثيرون جدا، حتى ظن بعضهم أن الرجل سيتزوج الفتاة التي كفلها ولكن أمك حين بلغت العشرين من عمرها تزوجت موظفا بمصلحة المساحة اسمه بوردوفسكى، زواجة قائمة على الميل، وهذا كله أستطيع أن آتي ببراهين عليه وقد جمعت كذلك بيانات دقيقة توضح أن أباك، السيد بوردوفسكى، الذي لم يكن يملك أي موهبة تمكنه من النجاح في الأعمال الحرة، قد بادر إلى ترك الوظيفة بعد قبض مهر أمك، وهو خمسة عشر ألف روبل، واندفع في مشروعات تجارية، فخدع وفقد رأس ماله، ثم لم يستطع تحمل هذه الضربة فأخذ يشرب، فأهدر بذلك صحته ومات بعد زواجه بسبع سنين أو ثماني سنين وقد شهدت أمك نفسها أنها عاشت في أعقاب موت أبيك حياة فقر مدقع وعوز شديد، حتى لقد كان يمكن أن تضيع لولا المساعدة السخية الكريمة المتصلة التي قدمها اليها بافلشت شيف اذ خصها بايراد

سنوي قد يبلغ ستمائة روبل وهناك شهادات لا حصر لها تدل على أن با فلشتشيف قد منحك منذ طفولتك أشد العطف وأكبر الحنان ويستدل من تلك الشهادات، وقد أيدتها أمك، على أن سبب ذلك العطف وذلك الحنان هو في الدرجة الأولى أنك كنت في طفولتك الأولى على اللسان ضعيف الجسم هزيلا نحيلا، وكان بالشتشيف طوال حياته وأنا أملك البرهان على ذلك يشعر بعطف خاص على أولئك الذين أساءت الأقدار أو أساءت الطبيعة معاملتهم، ولا سيما اذا كانوا أطفالا وفي رأيي أن لهذه الخاصة شأنها الكبير في القضية التي تهمنا الآن وأستطيع أخيرا أن أتباهى بانى حققت اكتشافة رئيسية هو الاكتشاف التالي: ان العاطفة القوية التي كان يحملها لك بافلشتشيف والتي بفضلها دخلت المدرسة وتابعت تعليمك باشراف ادارة خاصة قد جعلت أقرباءه وأصدقاءه يتصورون شيئا فشيئا أنك قد تكون ابنه، وأن أباك الشرعي قد لا يكون الا زوجة خانته امرأته غير أن من الضروري أن نضيف إلى ذلك أن هذا التصور لم يبلغ من القوة حد الاقتناع الكامل الشامل الا في السنين الأخيرة من حياة بالشتشيف، حين أخذ الحيطون به يخشون أن يكتب وصيته بينما كانت الوقائع الأولى قد نسيت وبينما كانت التحريات قد أصبحت مستحيلة ولعل هذا الظن قد وصل إلى مسامعك يا سيد بوردوفسكى ولعله استولى على فكرك وكانت أمـك، التي تشرفت بمعرفتها

شخصية، على علم بهذه الشائعة أيضا، ولكنها ما تزال تجهل أنك صدقت هذه الشائعة أنت ابنها أخفيت أنا عنها ذلك يا سيد بوردوفسكى، لقد وجدت أمك المحترمة، في بسفوك، مريضة معوزة أشد العوز بعد وفاة بافلشتشيف وقد أعلمتنى، ودموع الاعتراف بالجميل تملأ عينيها، أنها اذا كانت ما تزال تعيش، فانما هي تعيش بفضلك وبفضل مساعدتك وهي تعقد على مستقبلك آمالا كبارا، وتؤمن ايمانا حارا بأنك ستنجح. نفد صبر ابن أخت ليبديف فصاح يقول: هذا يتجاوز كل حد أخيرا ما فائدة هذه القصة الروائية كلها؟ وتحمس هيوليت فقال هذه وقاحة مثيرة ولكن بوردوفسكى لم يقل كلمة، بل لم يتحرك ورد جبريل آرداليونوفتش وهو يبتسم ابتسامة ماكرة ويتهيأ لخاتمة قارصة، فقال: ما فائدة هذا؟ فائدته أولا أن يستطيع السيد بوردوفسكي الآن أن يقتنع بأن بالشتشيف قد أحبه مدفوعة لا بغريزة الأبوة بل بعظمة النفس فهذه الواقعة وحدها كانت تتطلب أن تقرر ما دام السيد بوردوفسكى قد أكد وأيد منذ قليل، بعد قراءة المقالة، مزاعم السيد كسر أقول هذا لأنني أعدك رجلا مهذبا يا سيد بوردوفسكى وفائدة ذلك ثانية أنه قد اتضح الآن أن نية النصب والاحتيال لم يكن لها وجود حتى عند تشيباروف انني أحرص على الالحاح على هذه النقطة، ذلك أن الأمير قد قال منذ لحظة، أثناء احتدام المناقشة، انني أشاطره شعوره بأن في هذه القضية

المشئومة محاولة غش ونصب واحتيال. بالعكس: آن الجميع هنا كانوا صادقين قد يكون تشيباروف محتالا كبيرا، ولكنه في الحالة الراهنة لم يكن الا رجلا بارعا ومحامية محترفا ومشاكسة لجوجا كان يأمل أن يربح مالا كثيرا من حيث هو محام، وكان حسابه لا يتصف بالبراعة فحسب، بل يتصف كذلك بأنه يقوم على أساس قوى: لقد كان يعتمد على ما يتميز به الأمير من أنه رجل سهل العطاء، ومن أنه يقدس ذكرى المرحوم بافلشتتيف، ومن أنه أخيرا وخاصة يفهم واجبات الشرف والتزامات الضمير فهما فروسيا أما السيد بوردوفسكى فيمكن أن نقول عنه انه بسبب بعض اقتناعاته، قد انقاد لتأثير تشيباروف وتأثير المحيطين به انقيادا جعله يتورط في هذا الأمر بدون أيا منفعا شخصيا تقريبا، وانما لخدما قضيا الحقيقا والتقدم والانسانيا بمعنى من المعاني أما وقد انجلت الآن جميع الوقائع، فمن الواضح أن السيد بوردوفسكى رجل صادق رغم جميع المظاهر، ففي وسع الأمير أن يعرض عليه مساعدته الودية ومعونته الفعلية التي عرضها عليه منذ قليل بمناسبة كلامه عن المدارس وعن بالشتشيف، بل في وسعه أن يعرضها عليه الآن بمزيد من طيب الخاطر وطوع الارادة صاح الأمير يقول بلهجة فيها ذعر صادق: قف يا جبريل آر داليونوفتش اسكت ولكن الأوان كان قد فات فها هو ذا بوردوفسكى يصرخ قائلا في حنق شديد: قلت قلت ثلاث

مرات أنني أرفض هذا المال لا لن

أخذه لماذا أخذه؟ أنا لا أريده اني ذاهب قال ذلك وركض على الشرفة، فأدر كه ابن اخت ليبديف وأمسكه من ذراعه وهمس له ببعض الكلام فعاد عندئذ مسرعا، فاستل من جيبه ظرفا كبيرا غير مفضوض ورماه على منضدة صغيرة كانت بقرب الأمير اليك المال ما كان ينبغي لك أن تجرؤ على أن تقدمه الى اليك المال وقال دكتور نكو شارحا: هي الروبلات المائتان والخمسون التي أبحت لنفسك أن ترسلها اليه صدقة بواسطة تشيباروف قال گوليا متعجبا المقالة لا تشير الا إلى خمسين روبلا قال الأمير وهو يقترب من بوردوفسكى: أنا آثم في حقك، أنا آثم جدا في حقك يابوردوفسكى ولكنني لم أرسل الك هذا المبلغ صدقة صدقني وما زلت أثما في حقك حتى الآن أثمت في حقك منذ قليل كان الأمير مشوشا مضطربا؛ كان يبدو متعبا موهنا، وكانت أقواله مفككة لقد تكلمت عن غش ونصب واحتيال ولكن ذلك لا يتناولك أنت انني أخطات قلت انك مريض مثلي مثلي ولكن لا، ما أنت مثلي أنت تعطي دروسا، وأنت تساعد أمك ولقد قلت انك لطخت شرف أمك، والحقيقة أنك تحبها هي نفسها تقول ذلك.. لم أكن أعلم لم يحدثنى جبريل آرداليونوفتش عن هذا كله من قبل انني أخطأت وقد تجرأت فعرضت عليك عشرة آلاف روبل،

فكان هذا مني اساءة كان ينبغي لي أن أتدبر الأمر بطريقة أخرى وقد أصبح هذا مستحيلا الآن، لأنك تحتقرنى قالت اليزابت برو گوفيفنا : هذا مستشفى مجانين فقالت آجلايا مؤيدة وقد أصبحت لا تستطيع السيطرة على نفسها وكبح جماح غضبها : هو حتما مستشفى مجانين ولكن كلماتها ضاعت في خضم لغط شامل وجلبة كاملة الجميع يتكلمون الآن ويتناقشون بصوت عال فبعضهم يتشاجرون، وبعضهم يضحكون وكان ايفان فيدوروفتش ايبانتشين ساخطا حانقا، ينتظر اليزابت برو كوفيفنا انتظار رجل أسيء إلى مهابته وأهينت كرامته وأراد ابن أخت ليديف أن يدس كلمة أخيرا، فقال طيب يا أمير يجب أن ننصفك فنعترف لك بأنك تحسن الاستفادة من مرضك اذا أردنا أن نستعمل كلمة مهذبة لقد بلغت من الحذق والبراعة في عرض صداقتك ومالك أنه أصبح يستحيل على رجل شريف أن يقبلهما في أية صورة من الصور، وعلى أي شكل من الأشكال هذا افراط في السذاجة أو افراط في المكر أنت أدرى بذلك من أي انسان على كل حال هتف جبريل آر داليونوفتش يقول، وكان في أثناء ذلك الوقت قد فض الظرف الذي يضم المال: اسمحوا لي يا سادة: ليس في الظرف مائتان وخمسون روبلا، بل مائة روبل فحسب أنني أذكر هذا يا أمير تحاشيا لكل التباس قد يؤدي إلى سوء تفاهم قال الأمير لجبريل ارداليونوفتش وهو يحرك يده باشارة تململ دع هذا دع هذا

فأسرع ابن أخت ليديف يرد بقوله: لا، لا تدع هذا أن قولك دع هذا، فيه اهانة لنا يا أمير اننا لا نتخفي، اننا نتكاشف صراحة: نعم، ليس في الظرف الا مائة روبل لا مائتان ولكن الأمرين واحد أليس الأمران واحد؟ أجاب جبريل آر داليونوفتش بلهجة فيها دهشة ساذجة لا، ليس الأمران واحدا فصرخ ابن اخت ليديف يقول غاضبا حانقا لا تقاطعني لسنا أغبياء إلى الحد الذي تظن يا سيادة المحامي واضح أن مائة روبل ليست مائتين وخمسين روبلا لكن الشيء الهام هنا انما هو المبدأ أما أن ينقص المبلغ مائة وخمسين روبلا فذلك أمر تفصيلى ان الشيء الأساسي هو أن بوردوفسكى لا يقبل صدقتك وأنه يرميها في وجهك أيها الأمير العظيم فمن هذه الناحية، وعلى هذا الأساس يستوي أن يرد مائة وأن يرد مائتين وخمسين لقد رأيت بنفسك منذ قليل أنه رفض عشرة الاف ولولا أنه رجل شريف لرد حتى هذه المائة روبل ان المائة وخمسين روبلا الناقصة انما دفعت لتشيباروف لقاء نفقات سفره حين مضى يلقى الأمير لك أن تسخر من خراقتنا ومن جهلنا في شئون الأعمال وقد بذلت قصاراك لتتندر بنا وتضحك علينا في كل حال ولكن لا تسمحن لنفسك بأن تقول أنا أناس غير شرفاء أيها السيد العزيز، نحن مسئولون جميعا عن دفع المائة وخمسين روبلا للأمير، نعم، سوف نرد اليه المبلغ كاملا مع الفوائد ولو اضطررنا أن نرده روبلا روبلا ان بوردوفسكى فقير ما

هو بالمليونير وقد قدم اليه تشيباروف فاتورة الحساب بعد رحلته وكنا نأمل أن نربح من هذا الذي يمكن أن لا يفعل الذي فعل، لو كان في مكانه؟ صاح الأميرشتش، يقول يا له من سؤال وهتفت اليزابت برو كوفيفنا أمور تدفع المرء إلى الجنون وقال أوجين بافلوفتش ضاحكا، وكان قد ظل يلاحظ المشهد مدة طويلة دون أن يتحرك هذا يذكر بالمرافعة التي ألقاها في الآونة الأخيرة محام شهير كان موكله قد قتل ستة اشخاص ليسرقهم لقد أشار المحامي الى الفقر ليبرر الجريمة، وختم كلامه بهذه الكلمات تقريبا:واضح أن الفقر هو الذي أنبت في ذهن موكلى فكرة قتل أولئك الأشخاص الستة من ذا الذي يمكن أن لا تنبت هذه الفكرة في ذهنه لو كان في مكانه؟ لقد قال المحامي كلاما من هذا النوع ومهما يكن من أمر فقد كان استدلاله في منتهى الطرافة والفكاهة قالت اليزابت برو كوفيفنا فجأة وهي ترتعش أشد الارتعاش من فرط الغضب كفى كفى آن لنا أن نضع حدا لهذا اللغو السخيف، والهذر التافه كانت اليزابت برو كوففنا في حالة اهتياج رهيب وها هي ذي، وقد ردت رأسها الى وراء ولاحت في وجهها علائم التهديد، ترشق الحضور جميعهم بنظرة تحد واستفزاز، لا تميز فيهم بين أصدقاء وأعداء ان حنقها الذي طال كظمه ينفجر أخيرا وينطلق عارما قويا كانت في حاجة إلى أن تقاتل وتعارك، كانت في حاجة إلى أن تهوي على أي مخلوق بأقصى

سرعة فسرعان ما أدرك الذين يعرفونها أن شيئا خارقا يحدث الآن في نفسها لقد قال ايفان فيدوروفتش في الغد للأميرشتش ان هذه النوبات تعتريها أحيانا، ولكنها قلما تكون على مثل هذه الدرجة من العنف فلعلها لا تبلغ هذا الحد من القوة الا مرة كل ثلاث سنين صاحت اليزابت برو كوفيفنا تقول:

ـ كفى يا ايفان فيدوروفتش دعني لماذا تقدم الى ذراعك الآن؟ انك لم تخرجني من هذا المكان قبل هذه اللحظة، وأنت الزوج ورب الأسرة فكان ينبغي لك أن تجرني من أذني لو بلغت من الحماقة حد الامتناع عن طاعتك واتباعك كان ينبغي لك أن تفكر في بناتك على الأقل الأهتدين إلى طريقى الآن بدونك، بعد هذه المهانة التي سأظل أحمر خجلا منها طوال سنة بكاملها انتظر، على أن أشكر الأمير أيضا شكرا يا أمير على هذه البهجة العظيمة التي هيأتها لنا كيف ارتضيت النفسي أن أبقى هنا لأصغي إلى كلام هؤلاء الشبان؟ يا لها من حطة يا لها من حطة فوضى، فضيحة، جرسة، لا يرى المرء مثلها حتى فيكابوس هل هناك أناس كثيرون من هذا النوع؟ اسكتى يا آجلايا اسكتي يا الكسندرا ليس هذا شأنكما لا تدر حولى هذا الدوران يا أوجين بافلوفتش، انك تثير أعصابى وعادت تخاطب الأمير فتقول: أهكذا اذن يا عزيزي؟ أنت الذي تستغفرهم؟لا تؤاخذوني على اني

سمحت لنفسي بأن أهدى اليكم ثروة هكذا يقول لهم، والتفتت إلى ابن أخت ليديف فقالت فجأة: وأنت أيها الوقح، ما الذي يضحك؟ هذا يقول: نحن نرفض المبلغ المعروض اننا نطالب ولا ستجدى، كأنه لا يعلم أن هنا الأبله سيمضي يعرض عليهم صداقته وماله منذ الغد أليس هذا ما ستفعله يا أمير؟ أجاب الأمير بصوت رقيق مغلوب: نعم فعادت تهتف قائلة الدكتور نكو: هل سمعته؟ ذلك بعينه هو ما تعول عليه لكأن هذا المال في جيك منذ الآن فاذا كنت تتظاهر بالشمم والعظمة، فانك لا تفعل ذلك الا لتخدعنا لا يا عزيزى، اخدع غيري ان استطعت أما أنا فان الى عينين تبصران انى أرى لعبتك هتف الأمير: اليزابت برو كوفيفنا فاقترح الأميرشتش، قائلا وهو يبتسم ويصطنع أكبر الهدوء: فلننصرف يا اليزابت برو كوفيفنا آن الأوان وأكثر ولنأخذ الأمير معنا كانت الأسات متنحيات حتى لكأنهن مروعات أما الجنرال فكان مروعة بالفعل وكانت الدهشة تقرأ في جميع الوجوه وكان بعض الذين بقوا في الخلف يضحكون خفية ويتهامسون وكانت هيئة ليبديف تعبر عن أقصى الوجد والنشوة قال ابن أخت ليديف، وهو يشعر مع ذلك بغير قليل من الحرج: الفوضى والفضائح يا سيدتي موجودة في كل مكان فأجابت اليزابت بروكو فيفنا تقول بحنق متشنج لا إلى هذا الحد، لا إلى هذا الحد وأضافت تقول للذين حاولوا أن يهدئوها هلا تركتموني وشأني دعوني وشأني

واتجهت إلى أوجين بافلوفتش فقالت اذا استطاع محام أن يعلن في المحكمة، كما ذكرت أنت نفسك منذ هنيهة يا أوجين بافلوفتش، أنه يرى أن من الطبيعي جدا أن يقتل امرؤ ستة اشخاص بدافع الفقر، فهذا دليل على اقتراب الساعة لم أسمع في حياتي شيئا من هذا القبيل الآن أصبح كل شيء واضحا لي انظروا إلى هذا الثأثأة مثلا قالت ذلك وهي تشير إلى بوردوفسكي الذي كان ينظر اليها مشدوها أهو يتورع عن أن يقتل؟ أراهن على أنه سيقتل أحدا قد لا يأخذ العشرة الاف روبل، قد يرفضها بشرف واباء ولكنه ما يلبث أن يعود في الليل، فيذبحك ويسرق المال من صندوقك بشرف واباء أيضا لن يعد بعد ذلك عملا اجراميا سوف يعده نوبة يأس نبيل أو يعده بادرة انكار ورفض أو ما لا أدري أيضا هه العالم مقلوب، الناس يسيرون على رءوسهم لا على أقدامهم ان فتاة تربت في منزل أبيها تقفز اليوم إلى الشارع قائلة لأمها: يا ماما، تزوجت بالأمس فلانا، كار لتش أو ايفانش، فأستودعكم الله هل ترون هذا حسنا؟ هل تعدونه أمرا لائقة؟ هل تجدونه شيئا طبيعيا؟ أهذه قضية المرأة؟ انظروا إلى هذا الصبي قالت ذلك مشيرة إلى كولا لقد زعم لي منذ مدة أن قضية المرأة هي ذلك بعينه هب أمك غبية حمقاء ان هذا لا ينفي أن عليك أن تعاملها معاملة انسانية لماذا دخلتم منذ قليل بتحد واستفزاز كأنكم تقولون:اننا نتقدم، فلا تتحركوا اعطونا جميع الحقوق ولكن

اياكم أن تقولوا بحضورنا كلمة واحدة أحيطونا بجميع أنواع الرعاية والمداراة، ما تعرفون منها وما لا تعرفون ولكنا سنتعاملكم نحن كما يعامل أحقر خادم، انهم يسعون إلى الحقيقة، ويستندون إلى الحق، ولكن ذلك لا يمنعهم من أن يفتروا على الأمير في مقالتهم افتراء الكفرة ونحن نطالب ولا ستجدى لن تنالوا منا أية كلمة تعبر عن الشكر، لأن ما تفعلونه انما تفعلونه لراحة ضمير كم أنتم يا لها من أخلاق رائعة كيف لا تدرك أنك حين تعفى نفسك من أي شكر فانما تتيح للأمير أن يجيك من جهته بأنه غير مضطر أن يشعر بأي امتنان نحو بالشتشيف، لأن بالشتشيف لم يفعل ما فعله، هو ايضا، الا لراحة ضميره فكيف تعول اذن على شعور الأمير بالامتنان نحو بافلشتشيف؟ أن الأمير لم يقترض منك مالا، فهو غير مدين لك بشيء فعلى أي شيء اعتمدت اذا لم تكن قد اعتمدت على ذلك الشعور بالامتنان؟ ولماذا ترفض اذن ذلك الشعور؟ ألا أن هذا لضلال هؤلاء أناس يتهمون المجتمع بالقسوة والتجرد من الانسانية لأنه يجلل بالعار فتاة أغويت؟ وهم حين يفعلون ذلك يعترفون بأن الفتاة المسكينة تتألم من المجتمع فكيف يجيزون لأنفسهم، والحالة هذه، أن يذيعوا خطئتها بواسطة الجرائد على أشرار الناس وأن يدعوا أنها لن تتألم من هذا التشهير بها؟ ألا أن ذلك الجنون ألا أن ذلك التبجح وادعاء أنهم لا يؤمنون بالله ولا بالمسيح ولكن الغرور والصلف يأكلان

نفوسهم أكلا، ولينتهين بهم الأمر إلى أن يلتهم بعضهم بعضا أنا أقول لكم ذلك أنا أتنبأ لكم به أليس هذا جنونة وفوضي وجرسة؟ وانظروا من بعد إلى هذا الرجل الذي لا حياء له، إلى هذا الرجل الذي يستغفرهم هل يوجد أناس كثيرون من أمثالكم؟ أتضحكون ساخرين؟ ألأتى أذللت نفسي بالتورط في الكلام معكم؟ نعم، لقد أذللت نفسي بذلك حقا، ولا سبيل إلى اصلاح الأمر أما أنت، أيها التافه الذي لا يصلح لشيء وجهت هذا الكلام إلى هيبوليت، فانني أنهاك عن الضحك مني أنه لا يكاد يستطيع التنفس، ولكنه يفسد الآخرين لقد أفسدت لي هذا الصبي قالت ذلك مشيرة إلى كوليا من جديد فهو لا يحلم الا بك انك تلقنه الالحاد، أنت لا تؤمن بالله، مع أنك ما تزال، أيها السيد الصغير، في سن يجوز فيها جلدك على كل حال، اذهبوا جميعا الى جهنم يا ليون نيقولا يفتش، أصحيح حقا أنك ستذهب اليهم غدا؟ أتذهب اليهم فعلا؟ ألقت على الأمير هذا السؤال وهي تكاد تختنق غيظا فأجابها الأمير بقوله: نعم، سأذهب اذا صدق هذا فلا أريد أن أعرفك بعد اليوم وهمت بالانصراف فجأة، ولكنها لم تلبث أن التفتت تسأله وهى تشير إلى هيبوليت: أتذهب الى هذا الملحد أيضا؟

وأضافت صائحة تقول بصوت غير معهود فيها، وقد هجمت على

هيبوليت الذي أخرجتها ضحكته الساخرة عن طورها: مالي أراك كمن يسخر مني؟ فصاحت أصوات تتناديها من كل جهة: اليزابت برو كوفيفنا اليزابت برو كوفيفنا وهتفت آجلايا تقول بصوت قوى: ماما هذا عيب كانت اليزابت برو كو فيفا قد وثبت على هيبوليت فأمسكت ذراعه تشدها شدة قوية بحركة مندفعة، وتتفرس في وجهه بنظرة تفيض حنقة وسخطا قال هيبوليت بهدوء ورصانة: لا تجزعى يا آجلايا ايفانوفناه لسوف تدرك أمك أن المرء لا يهجم على مريض يحتضر واني لمستعد على كل حال لأن أشرح لها لماذا كنت أضحك سوف يريحني كثيرا أن أفلح في أن غير أن نوبة سعال رهيب قد اعترته فجأة ولم يستطع أن يكبحها هتفت اليزابت برو كوفيفنا تقول وهي تترك ذراع هيوليت وتنظر اليه، مذعورة بعض الذعر، حين رأنه يمسح الدم الذي طفر الى شفتيه: ـ محتضر لا يكف عن القاء خطب ماذا تريد أن تقول؟ أولى بك أن تمضى إلى فراشك فترقد أجابها هيبوليت قائلا بصوت ضعيف محجوب يشبه أن يكون همسا: ذلك ما سأفعله فما أن أصل إلى البيت حتى أرقد في فراشى سأموت بعد خمسة عشر يوما، أنا أعرف ذلك ان الدكتور «با.ن، نفسه قد أعلن لي هذا في الأسبوع الماضي لذلك سأودعكم بكلمتين، اذا أذنت لي صاحت اليزابت برو كوففنا تقول مروعة: أحسب أنك فقدت عقلك ما هذه الحماقة؟ عليك أن تعالج نفسك ليس الوقت وقت أحاديث

وخطب وامض امض إلى سريرك.. قال هيبوليت مبتسمة: سأرقد في سريري وسأرقد رقادا لا قيام بعده أمس أردت أن أرقد منتظرا الموت، ثم أمهلت نفسي يومين ما دامت ساقاى تستطيعان أن تحملانى بغيا أن أجيء معهم اليوم إلى هنا ولكنني تعبت حقا قالت له اليزابت برو كوفيفنا وهي تقدم اليه بنفسها كرسيا: فاجلس ادن اجلس لماذا تبقى واقفا؟ قال هيبوليت بصوت منطفيء: ـ شكرا اجلسي أمامي ولنتحدث يجب أن نتحدث حتما يا اليزابت براكوفيقنا اني أصر على هذا الآن أضاف ذلك مبتسما من جديد لاحظي أن هذا اليوم هو آخر يوم أقضيه في الهواء الطلق بين الناس، وبعد خمسة عشر يوما سأكون تحت التراب حتما فهذا اذن وداع للبشر وللطبيعة بمعنى من المعاني انه ليسرني جدا، رغم انني لست عاطفية كثيرا هل تصدقين؟ أن يتم هذا في بافلوفسك؛ فهنا أرى الخضرة والأشجار على الأقل قالت اليزابت برو كوفيفنا وكان ارتياعها يزداد دقيقة بعد دقيقة أهذا أوان الاكثار من الكلام؟ انك تعاني حمى شديدة منذ قليل كنت تصيح صياح قوية، كنت تعول اعوالا شديدا وهأنت ذا الآن لا تكاد تستطيع أن تتنفس لن أتأخر عن الخلود إلى الراحة لماذا لا تريدين أن تستجيبى لرغبتى القصوى؟ هل تعلمين أنني أحلم منذ مدة طويلة بأن ألقاك يا اليزابت برو كوفيفنا؟ لقد سمعت عنك كثيرا من كوليا الذي هو الشخص الوحيد الذي لم يهجرنى الشخص

الوحيد تقريبا أنت امرأة أميل إلى الطرافة والغرابة والتفرد أدركت هذا الآن هل تعلمين أني أحببتك بعض الحب رباه ما كان أغبانى حين أوشكت أن أضربه ان آجلايا ايفانوفنا، اذا لم يخطىء ظني، هي التي تهتك عن ذلك أليست هي ابنتك أجلا يا ايفانوفنا؟ انها تبلغ من الجمال انتي ما ان أبصرتها هنا حتى عرفتها، رغم أنني لم أكن قد رأيتها قبل اليوم قط وأردف هيوليت يقول وهو يبتسم ابتسامة خرقاء مرتبكة دعى لى على الأقل أن أتأمل الجمال لآخر مرة في حياتي أنت هنا مع الأمير، ومع زوجك، ومع حفل بكامله فلماذا ترفضين أن تلبي آخر رغبة لي؟صاحت اليزابت برو كوفيفنا تقول اعطونى كرسيا ولكنها لم تنتظر أن يعطيها أحد كرسيا، بل تناولت بنفسها مقعدا من المقاعد وجلست قبالة هيبوليت ثم قالت تأمر كوليا: كوليا، اصحبه إلى البيت في الحال؛ وغدا لن يفوتني أنا نفسي أن اذا أذنت لي، طلبت من الأمير فنجان شاي انني أشعر بتعب شديد ألم تكونى تريدين، يا اليزابت برو كوفيفنا، أن تصطحبي الأمير الى بيتك لاحتساء الشاي؟ فابقوا اذن هنا، ولنقض لحظة معا لا شك أن الأمير سأمر لنا جميعا بشاى. اغفري لي تصرفي هذا ولكنني أعلم أنك طيبة القلب نبيلة النفس وكذلك الأمير نحن جميعا طيبون إلى درجة تبعث على الضحك تحرك الأمير وخرج ليبديف من الشرفة راكضا، وأسرعت فيرا تبعه قالت الجنرالة فجأة: أنت على حق. تكلم، ولكن

في رفق وهدوء، ولا تدع للهيجان سيلا إلى فسك لقد أثرت حنانى يا أمير، ما كنت تستحق أن أشرب الشاي في بيتك، ولكنني أبقى مع ذلك، دون أن أعتذر لأحد نعم، دون أن أعتذر لأحد والا كان ذلك منى سخفة على كل حال، اذا كنت قد أسأت معاملتك يا أمير، فانني اعتذر اليك وأطلب مغفرتك، اذا أنت أردت طبعا ثم أضافت تقول لزوجها وبناتها بلهجة حانقة كل الحنق كأنها حاقدة عليهم من اساءة كبيرة ألحقوها بها ولست أجبر أحدا أن يبقى معي، فانني أستطيع أن أرجع إلى البيت وحدي ولكنهم لم يدعوها تتم كلامها، بل اسرعوا يقتربون منها، ويحيطون بها، ويسعون حولها، وما لبث الأمير أن رجا الجميع أن يبقوا لاحتساء الشاي، واعتذر عن أنه لم يبادر إلى هذا من قبل حتى الجنرال ايبانتشين هش وبش فقال بضع كلمات تطيب الخواطر وتهديء النفوس، وسأل اليزابت برو كوفيفنا أليست تشعر في الشرفة بشيء من البرد، حتى لقد هم أن يسأل هيبوليت منذ متى التحق بالجامعة، ولكنك أمسكوامتلأ أوجين بافلوفتش والأميرشتش مرحا وفرحة على حين فجأة وعبر وجها آديلائيد وألكسندرا عن السرور والرضى رغم احتفاظهما بمعنى الدهشة والتعجب الخلاصة أن الجميع قد أسعدهم سعادة واضحة أن نوبة الغضب التي اعترت اليزابت برو كوفيفنا قد انقضت بسلام، الا أجلايا وحدها، فقد ظلت عابسة الوجه صامتة متنحية وبقى سائر أفراد الجمع، لم يشأ أحد

منهم أن ينصرف، حتى الجنرال ايفولجين ولكن ليبديف همس يقول له شيئا لا بد أنه لم يرضه، فغاب في ركن من الأركان. واقترب الأمير من بوردوفسكى وصحبه يدعوهم إلى احتساء الشاى دون أن يستثني أحدا فجمجموا يقولون بصوت أجش آنهم سوف ينتظرون هيبوليت، ثم أسرعوا ينسحبون إلى زاوية من الشرفة حيث جلسوا جنبا إلى جنب لا بد أن لديف كان قد أمر باعداد الشاى لأصحابه منذ مدة طويلة، لأن الشاي قد قدم فورا ودقت الساعة الحادية عشرة.

الفصل التاسع

هيوليت شفتيه بفنجان الشاي الذي قدمته اليه وفيرا ليبديفا، ثم وضع الفنجال على منضدة صغيرة، ثم ألقى على ما حوله نظرة محرجة مرتبكة تكاد تكون زائغة وقال متدفقة: انظري إلى هذه الفناجيلن يا اليزابت برو كوفيفنا انها من خزف، بل هي من أجمل الخزف فيما أظن ان ليبديف يحتفظ بها دائما في خزانة صغيرة وراء زجاج ولا يستعملها قط لا شك في أنها كانت جزءا من مهر زوجنه وقد أخرجها اليوم تكريما لك من غير شك فالى هذا الحد وصل سروره واغتباطه أراد هيبوليت أن يضيف شيئا آخر، لكن الكلمات لم توافه فهمس أوجين بافلوفتش يقول في اذن الأمير: ها هو ذا يضطرب ويرتبك لقد كنت أتوقع ذلك هذا خطر، أليس صحيحة؟ تلك علامة ثابتة على أن خبث نفسه وسوء سريرته سبوحيان اليه تصرفة يبلغ من الشذوذ أن اليزابت برو كوفيفنا نفسها لن تطيق احتماله ألقى عليه الأمير نظرة سائلة مستفهمة فتابع أوجين بافلوفتش كلامه فقال ألا تخشى التصرفات الشاذة؟ أنا أيضا لا أخشاها حتى اننى أتمناها، على الأقل عقابا لصاحبتنا الطبية اليزابت برو كوففنا يجب أن تنال

هذا العقاب في هذا اليوم نفسه لا أريد أن أنصرف قبل ذلك أتراك مصابا بحمى؟ أجاب الأمير ذاهل الهيئة متململا سآتيك فيما بعد لا تمنعني من الاصغاء كان الأمير قد سمع اسمه يذكر ان هيبوليت يتحدث عنه فهو يقول ضاحكا ضحكة عصبية ألا تصدقين هذا؟ كنت أتوقع أن لا تصدقيه أما الأمير فسوف يصدقني دفعة واحدة، ولن يدهش البتة قالت اليزابت برو كوفيفنا وهي تلتفت اليه: أسمعه يا أمير؟ أسمعه؟ وكان الجمع يضحكون من حولهم وكان ليبديف يصطنع هيئة القلق ويدور أمام الجنرالة هو يدعي أن هذا المهرج مؤجر قد راجع مقالة هذا السيد، أعني المقالة التي قرئت لك هذا المساء والتي تتناولك نظر الأمير إلى ليبديف مدهوشا واستأنفت اليزابت برو كوفيفنا كلامها وهي نضرب الأرض بقدمها قائلة ما بالك تصمت؟

فدمدم الأمير يقول وهو ما يزال يحدق إلى ليبديف: اني لأرى أنه قد راجع المقالة حقا فالتفتت اليزابت برو گوفيفنا نحو ليبديف بقوة وسألته: أهذا صحيح؟ فقال ليبديف بثقة تامة وهو يضع يده على قلبه: هذه هي الحقيقة بعينها يا صاحب السمو فصاحت الجنرالة تقول وقد وثبت عن كرسيها: لكأنه يتباهى بهذا فتمتم ليبديف قائلا وقد أخذ يلطم صدره ويحني رأسه شيئا بعد شيء أنا رجل منحط

أنا رجل منحط لا يعنيني أن تقول انك منحط هو يظن أنه يكفيه أن يقولانه منحط، حتى يخرج من المأزق وحتى يبريء ذمته، يا أمير، مرة أخرى أسألك ألا تستحي أن تعاشر أمثال هؤلاء الناس؟ انني لن أغفر لك هذا أبدأ قال ليبديف بلهجة فيها اقتناع وعاطفة سيسامحنى الأمير وأسرع كيلر يقترب من اليزابت برو كوفيفنا، فيقف أمامها، ويقول بصوت منفجر: من باب الكرم وحده يا سيدنى، ومن أجل أن لا أفضح صديقة معرضة للأذى، انما سكت منذ قليل عن مراجعته لقالتي فلم أجيء على ذكرها ولا أشرت اليها، رغم أنه اقترح رمينا إلى أسفل السلم كما سمعت ذلك بأذنيك ففي سبيل أن أقرر الحقيقة أعترف الآن بأني أستعنت به في ذلك فعلا ونقدته ستة روبلات أجرا لم أطلب اليه أن ينقح لأسلوب، وانما طلبت اليه أن يكشف لي، بصفته مصدر مطلعا، على وقائع كنت أجهل أكثرها فكل ما ورد ذكره في المقالة عن لبادتي الحذاءين اللذين كان ينتعلهما الأمير، وعن اشباع الأمير نهمه على نفقة البروفسور السويسري، وعن الخمسين روبل التي ذكرت بدلا عن المائتين وخمسين المدفوعة فعلا، كل هذه المعلومات كان هو مصدرها وقد نقدته ستة روبلات أجرة على هذا لا على تصحيح اللغة وتنقيح الأسلوب قاطع ليبديف كلام كيللر فقال نافد الصبر بصوت يزحف من ذله زحفا أن صح التعبير، بينما كانت الضحكات تتضاعف من حوله: يجب أن ألفت النظر إلى أني لم

أراجع من المقالة الا الجزء الأول فاننا حين وصلنا إلى الجزء الثاني اختلفت آراؤنا حتى لقد تشاجرنا بصدد فكرة جئت بها، فعدلت عن تصحيح الجزء الثاني من المقالة فلا يمكن اذن أن أعد مسئولا عما تضمه من أخطاء كثيرة وأقاويل كاذبة ذلك ما يشغل باله كذلك هتفت اليزابت برو كوفيفنا. قال أوجين بافلوفتش يسأل كير: هل تسمح لى أن أسألك متى تمت مراجعة المقالة؟ فأجابه كيلر طائعا: صباح أمس اجتمعنا اجتماعا تعاهدنا على أن يبقى بيننا سرا مكتوما لا نطلع عليه أحدا قالت اليزابت برو كوفيفنا ذلك بينما كان يزحف أمامك معلنا لك ولاءه واخلاصه، يا لهؤلاء البشر في وسعك أن تحتفظ ببوشكين، ولا تظهرن بنتك عندي قط وأرادت اليزابت برو كوفيفنا أن تنهض، لكنها وقد رأت هيبوليت يضحك، حولت غضبها اليه قائلة ماذا يا عزيزي؟ هل آليت على نفسك أن تتخذني هنا هزؤا؟ فأجاب هبوليت وهو يبتسم ابتسامة خرقاء معاذ الله لكنك يا اليزابت برو كوفيفنا قد خطفت انتباهي بما تتصفين به خاصة من غرابة لا يصدقها العقل أعترف لك بأنني تعمدت أن أثير موضوع ليبديف كنت أتوقع الأثر القوي الذي لا بد أن يحدثه فيك هذا الموضوع، أن يحدثه فيك أنت وحدك، لأن الأمير سيغفر له حتما، بل لا شك في أنه قد غفر له منذ الآن؛ ولعله قد وجد لفعلته عذرا أليس هذا صحيحا يا أمير؟ كان هيبوليت يلهث، وكان انفعاله الغريب يقوى عند

كل كلمة يقولها قالت اليزابت برو كوفيفنا غاضبة وقد فجأتها لهجة صوته: هيه، وماذا؟ فتابع هيپوليت كلامه قائلا: سبق أن سمعت عنك أشياء كثيرة من هذا النوع بفرح شديد لقد تعلمت أن أحترمك أعظم الاحترام كان يتكلم وفي هيئته ما يدل على أنه يريد أن يعبر عن شيء آخر يختلف كل اختلاف عما كان يقوله وكان حديثه المتدفق يكشف في الوقت نفسه عن رغبة في السخرية وعن اضطراب مشوش انه يلقى حواليه نظرات شك وريب، ويرتبك ويتيه عند كل كلمة جديدة وكانت هيئته التي هي هيئة مريض بالسل، وعيناه الملتمعتان، ونظرته المتحمسة، كان ذلك كله أكثر مما يحتاج اليه الحاضرون جميعا لينصرفوا بانتباههم اليه انصرافا تاما وتابع كلامه يقول: رغم انني لا أعرف من آداب المجتمع شيئا وذلك ما أعترف به، كان يمكن أن يدهشني أن أراك تمكثين في جمع كجمعنا هذا الذي تعدينه غير لائق، وكان سيدهشني أن أراك تتركين لهاته الفتيات أن يسمعن قضية شائكة فاضحة، رغم أن قراءة الروايات قد سبق أن علمتهن كل شيء ومهما يكن من أمر، فمن الجائز أنني لا أعلم لأن أفكارى تضطرب وخواطري تختلط ولكن مما لا شك فيه على كل حال أن أحدة غيرك ما كان ليرضى أن يبقى تلبية لطلب صبى نعم، صبى، انتي أعترف بهذا أيضا فيقضى السهرة معه، ويشارك في كل شيء، وان احمر خجلا من ذلك في الغد على أني أقر بانني أخبط في

التعبير خبط عشواء ذلك كله يبدو لي خليقا بأن يحمد، ويبدو لي جديرة بأن يحترم كل الاحترام، رغم أن وجه زوجك يعبر تعبيرا واضحا عن مدى انزعاج سيادته مما يجري هنا هيه هيء أخذ هيوليت يقهقه، واضطرب وارتبك فجأة، ثم هزته نوبة سعال شديدة حالت بينه وبين الاستمرار في الكلام مدة دقيقتين قالت اليزابت برو كوفيفنا بلهجة باردة جافة، وهي تلقي عليه نظرة استطلاع خال من التعاطف ها هو ذا يختنق كفى يا صغيري كفى حسبك هذا وتدخل ايفان فيدوروفتش غاضبا فقال وقد نفد صبره: دعني أنبهك إلى شيء أيها السيد الصغير ان زوجتي هي هنا عند الأمير ليون نيقولا يفتش، جارنا وصديقنا المشترك فلست أنت، أيها الفتى، في أية حال من الأحوال، من يحق له أن يحكم على أفعال اليزابت برو كوفيفنا، ولا أن يعبر جهارا، بحضورى، عما تظن أنك تقرؤه في وجهى به مفهوم؟ ثم تابع كلامه وهو يزداد اندفاعا وحماسة: ولئن بقيت هنا، فانما بقيت، أيها السيد، مدفوعا بعامل المفاجأة وحب الاطلاع، وذلك حين رأيت هؤلاء الشباب الذين يثيرون حب الاطلاع بغرابتهم فعلا ولقد بقيت أنا أيضا كما أبقى احيانا في الشارع حين أرى شيئا يمكن أن يعد أن يعد قال أوجين بافلوفتش محاولا اسعاف صاحبه: أن يعد شيئا غريبة نادرة فأسرع الجنرال يقول وقد تورط في البحث عن تشبيه: نعم، هذه هي الكلمة مهما يكن من أمر فان ما يبدو لي

باعثا على الدهشة ومثيرة للحزن ان صح التعبير هو أنك أيها الفتى لم تستطع حتى أن تدرك أن اليزابت برو كوفيفا لم تمكث الآن معك الا لأنك مريض ولأنها أيقنت أنك مشارف على الموت، فكانت الشفقة هي التي ألهمتها سلوكها اذ سمعت أقوالك التي تثير الرحمة والرأفة فما من لطخة أيها السيد يمكن أن تنال اسمها أو مزاياها أو منزلتها الاجتماعية ثم ختم كلامه بقوله وقد احمر وجهه غضبا: اليزابت براكوفيفنا، اذا كنت تريدين الانصراف فلنودع صاحبنا الأمير الطيب ود فقاطعه هيبوليت بلهجة فيها رصانة غير متوقعة، وكان يحدق إلى ايفان فيدوروفتش بنظرة حالمة أشكر لك هذا الدرس يا جنرال. قالت آجلايا وهي تنهض، قالت بلهجة تدل على الغضب ونفاد الصبر: هلمى تتصرف يا ماما، فان هذا الأمر يمكن أن يطول كثيرا قالت اليزابت برو كو فيفا بوقار وهي تلتفت نحو زوجها: دقيقتين أخريين من فضلك يا عزيزى ايفان فيدوروفتش أظن أنه مصاب بنوبة حمى، وأنه يهذي لا أكثر أرى هذا في عينيه لا يمكن أن تركه وهو على هذه الحال يا ليون نيقولا يفتش، أليس في وسعه أن يبيت عندك، حتى لا يكون ثمة اضطرار إلى نقله إلى بطرسبرج. ثم أضافت تقول مخاطبة الأميرتشتش،: هل سئمت أو ضجرت أيها الأمير العزيز؟ ثم قالت تخاطب ألكسندرا: تعالي يا ألكسندرا، ربي شعرك قليلا يا عزيزتي وربت اليزابت برو كو فيفا ترتيب شعر ابنتها، مع أنه لم يكن يعوزه أي

ترتيب، ثم قبلتها، والواقع أن هذه القبيلة كانت هي الغرض من مناداة الفتاة اليها عاد هيبوليت يقول وقد خرج من أحلامه: كنت أظنك قادرا على شيء من التطور الفكري نعم، ذلك ما كنت أريد أن أقوله لك أضاف ذلك مرتاحا ارتياح انسان تذكر شيئا منسيا انظر إلى بوردوفسكى: هو يريد صادقا أن يدافع عن أمه، أليس كذلك؟ ولكنه في نهاية الأمر لطخ شرفها بالمار انظر إلى الأمير: انه يرغب في أن يساعد بوردوفسكى، وهو اذ يمحضه أرق العاطفة وينفحه المال انما يصدر عن أحسن نية وأكرم شعور، ولعله بينا الانسان الوحيد الذي لا يكرهه ولا ينفر منه وها هما مع ذلك يقفان أحدهما من الآخر موقف العدو هأ هأ هأ انتم جميعا تكرهون بوردوفسكى لأنه يتصرف مع أمه تصرفا ليس فيه لباقة وأناقة فيما ترون، أليس كذلك؟ هو كذلك؟ هو كذلك، هه؟ انكم جميعا متعلقون تعلقا مسعورا بجمال الأشكال ولطف الآداب في السلوك كنت أقدر منذ زمن طويل أنكم لا تحفلون الا بهذا، فاعلموا أن أحدا منكم لعله لم يحبب أمه كما أحب بوردوفسكى أمه أنا أعلم أنك أرسلت إلى هذه المرأة مالا بواسطة جانيا دون أن يعلم بذلك أحد ألا اني لمستعد أن أراهن على أن بوردوفسكى سيتهمك الآن بقلة اللباقة وعدم المداراة تجاه أمه نعم، حقا، ها ها ها وهذه نوبة جديدة من الاختناق والسعال تقطع تلك الضحكة التشنجية الذي صاحبت كلماته الأخيرة قالت اليزابت برو

كوفيفنا نافدة الصبر وكانت لا تحول عنه نظرتها القلقة: أهذا كل شيء؟ هل قلت كل ما كنت تريد أن تقوله؟ فاذهب الآن اذن الى سريرك أن بك حمى آه.. رباه ها هو ذا يستأنف.. اتجه هيبوليت بالكلام إلى أوجين بافلوفتش فجأة، وقال له بلهجة حانقة أضحك؟ لماذا تضحك دائما مني؟ لقد لاحظت ذلك واضحا وكان أوجين بافلوفتش يضحك فعلا انما أردت أن أسألك يا سبد هيبوليت معذرة نسيت اسم أسرتك قال الأمير السيد تير تيف نعم شكرا يا أمير لقد ذكر لى اسمه منذ قليل، لكن هذا الاسم بارح ذاكرتى أردت أن أسألك يا سيد تيرنتيف هل ما قيل لي عنك صحيح لقد قيل لي أنك تعتقد أنه يكفيك أن تخطب في الشعب، من نافذة بيتك، خلال ربع ساعة، حتى يقتنع الجمهور بأرائك فورا، فيتبعك هل هذا صحيح؟ أجاب هيبوليت محاولا أن يستجمع ذكرياته: يجوز جدا أن أكون قد قلت هذا الكلام ثم أضاف فجأة وقد اندفع من جديد وحدج أوجين بافلوفتش بنظرة ثابتة نعم، قلت ذلك الكلام حتما، فماذا تستنتج من ذلك؟ لا شيء البتة فانما ألقيت هذا السؤال من باب حب الاطلاع وصمت أوجين بافلوفتش وظل هيبوليت يحدق اليه وكأنه ينتظر التتمة قلقا قالت اليزابت برو كوفيفنا تسأل أوجين بافلوفتش هيه؟ هل أنهيت كلامك؟ أنهه بسرعة يا صديقي، فقد آن له أن يمضي إلى النوم أم تراك لا تدري كيف تنهيه؟ كانت اليزابت برو كوفيفنا منزعجة

انزعاجا شديدا فاستأنف أوجين بافلوفتش كلامه فقال مبتسما: لعلني أميل إلى أن أضيف ما يلي: أن كل ما سمعته من رفاقك يا سيد تيرنتيف، وكل ما قلته أنت نفسك بموهبة لا مجال لنكرانها يرتد هو في رأيي إلى النظرية التي تطمع في جعل الحق منتصرا على كل شيء، قائما فوق كل شيء، بل مبعدا كل شيء، ربما دون سعى في أول الأمر إلى معرفة هذا الحق لعلني كنت مخطئا أنت مخطىء حتما حتى اني لا أفهم عنك ثم ماذا؟ وصعدت من زاوية بالشرفة دمدمة كان ابن اخت ليبديف يهمهم متكلما بصوت خافت واستأنف أوجين بافلوفتش كلامه فقال: لم يبق عندي ما أقوله تقريبا وانما أردت أن ألفت النظر الى أن هذه النظرية ليس بينها وبين النظرية القائلة بأن الحق للأقوى، أي بأن الحق لقبضة اليد وتحكم الفرد، وتلك هي الطريقة التي سويت بها الأمور في أكثر الأحيان، أقول ليس بين هاتين النظريتين الا خطوة واحدة لقد تلبث برودون على نظرية القوة هذه التي تخلق الحق وفي أثناء حرب الانفصال رأينا كثيرا من الليبراليين، بل كثيرا من الليبراليين المتطرفين، ينحازون الى صف المزارعين بحجة أن الزنوج، من حيث هم زنوج، يجب أن يعدوا أدني منزلة من البيض، وان للبيض حق الأقوى ثم؟ أرى أنك لا تجحد حق الأقوى أنت لا تناقض على الأقل لقد أردت أن ألفت النظر إلى أن المسافة ليست بعيدة بين حق الأقوى وحق النمور والتماسيح، وحتى

حق أمثال دانيلوف وجورسكى.

لا أدري ثم؟ كان هيبوليت لا يضغى الى أوجين بافلوفتش الا بأذن واحدة كان لا يقول:ثم الا انسياقا مع الحديث، دون أن يولى هذه الكلمة أي اهتمام، أو أن يودعها أى معنى لم يبق عندي ما أضيفه ذلك كل ما أردت أن أقوله قال هيبوليت يختم الكلام على نحو لم يكن متوقعا: الواقع أنني لا أغضب منك ولا أحقد عليك وعلى غير شعور تقريبا، ابتسم ومد يده إلى أوجين بافلوفتش. دهش أوجين بافلوفتش، ثم اصطنع هيئة فيها كثير من الجد ليلمس اليد التي منها اليه هيوليت، كأنما هو يقبل صفحه وعفوه وأضاف يقول بلهجة فيها ذلك الاحترام نفسه، ولكن فيها التباسا كذلك: لا أملك إلا أن أشكر لك تلطفك معى اذ تركت لي أن أتكلم، فقد لاحظت في أحيان كثيرة أن أصحابنا الليبراليين لا يدعون للآخرين أن يكون لهم رأي شخصي، وأنهم يردون على معارضيهم فورا باهانات أو بحجج أدعى إلى الأسف من الاهانات نفسها قال الجنرال ايفان فيدوروفتش: هذا صحيح كل الصحة ثم انسحب إلى أقصى الشرفة من جهة المخرج جاعلا يديه وراء ظهره، وأخذ يتثاءب برما متململا قالت اليزابت برو كوفيفنا فجأة تخاطب أوجين بافلوفتش: ها كفاك يا صديقي لقد أضجر تنى وقال هيبوليت وهو ينهض مسرعا ويرسم بيده حركة

تعبر عن الحيرة والارتباك، ويلقي حواليه نظرة زائغة خائفة: به آن الأوان لقد احتجزتكم أردت أن أقول لكم كل شيء كنت أقدر أنكم جميعا هذه أخر مرة كان ذلك منى نزوة خيال واضح أنه كان ينتعش ويتحمس وبات نوبات، ويخرج في الفينة بعد الفينة من حالة تشبه الهذيان، حتى اذا عاد اليه وعيه كاملا، كان يستجمع ذكرياته ويعرض في أكثر الأحيان شزرات أفكار لعله كان منذ زمن طويل قد أنضجها وحفظها على ظهر القلب اثناء الساعات الطويلة الفارغة التي كان يقضيها في السرير منعزلا مؤرقة وأضاف يقول بلهجة جافة: طيب وداعا هل تظنون أن من السهل على أن أقول لكم:وداعا،؟ هأهأهأ ضحك ضحكة ساخرة متحسرة لأنه فكر في خرافة سؤاله واذ ألمه أنه لم يستطع التعبير عن كل ما كان يريد أن يقوله صرخ يقول بلهجة غاضبة: يا صاحب السعادة، يشرفني أن أدعوك إلى حضور جنازتى، هذا اذا رضيت أن تتنازل فتلبى الدعوة، وانني أدعوكم جميعا أيها السادة، أدعوكم أن تنضموا إلى الجنرال وأخذ يضحك، لكن ضحكه كان ضحك انسان فقد عقله، صعقت اليزابت برو كوفيفنا، فتقدمت نحوه خطوة، وأمسكت ذراعه فحدق اليها بنظرة ثابتة، وهو ما يزال يضحك ذلك الضحك نفسه الذي تجمد على وجهه آن صح التعبير هل تعلمون أنني جئت إلى هنا لأرى الأشجار؟ هذه هي الأشجار أشار إلى أشجار الحديقة بحركة من يده ليس في هذا ما يبعث على

الضحك والاستهزاء، أليس كذلك؟ ثم أضاف يقول بلهجة رصينة، مخاطبا اليزابت برو كوفيفنا: يخيل إلى أن هذا ليس فيه ما يبعث على الضحك والاستهزاء وعاد حالما على حين فجأة من جديد، ثم رفع رأسه بعد لحظة وأخذ يتفحص الحضور باحثا عن واحد منهم كان يبحث عن أوجين بافلوفتش الذي كان قريبا منه كل القرب، على يمينه، والذي لم يتحرك من مكانه ولكن هيبوليت كان قد نسي ذلك فهو يستكشف ما حوله باحثا عن الرجل فلما أبصره أخيرا هتف يقول متعجبا: ها لم تتصرف لقد ضحكت ضحكا طويلا منذ قليل، حين تصورت أنني أريد أن ألقى من نافذة بيتى خطابا يدوم ربع ساعة ألا فليكن ماثلا في ذهنك انني لم أبلغ من العمر ثمانية عشر عاما، وانى البث راقدا على فراشي واضعا رأسي على وسادتي زمنا طويلا أنظر من تلك النافذة وأفكر في جميع الأشياء التي انك تعلم أن الموتى لا أعمار لهم لقد عاودتني هذه الفكرة في الأسبوع الماضي أثناء ليلة أرق هل تريد أن أقول لك ما الذي تخشونه أكثر مما تخشون أي شيء آخر؟ انكم تخشون صدقنا رغم ما تحملونه لنا من احتقار هذه أيضا فكرة وافتني في الليل بينما كان رأسي على الوسادة أتظنين أنى أردت أن أتهكم عليك منذ قليل يا أليزابت برو كوفيفنا؟ لا لم تكن هذه نيتى أنا لم أكن أبغي الا أن أمدحك لقد قال كوليا ان الأمير عاملك معاملة طفلة هذا صحيح ولكن ماذا؟ لقد كنت

أريد أن أضيف شيئا آخر قال ذلك وخبأ وجهه في يديه وفكر لحظة ها نعم تذكرت: حين تهيأت منذ قليل للانصراف خطر بالى فجأة ما يلي: هؤلاء أناس لن أراهم مرة أخرى بعد اليوم ابدا أبدا لا ولن أرى الأشجار مرة أخرى ولن يقع بصرى بعد الآن الا على جدار الآجر الأحمر من منزل ماير أمام نافذتى فقلت لنفسي: اشرح لهم هذا كله حاول أن تفهمهم هذه حسناء رائعة الجمال وأنت رجل ميت فقدم نفسك بهذه الصفة قل لهم «ان في وسع ميت أن يتكلم بغير تحفظ، وان الأميرة ماريا ألكسييفنا أن تقول عن هذا شيئا ها ها ها ألا تضحكون ألقي هذا السؤال وهو يجيل بصره حواليه مرتابة سأقول لكم انتي اثناء رقاد رأسي على الوسادة كانت توافيني خواطر كثيرة فاقتنعت، فيما اقتنعت به، بأن الطبيعة ساخرة جدا لقد قلتم منذ قليل انني ملحد، ولكن هل تعلمون أن الطبيعة لماذا عدتم تضحكون؟ ألا انكم لقساة عتاة قال ذلك فجأة وهو يثبت على مستمعيه نظرة حزن واستياء ثم ختم كلامه قائلا بلهجة مختلفة كل الاختلاف، لهجة فيها رصانة واقتناع، كأن ذكرى أخرى قد ومضت في ذهنه: أنا لم أفسد كوليا قالت له اليزابت برو كوفيفنا معذبة: لا أحد يسخر منك، لا أحد لسوف نستدعي لك في الغد طبيبا آخر وأن الطبيب الأول قد أخطأ ولكن اجلس انك لا تقوى على الوقوف وأنت تهذى صرخت اليزابت برو كوفيفنا تقول مضطربة أشد الاضطراب

وهي تجلسه على مقعد آه ماذا نفعل له الآن؟ والتمعت على خدها دمعة صغيرة فلبث هيبوليت مذهولا خلال لحظة من الزمن، ثم رفع يده، ومدها خجلا وجلا فلمس تلك الدمعة الصغيرة، وطافت بوجهه ابتسامة طفل قال فرحا:

أنك لا تعلمين مدى ما أشعر به نحوك من.. آن كوليا يحدثنى عنك دائما بحماسة عظيمة انني أحب حماسته أنا لم أفسده هو الوحيد الذي أودعه خواطرى وأفكارى لكم تمنيت أن يشارك الجميع في هذا الميراث، ولكن لم يكن ثمة أحد، لم يكن ثمة أحد ولقد تمنيت كذلك أن أكون رجلا فعالا ذلك من حقى وما أكثر الأشياء التي كان يمكن أن أتمناها أيضا أما الآن فقد أصبحت لا أرغب في شيء، وأصبحت لا أريد أن أرغب في شيء لقد آليت على نفسي أن لا أتمنى بعد اليوم شيئا، فليبحث الآخرون بعدي عن الحقيقة نعم، ان الطبيعة ساخرة وأضاف يقول بحرارة: لماذا تخلق الطبيعة أفضل الناس لتسخر منهم بعد ذلك؟ هذا ما تعمد اليه الطبيعة: حين أظهرت البشر على الانسان الوحيد الذي عده الانسان الكامل في هذا العالم، عهدت اليه برسالة أن ينطق بأقوال كانت سبب في سفح دماء بلغت من الغزارة أنها لو سفحت مرة واحدة لخنقت الانسانية انها لسعادة أن أموت ذلك أنني اذا لم أمت فقد يطلق لسانى كذبة

رهيبة بدافع من الطبيعة أنا لم أفسد أحدا لقد أردت أن أحيا لسعادة الناس جميعا أردت أن أحيا لاكتشاف الحقيقة ونشرها كنت أنظر من نافذتي إلى جدار منزل ماير فأتصور أنه يكفيني أن أتكلم خلال ربع ساعة حتى أقنع جميع البشر، نعم، جميع البشر وهانا ذا متاح لي، مرة واحدة طوال حياتي، أن أجد نفسي على صلة لا بجميع البشر، بل بكم وحدكم، فماذا كانت النتيجة؟ لا شيء كانت النتيجة أنكم تحتقرونني هذا دليل على انني غبي أحمق، على انني امرؤ لا خير فيه ولا فائدة منه، وعلى أنني قد أن لي أن أزول وحين أزول، فلن أخلف ورائي أية ذكرى: لن أترك أي صدى، لن أترك أي أثر، لن أترك أي عمل لم أنشر أي رأي، ثم أذع أية قناعة لا تضحكوا من غبي أحمق اسوه انسوا كل شيء أرجوكم أن تسوا لا تكونوا قساة هل تعلمون انني لو لم يصبني مرض السل لانتحرت؟ كان يبدو عليه أنه يريد أن يفيض في الكلام مزيدا من الأفاضة، وأن يتحدث مدة طويلة أيضا، ولكنه لم يستطع أن يستمر، فتهاوى في مقعده، وغطى وجهه بيديه، وأخذ يبكي كطفل صغير عادت اليزابت برو كوفيفنا تكرر سؤالها: ماذا نفعل له الآن؟ هلا قلتم؟ وهرعت اليه فتناولت رأسه وشدته إلى صدرها شدة قوية كان هوليت ينشج نشيجا عنيفا قالت تخاطبه: ـ كفى كفى كفى لا تبك، كفي بكاء أنك لطفل طيب سيغفر الله لك بسبب جهلك هيا كفي كن رجلا والا شعرت بعد ذلك بخزي

وعار قال هيبوليت وهو يحاول أن يرفع رأسه: إلى هناك أخ وأخوات، صغار مساكين أبرياء ستفسد هي أخلاقهم إنك أنت قديسة أنت نفسك طفلة، فانقذيهم انتزعيهم منها انها هى عار آه ساعديهم، أنجديهمالسوف يرد الله اليك الحسنة أضعافا مضاعفة أنجديهم حبا بالله، حبة بيسوع صاحت تقول في غضب: هلا قلت لنا ما الذي يجب علينا أن نفعله الآن يا ايفان فيدوروفتش هلا تفضلت فخرجت عن صمتك الوقور المهيب اذا لم تتخذ قرارا فلأقضين الليلة كلها هنا لقد سئمت النزول على مشيئتك، والخضوع لاستبدادك كانت تتكلم بحماسة شديدة واندفاع قوي، وتطالب بجواب على الفور وفي مثل هذه الظروف يلتزم الحضور الصمت ولو كانوا كثرة، ولا يزيدون على الاهتمام السلبي والاستطلاع النائى انهم يتحاشون الافصاح عن شعورهم واعلان رأيهم، وان كانوا يبدون ذلك كله بعد مدة طويلة ولقد كان بين الحضور حينذاك أناس قد يبقون إلى مطلع الصبح دون أن ينطقوا بكلمة واحدة فهذه كانت حالة باربارا آرداليونوفا التي ظلت متنحية طوال السهرة، دون أن تفتح فاها بكلمة واحدة، ولكنها كانت في الوقت نفسه منتبهة أشد الانتباه إلى كل ما كان يقال ولعل هناك أسبابا كانت تدعوها إلى ذلك وتحضها عليه قالي الجنرال: يا صديقتي العزيزة، رأيي أن ممرضة تسهر عليه خير له من كل هذا الاضطراب الذي تضطربينه؛ ومن المفيد أن يقضي الليل هنا رجل

هادىء المزاج أهل للثقة على كل حال، يجب أن نطلب إلى الأمير أن يصدر أوامـره ثم نترك المريض فورا ليرتاح ويمكن أن نمود إلى الاهتمام به في الغد قال دوكتورنكو يسأل الأمير بلهجة حانقة لاذعة أوشك الليل أن ينتصف ونحن منصرفون فهل يأتي معنا أم يبقى عندك؟ قال الأمير تستطيعون أن تبقوا معه اذا ششم فانبرى السيد كيللر ينادي الجنرال بحماسة يا صاحب السعادة، اذا كان ينبغي أن يقضي الليل هنا رجل أهل للثقة، فاننى سيسرني أن أضحي في سبيل صديقى هذا انسان ذو نفس كبيرة لطالما عددته رجلا عظيما يا صاحب السعادة صحيح أني أنا بغير ثقافة، ولكنه هو، حين يتكلم، تساقط من فمه لآلىء، لآلىء يا صاحب السعادة أشاح الجنرال وجهه متململا برما وقال الأمير يجيب عن الأسئلة الحانقة التي ألقتها عليه اليزابت برو كوفيفنا: سوف يسرني أن يبقى أن من الصعب عليه طبيعة أن ينصرف أظن أنك تنام؟ اذا كنت لا تريد أن تتولى أمره فسأنقله إلى بيتى آه يا رب أرى أن الأمير نفسه لا يكاد يستطيع الوقوف على قدميه أتراك مريضا يا أمير؟ان اليزابت برو كوفيفنا كانت قد توقعت بعد الظهر أن ترى الأمير راقدا على فراش الموت فلما رأته قائما بالغت في تقدير ابلاله من مرضه ان نوبته الأخيرة، والذكريات الكاوية التي ترتبط بها، والمتاعب والانفعالات التي عاناها في هذه السهرة بسبب موضوع ابن بافلشتشيف، أولا، وبسبب

حالة هيبوليت بعد ذلك، أن هذا كله قد أهاج ما ينصف به من حساسية مريضة وانفعالية شديدة فاذا هو يصير الى حالة تقارب الحمى ثم ان هما جديدة، بل قل خشية جديدة أخذت تقرأ الآن في عينيه: لقد كان ينظر إلى هيبوليت في قلق كأنما هو يتوقع منه انفجارا جديدا ونهض هيبوليت على حين فجأة شاحب الوجه شحوبا رهيبا ان سحنته المنقلبة تعبر عن شعور فظيع بالعار، شعور مرهق يتجلى خاصة في النظرة المبغضة الكارهة المذعورة التي كان يجيلها على الحضور، ويتجلى في الابتسامة التائهة الزائغة الكرة الساخرة التي كانت تقص شفتيه المرتعشتين ثم خفض عينه، وجر نفسه بخطى مترنحة نحو بوردوفسكى ودكتورنكو اللذين كانا ينتظرانه عند مخرج الشرفة،وهو ما يزال يبتسم تلك الابتسامة نفسها كان يريد أن ينصرف معهم هتف الأمير يقول ذلك بعينه ما كنت أخشاه كان لا بد أن يحدث هذا فالتفت هيبوليت نحوه فجة وقد اعترته نوبة حنق مسعور ترعش جميع قسمات وجهه، وقال يخاطبه: ذلك ما كنت تخشاه؟ كان لا بد أن يحدث هذا؟ ألا فاعلم اذن أنه اذا كان هنا شخص أكرهه زأر يقول هذا الكلام بصوت حاد صافر يصاحبه رشاش العاب وأنا أكرههم جميعا جميعا فان ذلك الشخص هو أنت، أنت أنت أيها اليسوعي المنافق الرائى، المعتوه الأبله، المليونير الحسن انني أكرهك أكثر مما أكره أي انسان وأي شيء في هذا

العالم لقد أدر كت حقيقتك منذ زمن طويل فأخذت أكرهك انني منذ اليوم الذي سمعت فيه عنك نفرت منك وأبغضتك من أعماق قلبى.. أنت الذي استدرجتني إلى هذا الفخ أنت الذي اطلقت في نفى نوبة الهذيان هذه، لقد دفعت رجلا محتضرا الى أن يجلل نفسه بالخزي والعار أنت أنت المسئول عن حطتى وصغارى ودنادتى لو علمت أني سأعيش لقتلتك ما أنا في حاجة إلى احسانك لا أريد أن يحسن أحد الى هل تسمعني؟ لا أريد احسان أحد لقد أصابتني نوبة هذيانه فليس من حقك أن تستمد من هذا انتصارا اني ألمنكم جميعا، العنكم جميعا إلى الأبد دمدم ليديف يقول لأليزابت برو كوفيفنا: لقد أخجله وأخزاه أنه بكى.. كان لا بد أن يحدث هذا ما أعجب الأمير لقد قرأ قرارة نفسه وأعماق ضميره لكن اليزابت براكوفيفنا لم تتنازل أن تنظر اليه كانت منتصبة بشموخ وكبرياء، مرفوعة الرأس، تتصفح وجوه هؤلاءالناس التافهين بفضول يسوده احتقار، وحين أنهى هيبوليت كلامه، هز الجنرال منكبيه، فرمقته عندئذ بنظرة غاضبة، شملته من قمة الرأس إلى أخمص القدم، كأنها تحاسبه على هذه الحركة وتطلب منه تفسيرا لها، ثم لم تلبث أن أسرعت تلتفت إلى الأمير فتقول له شكرا يا أمير، يا صديق أسرتنا الغريب الأطوار، شكرا على هذه السهرة الممتعة التي ندين بها لك أحسب أنك الآن فرح بأنك استطعت أن تشركنا نحن أيضا في أعمالك الجنونية كفي

هذا يا صديقى، لا أقل من أن نشكر لك أنك أتحت لنا أن نعرفك حق معرفتك وبحركات حانقة غاضبة أخذت ترتب خمارها بانتظار أن ينصرف د هؤلاء الناس وفي هذه الأثناء وصلت عربة تقلهم، أتى بها ابن ليبديف، الطالب في الكلية، الذي كان دكتورنكو قد أوفده منذ ربع ساعة ليجيء بمركبة وسرعان ما اعتقد الجنرال أن من واجبه أن يضيف كلمة صغيرة إلى الأقوال التي نطقت بها امرأته، فقال: الحق يا أمير أننى أنا نفسي لم أكن أتوقع بعد كل شيء، بعد كل علاقات الصداقة التي تجمعنا وأخيرا يا أليزابت بروكوفيفنا صاحت أديلايد تقول وهي تسرع نحو الأمير وتمد اليه يدها ما هذا الذي تقولون؟ كيف يمكنكم أن تعاملوه هذه المعاملة؟ فابتسم لها الأمير ابتسامة تائهة الا ان وشوشة متعجلة لم تلبث أن لسعت أذنه لسع النار ان آجلايا هي التي دمدمت تقول له هامسة: اذا لم تطرد هؤلاء الناس الأدنياء فورا، كرهتك طوال حياتي، طوال حياتي، وأكرهك وحدك كانت تبدو خارجة عن طورها، ولكنها أشارت عن الأمير من قبل أن يتسع وقته لأن ينظر اليها على أن الشرفة كانت قد خلت من كل من يمكن طرده: كانوا قد استطاعوا أن يضعوا المريض في العربة كيفما اتفق، وكانت العربة قد تحركت منصرفة هل تعتقد أن هذا سيدوم مدة طويلة يا ايفان فيدوروفتش؟ ما رأيك؟ هل تظن أن سيكون على أن أحتمل هؤلاء الصبية الأشـرار المسيئين زمنا طويلا؟ ولكن يا

صديقتي أنا من جهتى مستعد طبعا والأمير ومد ايفان فيدوروفتش يده إلى الأمير مع ذلك، ولكنه قبل أن يتسع وقت الأمير لمصافحته، أسـرع يجرى وراء اليزابت برو كوفيفنا التي كانت تهبط درجات الشرفة مظهرة غضبها في صخب أما آديلائيد وخطيبها وألكسندرا فقد ودعوا الأمير بمودة صادقة، وكان أوجين بافلوفتش معهم، وهو الشخص الوحيد الذي كان مشرق المزاج منشرح النفس وقد دمدم يقول بابتسامة فيها أكبر التلطف حدث ما كنت أتوقعه ولكن من المؤسف يا صديقي المسكين أنك قد أصابك من ذلك ألم وعذاب وخرجت آجلايا دون أن تودع الأمير على أن هذه السهرة كانت تهيىء مفاجأة جديدة لقد كان على اليزابت بروكوفيفنا أن تقع لها مقابلة ما كان يمكن أن تدور في خلد أحد فقبل أن تصل إلى أسفل السلم المفضي إلى الطريق الذي يدور حول الحديقة كانت تجري أمام فيللا الأمير مركبة باهرة هي عربة فخمة يجرها حصانان أبلجان، وفيها سيدتان ترتديان أجمل حلة، فما أن صارت العربة على مسافة عشرة أمتار من الفيللا حتى وقفت فجأة، والتفتت احدى السيدتين بحركة سريعة كأنها لمحت شخصا تعرفه هي في حاجة ملحة إلى أن تراه بسرعة وصاحت السيدة تقول بصوت واضح متناغم: أوجين بافتش أهذا أنت؟ فارتعش الأمير لهذه الصرخة، ولعل أحدا آخر قد ارتعش أيضا وتابعت السيدة كلامها تقول: ما أسعدني بالعثور عليك

أخيرا لقد أوفدت إلى المدينة رسولين ظلا يبحثان عنك طوال النهار فلم يظفرا بطائل تسمر أوجين بافلوفتش في وسط السلم كأن صاعقة قد نزلت عليه وتوقفت اليزابت برو كوفيفنا في مكانها أيضا، ولكن دون أن يظهر عليها ما ظهر عليه هو من علائم الذهول ورمقت السيدة الوقحة بنظرة فيها ذلك التعالي الشديد نفسه وذلك الازدراء الكبير نفسه الذي اشتملت عليه نظرتها إلى أولئكالتافهين، منذ قليل، ثم سرعان ما حولت بصرها إلى أوجين بافلوفتش متفحصة مستفهمة تابع ذلك الصوت نفسه يقول: لدي نبأ يجب أن أزفه اليك لا تقلقنك سندات كوبفر لقد البى روجويين طلبى فاشتراها بفائدة ثلاثين في المائة فتستطيع أن تطمئن خلال ثلاثة أشهر على الأقل أما بيسكوب وسائر أولئك الأوباش فسنتفق معهم آخر الأمر على حل بغير خصام معنى ذلك أن الأمور كلها تجرى على ما يرام فابتهج وافرح إلى اللقاء غدا واستأنفت العربة جريها ولم تلبث أن غابت هتف أوجين بافلوفتش يقول وقد احمر وجهه استياء وأخذ يلقي على ما حوله نظرات دهشة وذهول: هذه مجنونة اني لأجهل كل الجهل ماذا أرادت أن تقول ماتلك السندات التي تكلمت عنها؟ من هي هذه المرأة؟ حدقت اليزابت برو كوفيفنا اليه ثانيتين أخريين، ثم استدارت واتجهت نحو منزلها يتبعها ذووها وعاد أوجين بافلوفتش إلى الأمير في الشرفة بعد دقيقة وكان الأمير في حالة انفعال شديد واضطراب قوى ألا تدري حقا ماذا كان

معنى ذلك يا أمير؟ فأجابه الأمير متأثرا هو نفسه تأثرا مؤلما لا أدري لا؟ لا قال أوجين بافلوفتش وهو ينفجر ضاحكا أنا أيضا لا أدري ان قصة السندات هذه لا تخصني ولا شأن لي بها، أقسم لك على ذلك ولكن ماذا بك؟ كأني بك تتهاوى لا لا أؤكد لك أن لا.

الفصل العاشر

انفضت ثلاثة أيام قبل أن يهدأ حنق آل اباتشين هدوءا كاملا وكان الأمير، على عادته، ينسب إلى نفسه كثيرا من الأخطاء وينتظر صادقا أن يعاقب ومع ذلك كان قد اقتنع في هذه المرة، منذ البداية، أن اليزابت برو كوفيفنا لا يمكن أن تكون قد غضبت منه هو، وأنها انما غضبت من نفسها لذلك احتار أشد الحيرة وحزن أكبر الحزن حين رأى أنهم ظلوا حاقدين عليه ثلاثة أيام وهناك أحداث أخرى عديدة غذت قلقه في أثناء ذلك وكان أحد تلك الأحداث خاصة هو الذي أهاج مزاجه الشكاك وطبعه الرياب شيئا بعد شيء خلال هذه الأيام الثلاثة كان الأمير يؤاخذ نفسه في الآونة الأخيرة على أنه يترجح بين حدين أقصين، فهو تارة واثق ثقة سخيفة في غير محلها وهو تارة شديد الشك والحذر والريب إلى درجة مظلمة دنيئة، المهم أنه في نهاية اليوم الثالث كانت حادثة السيدة الغريبة الأطوار التي أطلت من عربتها الفخمة ونادت أوجين بافلوفتش، كانت هذه الحادثة قد تضخمت في نفسه واتخذت أبعادا مخيفة محيرة ملغزة وكان اللغز يترجم عن نفسه في ذهنه ناهيك عن وجوهه الأخرى بالسؤال

التالي: أتقع تبعة هذاالعمل الشاذ، الجديد على عاتقه هو أم تقع تبعته على عاتق لكنه كان لا يمضي الى حد النطق باسم أما الأحرف الأولى من الاسم، وهي: نوف، ب، فلم تكن في اعتقاده إلا مزاحا بريئا من مزاحات الأطفال لا يستطيع المرء أن يتلبث فكره عندها اذا هو لم يشأ أن يقع في الخزي والعار على أن الأمير قد سعد، في غداة تلك السهرة الفاضحة التي كان يعد نفسه سببها، الرئيسي، قد سعد بزيارة الأميرشتش، وآديلائيد اللذين كانا عائدين من نزهة في الصباح، فمرا به قائلين انهما يريدان خاصة، أن يستطلعا أخبار صحته وقد لاحظت آديلائيد أثناء دخولها في الحديقة شجرة قديمة رائعة كثيفة مجوفة الجذع كثيرة التشقق تحمل أغصانها الطويلة ذات العقد أوراقا فتية نضيرة، فأصرت اصرارا شديدا على أن ترسمها، ولم تكد تتكلم أثناء الزيارة التي دامت نصف ساعة الا عن هذه الشجرة وأبدى الأميرشتش، كثيرا من التحبب والتودد وكان كيسا لبقا على عادته سأل الأمير عن الماضي وأيقظ ذكرى الأحداث التي يرجع عهدها إلى أولى العلاقات التي قامت بينهما، حتى انه لم يكد يتكلم عما جرى في الليلة البارحة ونفد صبر آديلائيد أخيرا فاعترفت مبتسمة بأنهما جاءا اليه خفية، ولم تزد على ذلك شيئا، غير أن هذا الاعتراف كان كافيا لافهام الأمير أن أبويها، ولا سيما اليزابت برو كوفيفا ليسا راضيين عنه ومع ذلك لم ينبس الأميرشتش، ولا نست

آديلائيد، أثناء زيارتهما، بكلمة واحدة عن الجنرالة، ولا عن آجلايا، حتى ولا عن ايفان فيدوروفتش وحين انصرفا لاتمام نزهتهما لم يدعوا الأمير إلى اصطحابهما أما أن يدعواه إلى زيارتهما فذلك أمر لم يكن محل بحث أصلا وقد أفلتت من أديلايد بهذه المناسبة عبارة ذات دلالة، فانها اذ تكلمت عن لوحة من لوحاتها المرسومة بالألوان المائية وأظهرت رغبتها فجأة في أن يراها الأمير، قالت:ما السبيل إلى أن أستطيع أن أريك الصورة في وقت أقرب؟ اسمع سأرسلها اليك هذا اليوم نفسه مع كوليا اذا جاء إلى دارنا، أو أجيئك بها أنا نفسي غدا أثناء نزهتي مع الأمير، وقد أسعدها، حين أوحت بهذه الفكرة، أن تكون قد وقت إلى حل المسألة حلا حاسمة يرضى الجميع وفي لحظة التوديع تقريبا بدا على الأمير هشتش..، أنه تذكر شيئا ما على حين فجأة قال يسأل الأمير بالمناسبة، ألا تعرف يا عزيزى ليون نيقولا يفتش، من تلك السيدة التي نادت أوجين بافلوفتش أمس من عربتها؟ قال الأمير هى ناستاسيا فيليبوفنا؟ ألم تتعرفها؟ لكنني لا أدري مع من كانت قال الأميرشتش، بحرارة أعرفها لأني سمعت عنها؟ ولكن بماذا صاحت؟ أعترف لك بأن ما قالته كان في نظري لغزا في نظري أنا وفي نظر الآخرين أجابه الأمير بكثير من البساطة تكلمت عن سندات على أوجين بافلوفتش لا أدري ما هي؛ وقالت ان هذه السندات قد انتقلت تلبية لطلبها من

يدي مراب إلى يدي روجويين الذي سيمهل أوجين بافلوفتش فترة من الوقت ذلك ما سمعته يا عزيزي الأمير، لكنه ليس معقولا أن أوجين بافلوفتش لا يمكن أن يكون قد وقع أي س ند انه غني جدا صحيح أن هذا حدث له في الماضي بسبب خفته وطيشه.. أما أن يكون رجل له ثروة طائلة كثروته، قد وقع سندات المراب من المرابين وأصبح قلقا لاقتراب موعد دفعها، فذلك شيء مستحيل ثم انه لشيء مستحيل أيضا أن تكون العلاقة بينه وبين ناستاسيا فيليبوفنا حميمة إلى هذا الحد، وأن نرفع بينهما الكلفة فاذا هي تخاطبه بصيغة المفرد دون تحرج ذلك هو اللغز الرئيسي انه يحلف بأغلظ الأيمان أنه لا يفهم من ذلك شيئا البتة، واني لأصدقه كل التصديق لذلك رغبت أن أسألك ياعزيزى الأمير هل تعرف عن هذا الأمر شيئا أقصد هل وصلت إلى مسامعك شائعة من الشائعات مثلا؟ لا، لا أعرف عن هذه القضية شيئا، وأؤكد لك أني لا شأن الى بها ما أغربك اليوم يا أمير حقا انني أنكرك ولا أعرفك هل يمكن أن يكون قد خطر ببالي أن لك مشاركة ما في قضية كهذه القضية؟ دعك.. أنت اليوم في غير حالتك الطبيعية قال له ذلك ثم عانقه وقبله قال ليون نيقولا يفتش مشاركة ما في قضية كهذه القضية،؟ ولكنني لا أرى هنا أية قضية أجاب الأمير شتش، بلهجة جافة ليس هناك أي شك في أن هذه المرأة قد أرادت الاساءة إلى أوجين بافلوفتش، بطريقة من

الطرق، مسندة اليه، أمام شهود، أعمالا ليست أعماله ولا يمكن أن تكون أعماله بدا الاضطراب على الأمير ليون نيقولايفتش، لكنه ظل يحدق إلى محدثه بنظرة مستفهمة وظل محدثها صامتا لا يتكلم فدمدم الأمير يقول أخيرا بلهجة فيها شيء من نفاد الصبر ولكن أليست المسألة مسألة سندات فحسب؟ ألم يكن مدار الكلام أمس على سندات لا أكثر؟ ـ غريب. انني أقول لك الأمر وما عليك الا أن تحكم بنفسك: ما عسى أن يكون هنالك من شيء مشترك بين أوجين بافلوفتش وبين تلك أو بينه وبين روجويين أيضا؟ أعود فأقول لك انه يملك ثروة طائلة أنا أعرف هذا من مصدر مطلع موثوق به وهو عا ذلك متأكد أنه سيرث من عمه كل ما في الأمر أن ناستاسيا فيليوفنا .

.. قطع الأميرشتش، كلامه من جديد : كان واضحا أنه لا يريد أن يقول عن المرأة الشابة أكثر مما قال فسأله ليون نيقولا يفتش فجأة بعد لحظة صمت: ألا يبرهن هذا على أنه يعرفها، على كل حال؟ جائز جدا هو رجل متنقل الهوى مولع بالمباهج مهما يكن من أمر، فهما اذا كانا قد تعارفا فانما تعارفا في الماضي لا بد أن تعارفهما يرجع عهده إلى سنتين أو ثلاث سنين كان في ذلك الأوان ما يزال على صلة بنوتسكى أما الآن فلا يمكن أن يجمعهما شيء وكيف كان الأمر فان الصلة بينهما لم تكن في يوم من الأيام حميمة إلى الحد

الذي يسمح لهما بأن يتخاطبا بصيغة المفرد أنت نفسك تعلم أنها كانت غائبة إلى هذه الآونة الأخيرة، وأنها ظلت مختفية لا يعثر عليها أحد وما يزال كثير من الناس يجهلون أنها عادت لم ألاحظ عربتها الا منذ ثلاثة أيام قالت آديلائيد: عربة فخمة نعم فخمة وانصرف الزائران وهما يظهران الأمير أرق العواطف، حتى لكأنه أخوهما خرجت للأمير من هذه الزيارة اشارة هامة صحيح أنه اشتبه في الأمر اشتباها قويا منذ الليلة البارحة وربما قبل ذلك، لكنه لم يكن قد جرؤ حتى الآن أن يرى أن مخاوفه في محلها أما الآن فقد اتضحت له الأمور: ان الأميرشتش على تأويله الحادث تأويلا خطأ، يقارب الحقيقة مع ذلك، ويحزر على كل حال أن ثمة مكيدة قال الأمير يحدث نفسه ولعله يدرك الأمر ادراكا صحيحا بينه وبين نفسه، ولكنه لا يريد اعلان ادراكه ويتعمد تأويل الحادث تأويلا خطأ هناك شيء يخطف الانتباه خاصة هو أنهما جاما لاسيما الأمير شتش آملين أن يحصلا على ايضاح ما؛ وهذا يعني انهما يعدان الأمير ضالعا في المكيدة ثم اذا كانت القضية هي هذه، وكان لها هذا الخطر كله، فذلك دليل على أن تلك المرأة، تسعى إلى هدف رهيب ولكن ما هو ذلك الهدف؟ سؤال فظيع وكيف يمكن صرفها عنه؟ ان من المستحيل ايقافها عن بلوغ غاياتها وتحقيق أهدافها ذلك أمر يعرفه الأمير بالتجربة هي مجنونة مجنونة ولكن ما أكثر هذه الأسرار

التي تزاحم في تلك الصيحة من اليوم انها تقتضى أن توضح كلها على الفور، وذلك ما أغرق الأمير في ذهول عميق. وجاءت فيرا ليبديفا حاملة ليوبوشكا بين ذراعيها، ضرى عنه ذلك قليلا وظلت تثرثر بعض الوقت مرحة، ثم جاءت أختها الصغرى فلبثت فاغرة الفم من الدهشة، ووصل أخيرا ابن ليبديف، الطالب في المدرسة الثانوية، فأكد له أن كوكب الأفسنتين، الذي تذكره رؤيا يوحنا أنه سقط من السماء على الأرض عند ينبوع المياه انما هو في رأي أبيه تنبؤ بشبكة خطوط السكة الحديدية التي تمتد اليوم على أرض أوروبا لم يشأ الأمير أن يؤيد هذا الزعم، واتفق على أن يسأل ليبديف نفسه في هذا الأمر لدى أول مناسبة روت فيرا ليديفا للأمير أن كيلبر قد أقام عندهم منذ أمس، وأضافت أن جميع الظواهر تدل على أنه لن يغادر هم قريبا، لأنه وجد ههنا مجتمعة يناسبه، وانعقدت صداقة بينه وبين الجنرال ايفولجين وقد أعلن أنه لا يمكث عندهم الا ليكمل تعليمه ويحسن ثقافته أخذ الأمير، على وجه العموم، يزداد سرورة بصحبة أولاد ليبديف يوما بعد يوم ولم يظهر كوليا في ذلك النهار: فانه قد ذهب الى بطرسبرج في ساعة مبكرة من الصباح وكان ليبديف قد سافر منذ الفجر هو أيضا لأعمال شخصية غير أن الزيارة التي كان الأمير ينتظرها نافد الصبر انما هي زيارة جبريل آردااليونوفتش الذي كان لا بد أن يجيء في أثناء النهار وقد وصل بين

الساعة السادسة والساعة السابعة، بعد العشاء فورا فلما رآه أخيرا اعتقد أنه أمام شخص لا بد أن يعرف جميع خفايا الأمر حق معرفتها وكيف يمكن أن لا يعرف جانيا جميع خفايا الأمر وهو الذي يملك مساعدين مثل باربارا آرداليونوفنا وزوجها؟ غير أن العلاقات بينه وبين الأمير كانت تتسم بطابع خاص بعض الشيء صحيح أن الأمير قد كلفه بقضية بوردوفسكى ورجاه ملحا أن يهتم بها ولكن رغم علامة الثقة هذه، ورغم ما جرى بينهما قبل ذلك، تبقى هنالك موضوعات يتحاشيان التحدث فيها ويتجنبان الكلام عنها، وذلك بنوع من اتفاق صامت كان الأمير يحس في بعض الأحيان أن جبريل آرداليونوفتش يتمنى من جهته لو تنعقد بينهما صداقة وتقوم بينهما صراحة بغير حدود. هه وفي هذا الصباح مثلا، حين رآه داخلا، شعر بأن جانبا يعتقد أنه قد آن الأوان لتحطيم الجليد وتحقيق التفاهم في جميع الأمور كان الزائر مع ذلك متعجلا، فلقد كانت أخته تنتظره عند ليبديف لشأن ملح يجب أن يسوياه بينهما ولكن لائن توقع جانبا حقا أن يلقى عليه الأمير وابلا من أسئلة متعجلة، وأن يكشف له عن أمور كثيرة على غير ارادة منه، وأن يفضى اليه بما يعتلج في قرارة نفسه، فقد أخطأ خطأ كبيرا لقد ظل الأمير طوال مدة الزيارة التي دامت عشرين دقيقة، ظل غارقا في خواطره، حتى ليكاد يكون ذاهل ولم يلق الأسئلة المتوقعة، أو قل لم يلق السؤال الهام الذي كان ينتظره

جانيا لذلك ارتأي جانيا أن من المناسب أن يتحفظ هو أيضا فلا يسترسل صحيح أنه ظل طلق اللسان كثير الكلام، ولكنه في ثرثرته الخفيفة المترددة اللطيفة، تحاشي أن يلامس النقطة الأساسية روى فيما روى أن ناستاسيا فيلسوفنا لم تصل إلى بافلوفسك الا منذ أربعة أيام، وأنها قد جذبت أنظار الناس وأثارت انتباههم وذكر أنها تقيم عند داريا ألكسيفنا، في منزل صغير مريح بشارع البحارة ولكن مركبتها تكاد تكون أفخم مركبة في بافلوفسك وقد احتشد حولها منذ الآن جمهور من المولهين، فيهم الشباب وفيهم الشيوخ؛ وثمة فرسان يواكبون مركبتها في بعض الأحيان وهي على عادتها شديدة التدقيق في اختيار معارفها، فلا ترضى أن يكون يقربها الا صفوة منتقاة غير أن هذا لا ينفي أنها محاطة بما يشبه أن يكون فصيلة من الحرس مستعدة للدفاع عنها أتم الاستعداد منى مسست الحاجة إلى ذلك وبسيها فسخ خطوبته رجل من المزارعين في بافلوفسك، وكاد جنرال عجوز أن يلعن ابنه وهي تصطحب أثناء نزهاتها بالمركبة، وفي كثير من الأحيان، فتاة بارعة الجمال في السادسة عشرة من عمرها تمت بقربي بعيدة إلى داريا ألكسيفنا والفتاة موهوبة في الغناء، فصوتها يجتذب انتباه أهل الحى الى منزلهم في المساء هذا وان ناستاسيا فيليبوفنا تعنى بهندامها أشد العناية فملابسها بسيطة، لكنها في غاية الذوق والأناقة، فاذا أضفنا إلى ذلك جمالها ومركبتها

أدركنا لماذا تثير غيرة جميع السيدات وأفلت لسان جانبا فقال: أما حادث الأمس السخيف فلا شك في أنه مدبر، ولا يمكن أن تكون هي المسئولة عنه، فيجب أن يعرف الجاني، والا تجنى الناس عليها وقالوا فيها سوءا، وذلك ما سيحدث قريبا على كل حال كان يتوقع أن يسأله الأمير لماذا يرى أن حادث الأمس أمر مدبر، ولماذا يعتقد أن الناس لن يلبثوا أن يقولوا في ناستاسيا سوءا ولكن الأمير لم يلق أي سؤال عن هاتين النقطتين وذكر جانيا بعد ذلك معلومات مفصلة عن أوجين بافلوفتش، دون أن يكون الأمير قد سأله عن شيء من ذلك أيضا وان كلام جانيا عن أو جين بافلوفتش لأمر غريب، لا سيما وأنه كان يقحم في الحديث اقحامة قال جانيا فيما قال: أنه يعتقد أن أوجين بافلوفتش لم تكن بينه وبين أناستاسيا فيليبوفنا علاقات في يوم من الأيـام؛ وانه حتى في الوقت الحاضر لا يكاد يعرفها فقد قدمت اليه مرة واحدة منذ ثلاثة أيام أو أربعة أثناء النزهة ومن المشكوك فيه أن يكون قد زارها في بيتها مرة واحدة ولو بصحبة أشخاص آخرين أما مسألة السندات فمن الجائز أن تكون صحيحة حتى ان جانيا بعدها أكيدا صحيح أن أوجين بافلوفتش يملك ثروة كبيرة، غير أن شيئا من الفوضى يسيطر على ادارة أملاكه، وانقطع جانيا عن الكلام في هذا الموضوع الغريب، ثم لم يزد شيئا عن فعلة ناستاسيا فيلسوفنا بالأمس، عدا الاشارة التي ساقها من قبل وأخيرا

جاءت باربارا آرداليونوفنا تبحث عن جانيا، لكنها لم تمكث عند الأمير الا دقيقة واحدة استطاعت خلالها أن تبلغه دون أن يسألها عن شيء أيضا أن أوجين بافلوفتش يقضي هذا اليوم فى بطرسبرج وقد يقضى بها الغد أيضا، وان زوجها ايفان بتروفتش بتسين هو الآن فى بطرسبرج فأغلب الظن أنه ذهب إلى هناك للاهتمام بشئون أوجين بافلوفتش واضح أن في الأمر شيئا وأضافت الى هذا عند انصرافها أن اليزابت بروكوفيفنا معتكرة المزاج في هذا اليوم فهي ترهق من حولها أشد الارهـاق وأن آجلايا وذلـك شيء أغـرب قد تشاجرت مع الأسرة كلها، لا مع أبيها وأمها فحسب، بل مع أختيها أيضا ليس ذلك بالأمر الحسن بتاتا حتى اذا فرغت من ذكر هذا النبأ ذكرة يشبه أن يكون عارضا وهو نبأ له في نظر الأمير شأن خطير كل الخطورة انصرفت هي وأخوها ولم يقل جانيا كلمة واحدة عن قضية ابن بافلشتشيف سواء من باب اظهار التواضع، أو بغية مداراة عواطف الأمير غير أن ذلك لم يمنع الأمير من أن يشكر له، مرة أخرى، ما تحمله من مشقة وما تكلفه من عناء لانهاء تلك القضية اسرة الأمير أعظم السرور حين صار وحيدا، فهبط من على الشرفة واجتاز الطريق إلى الحديقة كان يريد أن يفكر، وكان هناك قرار يجب عليه أن يتخذه، وهو قرار من تلك القرارات التي لا يفكر المرء فيها، وانما يعزم أمره عليها دفعة واحدة وها هو ذا تستولى عليه

رغبة مفاجئة رهيبة في أن يدع كل شيء في مكانه، فينصرف مسرعا حتى دون أن يودع أحدا، ويرجع إلى حيث كان في البعد والعزلة كان يوجس أنه اذا بقي في بافلوفك ولو بضعة أيام أخرى، فسيغوص في هذه البيئة غوصا لا مخرج له منه بعد ذلك قط غير أنه لم يهب لنفسه عشر دقائق من التفكير، ولم يلبث أن أيقن أن الهروب مستحيل، وأنه يكاد يكون جبنا وحقارة ان من طبيعة المشكلات المطروحة عليه أنه لا يحق له أن لا يحلها أو على الأقل أن لا يقف جميع جهوده على ايجاد حل لها وعلى هذه الحال النفسية انما عاد الأمير إلى بيته دون أن يتنزه أكثر من ربع ساعة وشعر في تلك اللحظة أنه شقى أكبر الشقاء وكان ليبديف غائبة فاستطاع كادر أن يدخل على الأمير أثناء السهرة لم يكن كيللر سكران، لكنه كان في حالة نفسية تحضه على البوح والمسارة والنجوى فسرعان ما أعلن للأمير أنه جاء اليه ليقص عليه قصة حياته كاملة، فعلى هذه النية انما بقي في بافلوفسك، ولو أراد الأمير أن يطرده لما استطاع إلى ذلك سبيلا، ولرفض الرجل أن ينصرف كل الرفض ولقد أراد أن يندفع في حديث طويل مفكك، ولكنه ما أن قال بضع كلمات حتى انتقل الى الخاتمة فاعترف بأنهامرؤ لم يبق له ذرة من خلق، وما ذلك إلا بسبب زوال اعتقاده بالله حتى أنه بلغ من هذا حد الاقدام على السرقة قال: هل تستطيع أن تتصور أمر كهذا؟ قال الأمير: اسمع يا كيلر، لو كنت في مكانك

لما اعترفت بهذا، الا في حالة الضرورة المطلقة ثم ان من الجائز جدا أن تكون الآن متجنية على نفسك عن عمد أنا لا أقول هذا الأ لك أنت، لك أنت وحدك، وليس لي من ذلك الا هدف واحد هو أن أحاول الارتقاء بأخلاقي لن أتحدث عن هذا الأحد، وسأحمل سرى الى قبري ولكن ليتك تعلم يا أمير مدى صعوبة الحصول على مال في عصرنا هذا أين لي بالمال؟ اسمح لي أن ألقي عليك ذلك السؤال أن المرء لا يسمع الا جوابا واحدة:هات لنا ذهبا وماسا فنقرضك على رهن.. والذهب والماس هما ما يعوزني هل تستطيع أن تصور هذا؟ ولقد غضبت آخر الأمر فقلت بعد لحظة:وهل تقرضوتنى مالا برهن أحجار زمرد؟، فقالوا:نعم، نقرض مالا برهن أحجار زمرد،، فقلت وأنا أتناول قبعتي لأخرج:هذا حسن شيطان يأخذكم، يا لكم من أوغاد، أقسم لك هل كنت تملك اذن أحجار زمرد؟ أحجار زمرد؟ آه يا أمير انك ما تزال تنظر الى الحياة نظرة فيها هدوء وبراءة وسذاجة يمكن أن توصف بأنها ريفية كان شعور الأمير بالخجل من سماع مسارات كير أكبر من شعوره بالشفقة عليه ومضت في ذهنه فكرة تساءل:ألا يمكن أن يصنع من هذا الانسان شيء بأحداث تأثير حسن فيه؟ لكنه استبعد الأسباب شتى أن يكون هذا التأثير الحسن تأثيره هو، لا من باب التواضع بل بسبب طريقته الخاصة في مواجهة الأمور، وشيئا فشيئة استغرقا في الكلام وبلغا من الاهتمام بالتحادث

معا أنهما لم يخطر ببالهما أن يفترقا وأسرع كيلر يعترف بأفعال يتراءى للمرء أن من المستحيل على أحد أن يعترف بها وكان يؤكد عند كل اعتراف بأنه نادم ندما صادقا وبأن عينيه تفضان دموعا،، غير أن ذلك لم يمنعه من أن يعرض أخطاءه بلهجة اعتزاز، وأن يعرضها في بعض الأحيان عرضا فيه من قوة الهزل وشدة الإضحاك أنه والأمير قد انتهيا إلى الإغراق في ضحك تضحك المجانين قال الأمير أخيرة: المهم أن فيك ثقة كثقة الأطفال وأن لك صراحة يندر مثلها هل تعلم أن هذا كاف لحمل المرء على أن يغفر لك أمورا كثيرة؟

فقال كير مؤيدة كلام الأمير وقد رق قلبه من التأثر: نفسى نبيلة، نبيلة وذات شهامة ولكن المسألة يا أمير أن هذا النبل لا يوجد الا وجودة مثاليا، فوجوده وجود بالقوة الا بالفعل أن صح التعبير أنه لا يتحقق في الواقع أبدا ولم هذا؟ ذلك ما لا أفهمه لا تيأس يمكن أن نقول الآن على وجه اليقين انك قد كشفت الى عن قرارة نفسك يخيل إلى على الأقل أنه يستحيل أن يضاف أي شيء إلى ما كشفت لي عنه أليس هذا صحيحة؟ فصاح كيلر يقول بلهجة اشفاق ورحمة: يستحيل؟ أه يا أمير انك ما تزال تحكم على الناس بأفكار هي أفكار رجل سويسرى قال الأمير متحيرة مدهوشة: هل يمكن أن يكون ثمة أشياء تضاف إلى ما ذكرته؟ ولكن هلا قلت لي يا كيللر ما الذي كنت تنتظره

مني حين بحت لي بهذه الأمور، ولماذا جئت إلى؟ ما الذي كنت أنتظره منك؟ أولا: ان البساطة نفك سحرها وفتها، وان المرء ليجد متعة في الحديث معك برهة من الزمن انى أعرف على الأقل أن أمامي رجلا يمتاز بفضيلة لا سبيل إلى الشك فيها؛ وثانيا ثانيا لم يكمل كير كلامه قال الأمير بلهجة فيها كثير من الجد وفيها صراحة يمازجها شيء من حياء: لعلك كنت تريد أن تقترض منى مالا؟ فارتعش كيللر وحدق إلى عيني الأمير مشدوهة، وضرب المائدة بقبضة يده ضربة قوية وقال: هذه بعينها طريقتك في افهام الناس آه يا أمير ان لك براءة وسذاجة لم يعرف العصر الذهبي مثلهما، ثم اذا بنفاذك السيكولوجى العميق يخترق المرء اختراق السهم، ولكن اسمح لي يا أمير هذا أمر يحتاج إلى تفسير ذلك أنني مذهول حقا صحيح أن نيتي كانت هي أن أقترض منك مالا، ولكنك ألقيت على السؤال وكأنك لا تجد في هذا ما يستحق المؤاخذة فكأن الأمر طبيعى تماما نعم، هو منك طبيعى تماما وهذا لا يثيرك؟ ولماذا يجب أن يثيرني؟ أصغ إلى يا أمير: لقد بقيت في بافلوفسك منذ مساء أمس، أولا بسبب اعتبارى العظيم للأسقف الفرنسي بورد الو لقد فتحت زجاجات عند ليبديف حتى الساعة الثالثة من الصباح، وثانية خاصة أقسم لك بجميع الصلبان أنني أقول الحقيقة لأني أردت أن أبوح لك بحقيقة أمري كاملة صادقة بغية الارتقاء بأخلاقي وعلى

هذه الفكرة أنما نمت ممتلىء العينين بالدموع في نحو الساعة الرابعة من الصباح هل تصدق الآن انسانة زاخر النفس بالمشاعر السامية والعواطف النيلة؟ انني حين غفوت غارقة بالدموع في الداخل والخارج على السواء ذلك انني بكيت ناشجا، فأنا أتذكر هذا قد هاجمتني فكرة جهنمية، فتساءلت:ماذا لو افترضت منه مالا بعد أن أعترف له؟، وعلى هذا النحو انما أعددت اعترافي طبقة صغيرة من طعام أضع فيه حشائش مشهية وأرشه بدموع سخية، وأهيئه الاثارة عاطفتك واقتراض مائة وخمسين روبلا ألا تجد في هذا حطة وصغارة؟ لا شك عندي في أن الأمور قد جرت على هذا النحو، ولا تعدو المسألة أن تكون تصادفا فكرتان التقتا في ذهنك عرضا هذه حادثة شائعة جدا قد ألفتها وتعودتها أنا نفسي واعتقد أن هذا غير حسن هل تعلم يا كيللر أن ذلك هو الشيء آخذه على نفسي؟ أن ما قلته الأن عن نفسك، يمكن أن أقوله أنا عن نفى. وتابع الأمير كلامه يقول بلهجة انسان تهمه هذه المسألة كثيرا، فهو يفكر فيها تفكير عميقا حتى لقد اتفق لي أن قدرت أن جميع الناس هم على هذه الشاكلة، وعددت ذلك دليلا على براءتي مما أتهم به نفسى، اذ لا شيء أصعب على المرء من مناهضة هذه الأفكار المزدوجة انني أقول هذا عن خبرة وتجربة لا يدري الا الله من أين تجيء هذه الأفكار المزدوجة ولا من أن تنبجس ولكن هأنت ذا تصف ذلك بأنه

حطة وصغار سيكون على اذن أن أعود إلى التخوف من مثل هذه الظاهرة على كل حال، لست أهلا لأن أحكم عليك، مع ذلك لا أحسب أن كلمة الحطة أو الصغار هي هنا في محلها ما رأيك؟ لقد عمدت إلى المكر والحيلة محاولا أن تبتز منى بدموعك مالا، ولكنك تحلف أنت نفسك أن اعترافك كان له هدف آخر، هدف نبيل منزه عن الغرض مبرأ من المنفعة أما المال فقد كنت تريده لتقصف وتلهو، أليس كذلك؟ وهذا، بعد اعتراف كالاعتراف الذي أقدمت عليه، هو سقوط أخلاقي طبعا، ولكن أنى للمرء أن يتخلص من مجون أصبح فيه عادة راسخة؟ ذلك مستحيل وماذا اذن؟ أن من الأفضل أن يعمد المرء في مثل هذا الأمر إلى حكم ضميره. ما رأيك؟ كان الأمير يحدق إلى كير بنظرة متحيرة إلى أقصى حدود التحيره كان واضحا أن مسألة ازدواج الفكر تشغل باله منذ زمن طويل صاح كيللر يقول: بعد أقوال كهذه الأقوال التي أسمعها منك، أصبحت عاجزة عن أن أفهم كيف أمكن أن يصفوك بأنك أبله فاصطبغ وجه الأمير بحمرة خفيفة ان الواعظ بوردالو لم يراع صاحبه، أما أنت فقد راعيتى وحكمت على حكما انسانيا فمن أجل أن أعاتب نفي، ومن أجل أن أبرهن لك على مدى تأثرى، فانى أعدل عن المائة وخمسين روبلا، وأكتفي بخمسة وعشرين، فهذا هو المبلغ الذي أحتاج اليه، مدة أسبوعين على الأقل لن أعود لأسألك مالا قبل انقضاء خمسة عشر

يوما لقد أردت أن أسر آجاشكا، ولكنها لا تستحق ذلك كثيرا آه يا أميري العزيز ألا فليبارك الله فيك هنا دخل ليبديف عائدة من بطرسبرج فلما رأى ورقة بخمسة وعشرين روبلا في يدى كيللر قطب حاجبيه غير أن كيلر، وقد ملك المال، لم يلبث أن انصرف، فسرعان ما أخذ ليبديف يكيل له الذم فقال له الأمير أخيرا: انك تظلمه لقد ندم ندما صادقا ولكن ما قيمة ندمه؟ هو كندمي بالأمس:أنا منحط هذه كلمات ماذا؟ أكانت هذه كلمات لا أكثر؟ لقد ظننت أنا اسمع لك، لك وحدك سأقول الحقيقة، لأنك تنفذ إلى قرارة قلب الانسان: أن الأقوال والأفعال، أن الأكاذيب والحقائق، تختلط عندي بصدق كامل ففي الحقائق والأفعال انما يتجلى ندمي وتتجلى نوبتى، صدقني أو لا تصدقنى يمينا أن الأمر كذلك أما الأقوال والأكاذيب فانها تأتيني من فكرة جهنمية لا تبرح ذهنى بها أحس اننى مدفوع الى خداع الناس والاستفادة حتى من دموع الندامة والتوبة أحلف لك بشر في أن الأمر كذلك ما كان لي أن أقول هذا الكلام الشخص آخر غيرك، والا لضحك أو لبصق اشمئزازا أما أنت يا أمير فسوف تحكم على حكما انسانيا هتف الأمير يقول هذا الكلام نفسه قد قاله إلى الآخر؛ ويبدو عليكما كليكما أنكما تعتزان وتتباهيان لست أفهم، ولكن الأخر أصدق منك، أنت الذي تجعل الكذب حرفة لك هيا كفى رياء وتصنعا يا ليديف لا تضع يدك على قلبك أليس لديك ما تحب أن تقوله لي؟

انك لم تأت إلى بغير هدف ذ البديف يجد وجهه ويلوي جسمه قال الأمير لقد انتظرتك طوال النهار لألقى عليك سؤالا قل لى الحقيقة من أول كلمة، ولو مرة واحدة في حياتك ألم تشارك مشاركة ما في حادثة المركبة أمس؟ أخذ ليديف يتلوى من جديد، ثم طفق يضحك، ثم فرك يديه، ثم عطس لكنه لم يعزم أمره على أن ينطق بكلمة أرى أنك شاركت في الأمر لم أشارك الا مشاركة غير مباشرة فحسب أقول لك الحقيقة خالصة كان دورى كله في القضية هو أن أبلغ شخصا ما في الوقت المناسب أن في داري ناسا، وأن بين هؤلاء الناس فلان وفلانا صاح الأمير يقول بلهجة تدل على نفاد الصبر: أعرف أنك أرسلت إلى هناك ابنك هو نفسه قال لي ذلك منذ قليل قال ليبديف وهو يقوم بحركات انكار أنا لا شأن لي في الأمر ان هذه المكيدة من تدبير أشخاص آخرين؛ بل انها لنزوة أكثر مما هي مكيدة ولكن ما المسألة؟ اشرح ما بنفسك، ناشدتك الله هل يمكن أن لا تدرك أن هذه القضية تمسنى مباشرة؟ ألا ترى أنهم يحاولون تلطيخ سمعة أوجين بافلوفتش؟ هتف ليديف يقول وقد عاد ينقبض: أيها الأمير، أيها الأمير العظيم، انك لا تتح لي أن أقول لك الحقيقة كلها لقد حاولت غير مرة أن أبسطها لك، ولكنك لم تدع لي أن أكمل كلامي في لحظة من اللحظات صمت الأمير وفكر، ثم قال في مشقة وعناء، بلهجة تكشف عن أنه يعانى صراعا نفسيا عنيفا: طيب قل لي

الحقيقة فسرعان ما بدأ ليديف يقول: ان آجلايا ايفانوفنا ولكن الأمير صرخ يقول له مندفعا اسكت كان الأمير محمر الوجه من الغضب ومن الاستياء وربما من الخجل والحياء وتابع كلامه فقال مستحيل هذا كله سخف هذا كله تلفيق منك أو من أناس مجانين مثلك انني أمنعك من أن تكلمني في هذا الأمر يوما في وقت متأخر من الليل، في نحو الساعة الحادية عشرة، وصل كوليا مع حصاد أنباء بعضها من بطرسبرج وبعضها من بافلوفسك فأوجز رواية الأنباء الآتية من بطرسبرج وهي تتعلق بيبيوليت وحادثة الأمس مؤجلا الحديث المفصل عنها إلى وقت آخر، متعجلا الانتقال إلى الكلام عن أنباء بافلوفك كان قد رجع من بطرسبرج منذ ثلاث ساعات، وذهب الى دار ال ايبانتشين رأسا، دون أن يعرج على الأمير رهيب ما يحدث هناك والسبب الأول للفضيحة هو حادثة المركبة طبعا ولكن لا شك أن حادثة آخر قد وقع، حادثا لا يعرفه لا هو ولا الأمير وقد تجنبت طبعا أن أتجسس أو أن أسأل أحدا ثم أنهم قد احسنوا استقبالى حتى لقد أحسنوا استقبالى أكثر مما كنت أتوقع ولكنهم لم يقولوا كلمة واحدة عنك يا أمير وهاهو ذا النبأ المثير: لقد تشاجرت اجلا يا مع ذويها بشأن جانباء لايعرف أحد تفاصيل المشاجرة، ولكن من المعروف أن جانيا هو سببها، ولا شك في أن الباعث على المشاجرة كان هاما خطيرا، لأن المشاجرة كانت قوية عنيفة كان الجنرال قد

رجع إلى البيت متأخرا، متجهم الهيئة عابس الأسارير، يصحبه أوجين بافلوفتش الذي استقبل بكثير من الترحيب وكان باشا مشرق المزاج كثير اللطف والتودد وهذا نبأ ثان أهم شأنا ان اليزابت برو كوفيفنا قد استدعت باربارا آرداليونوفنا التي كانت مع بناتها، وحظرت عليها، دون ضجيج، أن تدوس قدماها ض بيتها بعد الآن في يوم من الأيام؛ وقد أبلغتها هذا الحظر بكثير من الكياسة والتهذيب على كل حال.« عرفت هذا من فاريا بنفسها هذا ما أضافه كوليا وحين خرجت فاريا من عند الجنرالة وودعت الآنسات كانت الأنسان لا يعرفن أن باب هذا المنزل قد أغلق دونها إلى الأبد وأنها تر كهن إلى غير رجعة قال الأمير متحيرا مع ذلك جاءت إلى باربارا آرداليونوفنا في الساعة السابعة وفي الساعة الثامنة انما أمرت بأن لا تعود انني متألم لفاريا وجانيا صحيح أنهما لا ينفكان عن تدبير المكائد، فتلك عادة لا يملكان التخلص منها أنا لم أستطع أن أعرف ماذا يدبران، ولست أحرص على أن أعرف ذلك ولكنني أؤكد لك يا عزيزي الأمير الطيب أن جانيا له قلب نيل هذا رجل ضائع من نواح كثيرة، لكن له مزايا تستحق أن تعرف ولن أغفر لنفسي يوما أني لم أفهمه قبل هذه المدة لا أدري ألا يزال على أن أتردد على آل ايبانتشين بعد الذي حدث لفاريا صحيح أنني منذ اليوم الأول قد احتفظت باستقلالى كاملا، وجعلت بيني وبينهم مسافة ولكن الأمر يحتاج إلى

تفكير مع ذلك قال الأمير: انك لتخطىء اذا أخذتك بأخيك شفقة لكن وصلت الأمور إلى ما وصلت اليه فلأن جبريل آردالیونوفتش أصبح خطرا في نظر اليزابت برو كوفيفنا: معنى ذلك أن بعض آماله قد تأكدت هتف كولا يسأل مذهولا: أية آمال؟ ماذا تعني؟ أتراك تصور أن آجلايا ذلك لا يمكن لزم الأمير الصمت وتابع كرليا كلامه بعد دقيقة أو دقيقتين من سكوت: أنت راب شكاك إلى درجة رهيبة يا أمير لقد لاحظت منذ بعض الوقت أنك تهوي إلى ريسية فيها غلو، حتى أخذت لا تصدق شيئا، وحتى صرت تفترض كل شيء ولكن هل ترانى استعملت كلمة الريبة، في محلها؟ أظن، رغم اني لست واثقة أنا نفى كل الثقة صاح كوليا يقول فجأة: مع ذلك أسترد هذه الكلمة لقد اهتديت إلى كلمة تفصح عن فكرتي افصاحا أصدق أنت لست رابا، وانما أنت غيور ان جانيا يوقظ في نفسك غيرة جهنمية بسبب امرأة متكبرة قال كوليا ذلك ونهض عن مكانه واثبة، وأخذ يضحك ضحكا لعله لم يضحك ضحكة مثله في حياته وازداد ضحكه حين رأي الأمير يتخضب وجهه بالحمرة لقد فتنه أن يتصور أن الأمير غيور بسبب آجلايا ولكنه سكت منذ لاحظ أن ألم الأمير صادق وأخذا يتكلمان منذئذ بكثير من الرصانة والجد، فدام حديثهما ساعة أخرى، أو ساعة ونصف مد في الغداة سافر الأمير إلى بطرسبرج، واضطر أن يمكث هنالك إلى ما بعد الظهر لأمر ملح مستعجل فلما

عـاد إلـى بافلوفسك فـي نحو السـاعـة الخامسة صـادف ايفان فيدوروفتش بالمحطة فأمسكه هذا من ذراعه بقوة، وبعد أن ألقي نظرات خائفة ذات اليمين وذات الشمال، أصعده الى مركبة في الدرجة الأولى من القطار لقد كان يحترق رغبة في أن يكلمه في مسألة هامة قال ايفان فيدوروفتش للأمير أرجوك أولا، ياأميري العزيز، أن لا تؤاخذني ولا تحقد على اذا كان ثمة ما تلومني عليه فانني آمل أن تنساه لقد أوشكت أن أجيء اليك بالأمس، لكنني لا أدري ما الذي كان يمكن أن تتصوره اليزابت برو كوفيقنا لو أني فعلت ذلك إلى جحيم حقاً لكأن مخلوقة ملغزة كأبي الهول قد سكن منزلنا أنا لا أفهم من الأمر شيئا أما أنت فأنت في رأيي أقلنا ذنبا، رغم أنك سبب كثير من التعقيدات التي حدثته حب الخير للبشر شيء ممتع يا أمير ولكن ما ينبغي للمرء أن يسرف قطه لعلك عانيت هذه الحقيقة أنت نفسك بالتجربة صحيح أني أحب طيب القلب ونبل النفس وأقدر اليزابت برو كوفيفنا، لكن وظل الجنرال يتكلم على هذا المنوال مدة طويلة، ولكن كلامه كان مفككا تفككا شديدا كان واضحا أنه خائف مضطرب إلى أبعد حدود الخوف والاضطراب، من حادث لا سبيل إلى فهمه البتة قال أخيرا وهو يدخل في حديثه شيئا من وضوح: لا شك عندي في أنك غريب عن الأمر، فلا شأن لك فيه لكنني أرجوك رجاء الصديق أن تنقطع عن زيارتنا زمنا، إلى أن تدور الريح ثم هتف

يقول بحرارة ما أوجين با فلش فان كل ما يشاع عنه انما هو أراجيف دنيئة،روشايات كاذبة نحن ازاء محاولة تشهير وخطة تأمر ثمة مكيدة يهدف منها إلى قلب كل شيء رأسا على عقب، والى أحداث الشقاق والخلاف بيننا اسمع يا أمير، انني أقول لك الحقيقة بصراحة: ما من كلمة نطقت حتى الآن بيننا، نحن وأوجين باقلتش، هل تفهم؟ لا شيء يربطنا في الوقت الحاضر غير أن تلك الكلمة يمكن أن تنطق وقد تنطق في القريب، بل قد تنطق من لحظة إلى أخرى وذلك ما يراد منعه لماذا؟ ما الغرض من ذلك؟ ما هي النية المختفية وراءه؟ هذا ما لا أستطيع أن أدر كه به آن هذه المرأة محيرة شاذة اننى خائف منها أشد الخوف؛ أن خوفي منها يؤرقني ويحرمني من النوم وانظر إلى تلك المركبة الفخمة، وتلك الخيول الصهباء ذلك ما يسميه الفرنسيون أناقة من ذا الذي يهيىء لها هذا المستوى من العيش؟ يمينا لقد راودتني في يوم من الأيام هذه الفكرة الآثمة، وهي أن أوجين بافلتش هو الذي يهيىء لها ذلك ولكن من الواضح أن هذا الرأي لا يمكن أن يصمد للدحض لماذا تحاول اذن احداث الشقاق بيننا؟ ذلك هو اللغز أمن أجل أن تحتفظ إلى جانبها بأوجين بافلوفتش؟ لكنني أكرر لك وأحلف لك أنه لا يعرفها وأن الصوت اختراع وتلفيق وما أشد تلك الوقاحة في أن تخاطبه بصيغة الفرد على ذلك النحو عبر الشارع تلك مكيدة مدبرة لا أكثر واضح أن علينا

أن ننبذ هذه المكيدة باحتقار وأن نضاعف احترامنا لأوجين بافلوفتش ذلك ما أعلنته لاليزابت برو كوفيفنا والآن أفضى اليك بالرأي الذي أكنه في قرارة نفسي اني مقتنع اقتناعا عميقا بأنها تحاول أن تتقم بهذا مني أنا، بسبب ما جرى من قبل، هل تتذكر؟ ومع ذلك فانني لم أخطىء في حقها يوما ولا أسأت اليها ان وجهي ليحمر خجلا كلما فكرت في ذلك الأمر ها هي ذي تعود الآن إلى الظهور بعد أن ظننت أنها غابت إلى الأبد أين ذهب روجويين؟ لقد كنت أحسب أنها أصبحت منذ مدة طويلة زوجة روجويين الخلاصة أن الجنرال كان حائرا أشد الحيرة ولقد ظل طوال ما يقرب من ساعة، وهي المدة التي استغرقتها مسافة الطريق بالقطار، يجري الحديث مع نفسه، فهو الذي يلقى الأسئلة وهو الذي يجيب عنها، ضاغطا يدي الأمير، مفلح في اقناعه على الأقل بأنه لا يساوره ظل من شك فيه وتلك هي النقطة الجوهرية بالنسبة إلى الأمير وتكلم في آخر الأمر عن عم أوجين بافلتش الذي يشغل منصب رئيس لاحدى الادارات ببطرسبرج فقال انه رجل في نحو السبعين من عمره، ذو مركز مرموق، يحب مباهج الحياة ويقبل على ملذات المائدة، أي أنه باختصار شيخ ما يزال نضر الرغبات هأهأ وأنا أعلم أنه سمع عن ناستاسيا فيليبوفنا، حتى انه التمس الحظوة بنعمها وقد زرته منذ قليل انه لا يستقبل الآن بسبب سوء صحته ولكنه غنى وان له نفوذا وتأثيرة وأطال الله عمره

غير أن أوجين باقلتش سيرث ثروته كلها نعم لكنني مع ذلك خائف ان في الهواء نذير شر يحلق تحليق خفاش، فأنا خائف، خائف

الفصل الحادي عشر

في الساعة السابعة من المساء، كان الأمير يتهيأ للقيام بنزهته في الحديقة، فاذا باليزابت برو كوفيفنا به تظهر في الشرفة وحيدة، وتتجه نحوه. قالت: أولا، لا يذهبن بك الظن إلى انني جئت أطلب منك الصفح فتلك حماقة أنت وحدك مرتكب جميع الأخطاء ومقترف جميع الذنوب الزم الأمير الصمت أأنت مذنب أم لا؟ لا أكثر منك ولا أقل على أننا لم نذنب عن عمد وقصد، لا أنا ولا أنت منذ ثلاثة أيام اعتقدت أني مذنب أثم أما الآن فقد اقتنعت بعد التفكير بأن لا شيء من ذلك آه هكذا أنت طيب، اجلس واسمع، لأنني لا أتوى أن أبقى واقفا جلس الاثنان قالت: ثانية، لا داعي إلى كلمة واحدة عن أولئك الأشقياء سأمكث عشر دقائق للتحدث معك لقد جئت أسألك عن أمر من الأمور لا يعلم الا الله إلى أي شيء ذهب ظنك، فإن نطقت بكلمة واحدة عن أولئك الوقحين، فلأنهضن منصرفة على الفور، وليكون ذلك فراقة بينى وبينك قال الأمير طيب اسمح لي أن ألقى عليك سؤالا هل بعثت برسالة إلى أجلا يا منذ شهرين أو شهرين ونصف شهر، حوالى أعياد الفصح؟ نعم بأية مناسبة؟

في أي موضوع؟ ماذا تضمنته تلك الرسالة؟ أرني الرسالة كانت عينا اليزابت برو كوفيفنا تقدح شررا، وكانت ترتعش من فرط نفاد الصبر أجاب الأمير مدهوشا مرتاعا ليست تلك الرسالة معي، واذا كانت ما تزال موجودة فهي مع اجلايا ايفانوفنا لا تراوغ ماذا كتبت لها في تلك الرسالة؟ لست أراوغ، وليس ثمة ما أخشاه انني لا أرى السبب الذي كان يمكن أن يمنعني من الكتابة اليها اسكت سنتكلم من بعد ماذا تضمنت تلك الرسالة؟ لماذا احمر وجهك؟ فكر الأمير لحظة لا أعرف ماذا يدور في رأسك من خواطر يا اليزابت برو كوفيفتاء ولكنني أرى أن تلك الرسالة قد أورتك كثيرا من الاستياء لاحظي أن في وسعي أن لا أجيب عن سؤال كهذا السؤال الذي تلقين لكنني من أجل أن أبرهن لك على أنه ليس ثمة ما أخشاه بصدد تلك الرسالة، وعلى أنني لست نادما ولا خجلان من كتابتها حين قال الأمير هذا الكلام تضاعفت حمرة وجهه، فسألوها عليك، لأنني أحفظ مضمونها على ظهر القلب فيما أظن وأخذ الأمير يتلو نص الرسالة كلمة كلمة تقريبا قالت اليزابت برو كوفيفنا بعد أن أصغت بانتباه شديد، قالت بلهجة فظة شرسة يا له من خلط؟ ما المعنى الذي تقصده من هذه السخافات؟ أجابها الأمير أنا نفسي لا أعرف حق المعرفة إن ما أعلمه هو أن عاطفتي كانت صادقة كانت تنتابني هنالك لحظات حياة عنيفة وآمال كبيرة أية آمال؟

يصعب على أن أشرح هذا، ولكن تلك الآمال ليست تلك التي يغلب على ظنى أن تفكيرك ينصرف اليها الآن ان تلك الآمال تصل بالمستقبل، وترتبط بفرحة التفكير في أنني لعلني لم أكن هنالك، أجنبية وقد غمرتنى سعادة بالعودة إلى الوطن، فتناولت القلم في ذات صباح مشمس، وكتبت لها تلك الرسالة لماذا كتبت الرسالة اليها هي؟ لا أدري هناك لحظات يريد فيها المرء أن يكون بقربه صديق وأضاف الأمير يقول بعد صمت فلعل ذلك الشعور هو الذي قادني ووجهني أتراك محبا؟ لا والله لقد كتبت اليها كما يكتب أخ إلى أخيه حتى لقد ذيلت رسالتي بهذا التوقيع أخوك هه خيال بارع فهمت يشق على نفسي جدا أن أجيب عن أسئلة كهذه يا اليزابت برو كوفيفنا

أعلم غير أن هذا لا يعنيني البتة اسمع، قل لي الحقيقة كما لو كنت تتكلم أمام الله أكاذب أنت فيما تقول أم لا؟ لست كاذبا أأنت تقول الحقيقة حين تؤكد أنك لست محبا؟ يخيل إلى أن هذا صادق صدقا مطلقا ايخيل اليك، هل الصبي هو الذي حمل اليها الرسالة؟ جوت نيقولا آردااليونوفتش أن قاطعته اليزابت برو كوفيفنا في غضب الصبي، الصبي أنا لا أعرف نيقولا رداليونوفتش قل الصبي نيقولا آردااليونوفتش بل الصبي، قلت لك ود الأمير يقول بلهجة ثابتة، ولكن دون أن يرفع صوته لا، ما هو بالصبي انه نيقولا آردااليونوفتش طيب

طيب سأجازيك على هذا بمثله نظمت اليزابت برو كوفيفنا انفعالها دقيقة التسترد أنفاسها ثم سألته: وما معنيالفارس الفقير،؟ لا أدري، حدث هذا في غيابى لا شك في أنه مزاحة من المزاحات ما أحلى أن يعلم المرء هذا كله دفعة واحدة ولكن هل يمكن أن تكون قد اهتمت بك؟ لقد وصفتك هي نفسها بأنكطرح، وبأنكأبله،. قال الأمير بلهجة العتب، وبصوت يكاد يكون همسة: كان في وسعك أن تعفينى من نقل هذا الكلام إلى لا تزعل هذه فتاة مستبدة متسلطة، طائشة اللب؛ انها طفلة أفسدها الدلال قد تفتتن بشخص من الأشخاص فاذا هي تهينه على رءوس الأشهاد، وتضحك عليه أمام أنفه أنا نفسي كنت هكذا ولكنني أرجوك أن لا تتغنى بالانتصار، وأن لا تسكر بنشوة الظفر هي ليست لك يا صغيري انني أرفض أن أصدق لن يكون هذا في يوم من الأيام أقول ذلك لتعزم أمرك منذ الآن اسمع: احلف لي أنك لم تتزوجالأخرى،. قال الأمير وهو ينتفض دهشة: ما هذا الذي تقولينه يا اليزابت برو كوفيفنا؟ ولكن ألم توشك أن تتزوجها؟ دمدم الأمير يقول خافضا رأسه أوشكت أن أتزوجها فأنت اذن تحبها هي ؟ وأنت انما جئت إلى هنا من أجلهاهي من أجل تلك المرأة،؟ أجاب الأمير ود ما من أجل أن أتزوجها جئت هل في العالم شيء مقدس عندك نعم احلف انك لم تجيء لتتزوج تلك المرأة أحلف على ذلك بما تشائين صدقتك قبلني هأناذا أتنفس أخيرا بحرية

ولكن اعلم أن اجلايا لاتحبك، ورتب أمورك على هذا الأساس لن تصبح أجلايا زوجتك ما بقيت أنا على قيد الحياة هل سمعت؟ سمعت بلغ الأمير من شدة الاحمرار أنه أصبح لا يستطيع أن ينظر إلى اليزابت برو كوفيفنا وجها لوجه ضع هذا في رأسك لقد انتظرتك انتظار العناية الإلهية وكنت لا تستحق ذلك، وبللت وسادتي في الليل بالدموع أوه لابسببك أنت يا صديقى، اطمئن فان لي حزنا آخر، حزنا لا يتغير مدى الدهر ولكن اليك السبب الذي جعلني انتظرك نافدة الصبر: أنني ما زلت أعتقد بأن الله هو الذي أرسلك إلى صديقا وأخا ليس لي أحد أشد به أزرى، الا العجوز بيلو كو نسكايا، التي سافرت هي نفسها، ناهيك عن أنها كانت قد أصبحت من الشيخوخة غبية كشاة من الشياه والآن ليس عليك الا أن تجيبني بكلمة نعم أو بكلمة لا على هذا السؤال: هل تعلم لماذا قذفت تلك المرأة، بتلك الصيحة من داخل مركبتها في ذلك اليوم؟ أحلف لك أن لا شأن لي بالأمر،ولست أعرف شيئا يكفيني هذا صدقتك ان لى الآن رأيا جديدة في هذا الموضوع، ولكنني في صباح الأمس كنت ما أزال أعد أوجين باقلتش مسئولا عن كل ما حدث لقد لازمتني هذه الفكرة طوال أمس الأول وطوال صباح أمس أما الآن فقد انتهيت إلى الموافقة على رأيهم: واضح أنه قد سخر منه واستهزيء به كمعتوه كيف؟ لماذا؟ ما الغاية من ذلك؟ أن الحركة في ذاتها مشبوهة غير

شريفة على كل حال، لن يتزوج آجلايا أنا أقول لك هذا مهما يكن رجلا ممتازا، فلن أرضى أن يتزوجها، حتى قبل ذلك الحادث كنت مترددة أما الآن فقد اتخذت قرارى وعزمت أمري:ضعني أولا في تابوتى وادفني في قبري، ثم زوج ابنتك ذلك ما قلته اليوم لايفان فيدوروفتش مقطعة كلماتى هأنت ذا ترى مدى ثقتي بك هل ترى ذلك؟ أراه وأفهمه حدقت اليزابت برو كوفيفنا إلى الأمير بنظرة نافذة لعلها كانت تحترق شوقا إلى معرفة الأثر الذي أحدثه في نفسه كلامها عن أوجين بافلتش أنت لا تعرف شيئا عن جبريل آرداليونوفتش ايفولجين؟ أعرف أشياء كثيرة هل تعرف أنه على صلات بأجلايا؟ قال الأمير مدهوشة أجهل هذا كل الجهل ماذا؟ تقولين ان جبريل آرداليونوفتش على صلات بأجلايا ايفانوفا؟مستحيل الأمر حديث العهد أن أخته هي التي شقت له الطريق طوال فصل الشتاء عاد الأمير يكرر باقتناع بعد أن ظل شارد الذهن مضطرب النفس برهة من الوقت لا أصدق شيئا من هذا الكلام لو صح ذلك لعرفته حتما أتظن أن جبريل آرداليونوفتش كان سيأتي معترفا لك بسره باكيا فوق صدرك؟ يا لك من ساذج غر ان جميع الناس يخدعونك ويضللونك مثل مثل أفلا تستحي أن تمحضه ثقتك؟ ألست ترى أنه يضحك عليك ويغرر بك؟ قال الأمير بصوت خافت ولهجة لا تخلو من اشمئزاز أعرف أنه يغشني أحيانا وهو لا يجهل أني أعرف ذلك ولم يكمل

الأمير فكرته هكذا اذن؟ تعلم أنه يغشك ثم تظل توليه ثقتك لم يكن ينقص الا هـذا على أن ذلـك هو ما يمكن أن ينتظر منك فعلام الاستغراب؟ رباه لا يوجد في العالم كله رجلان من نوعك وهل تعلم أن جانيا هـذا أو فاريا هـذه قد جعلاها على صـلات بناستاسيا فيلسوفنا؟ صاح الأمير يسأل من؟ آجلايا لا أصدق هذا مستحيل ما الغاية من ذلك؟ وكان قد نهض عن مكانه واثبا قالت اليزابت برو كوفيفنا أنا أيضا لا أصدق ذلك، رغم أن هناك أدلة وبراهين انها فتاة ذات نـزوات، فتاة جامحة الخيال طائشة العقل فتاة شريرة أنني مستعدة لأن أكرر لك ألف سنة أنها شريرة وبناتي كلهن أصبحن الآن على هذه الشاكلة، حتى تلك الدجاجة المبتلة، الكسندرا ولكن آجلايا قد أفلتت من بين يدي وانتهى الأمر ومع ذلك لست أصدق هذا أنا أيضا ثم أضافت تقول لنفسها: ربما لأني لا أريد أن أصدقه ثم نادت الأمير فجأة تسأله لماذا لم تجيء؟ لماذا لبثت ثلاثة أيام لا تجيء؟ كررت سؤالها نافدة الصبر فأخذ الأمير يعدد الأسباب التي حالت بينه وبين المجيء لكنها قاطعته مرة أخرى وقالت له: جميع الناس يعدونك غبيا ويغشونك لقد كنت أمس بالمدينة، واني لأراهن أنك مضيت تجثو أمام ذلك الوغد ضارعا اليه أن يقبل منك العشرة الاف روبل لا لم يخطر ببالي أن أفعل، ولم أره ثم أنه ليس وغدا لقد تلقيت منه رسالة أرنيها. سحب الأمير من محفظة أوراقه رسالة مدها إلى

اليزابت برو كوفيفناء وهذه هي الرسالة سيدى ليس لي حتما، في نظر الناس، أي حق في أن أظهر شيئا من الشعور بالكرامة فالناس يعدونني أهون شأنا وأحقر قيمة من أن أفعل ذلك ولكن نظرة الناس إلى الأمور ليست نظرتك أنت انتى مقتنع أشد الاقتناع يا سيدى بأنك ربما كنت أفضل من سائر الناس لست أشاطر دكتورنكو رأيه، بل أخالفه في هذه النقطة لن أقبل منك كوبكا واحدا في يوم من الأيام ولكنك نجدت أمي، فأنا محمول على أن أشكر لك صنيعك رغم أن هذا ضعف على كل حال، لقد رجعت عن رأيي فيك، واعتقدت أن من واجبي أن أبلغك ذلك واني لأتنبأ بأننا لن تقوم بيننا أية علاقة بعد الآن نتيب بوردوفسكى حاشية أن المال الناقص لاكمال مبلغ المائتي روبل الذي أدين لك به سيرد اليك مع الزمن حتما قالت اليزابت برو كوفيفنا وهي تنهي قراءة الرسالة ثم ترميها يا للسخف والحماقة ما كان هذا الكلام ليستحق أن يقرأ مم تضحك؟ اعترفي مع ذلك بأن قراءة هذه الرسالة قد سرتك كيف؟ تسرني قراءة هذا الهذر الدعى السخيف؟ ألست ترى اذن أن جميع هؤلاء الناس قد أضلهم الزهو والعجب والغرور؟ صحيح ولكنه اعترف بأخطائه، وقطع صلته بدكتورنكو، وعلى قدر غروره وزهوه كلفه عمله هذا ثمنا باهظا يا لك من طفلة صغيرة يا اليزابت بروكوفيفنا أتراك تود أن أصفعك على وجهك؟ لا، لا أحرص على ذلك البتة كل ما هنالك أنني

ألاحظ أن قراءة هذه الرسالة قد ملأت نفسك ارتياحا، وأنك تخفين ذلك فيم تخجلين من عواطفك؟ انك هكذا في كل أمر صاحت اليزابت بروكوفيفنا تقول واثبة عن مكانها، شاحبة اللون من فرط الغضب حذار أن تضع قدميك في بيتي بعد اليوم اياك أن يظهر أنفك في عتبة بابي بعد الآن وبعد ثلاثة أيام تسعين أنت إلى ما هذا؟ ما بالك تحمرين خجلا من أنبل عواطفك؟ لم هذا؟ انك لا تزيدين بذلك على أن تعذبى نفسك لن استدعيك ولو رقدت على فراش الموت سأنسى اسمك بل قد نسيته قالت ذلك وأسرعت تبتعد عن الأمير صرخ الأمير يقول لها على كل حال، لقد حظر على أن أزورك ماذا؟ من حظر عليك ذلك؟ آجلايا ايفانوفنا هي التي تحظر على أن متى حدث هذا؟ تكلم، مالك لا تتكلم؟ في هذا الصباح، أرسلت تبلغني أن على أن لا أدوس أرض دار كم بعد اليوم قط شدهت اليزابت برو كوفيفنا ومع ذلك أخذت تفكر ثم هتفت تقول فجأة كيف؟ من أرسلت لابلاغك ذلك؟ الصبي؟ بكلام؟ بل برسالة أين الرسالة؟ اعطنيها فورا فكر الأمير لحظة، ثم سل من جيب صديرته مزقة ورق كان مكتوبة عليها ما يلي: الأمير ليون نيقولا يفتش، اذا كنت تنوي، بعد كل الذي حدث،أن تدهشني فتجيء تزورنا بدارنا، فتق أني لن أكون من أولئك اللواتى ستراهن زيارتك اجلايا ايبانتشينا بنت اليزابت برو كوفيفنا شاردة الفكر لحظة، ثم أسرعت إلى الأمير فأمسكت يده

واقتادته صائحة وقد استولى عليها اهتياج شديد واضطراب كبير حالا تعال في هذه اللحظة نفسها لكنك ستعرضينى أعرضك لأي شيء؟ ساذج غبي حتى لكأنك لست برجل هيا سأرى كل شيء بنفسي، بعيني رأسى اسمحي لي أن آخذ قبعتي على الأقل هي ذي، قبعتك القذرة هيا انك عاجز حتى عن اختيار قبعة فيها ذوق ثم تمتمت اليزابت برو كو فيفا تقول وهي تجر الأمير في اثرها دون أن ترخيه لحظة واحدة: كتبت ذلك كتبت ذلك بعد المشهد الذي جرى منذ قليل كتبته في غمرة الاندفاع ثم أضافت تخاطب الأمير لقد تحيزت لك منذ قليل قلت صراحة انك غبي لأنك لا تجيء ولولا ذلك لما كتبت اليك رسالة تبلغ هذا المبلغ من الحماقة، وتبلغ هذا المبلغ من قلة الاحتشام ان هذا لهو قلة احتشام من جانب فتاة نبيلة المحتد، حسنة التربية، ذكية، نعم ذكية وتابعت تقول ولعلها مغتاظة أيضا من تغييك ذلك جائز ولكنها لا تدرك أنه لا يكتب مثل هذا الكلام لرجل أبله يفهم الأمور فهما حرفيا كما حدث ذلك فعلا ولاحظت أنها أسرفت في القول، فصاحت تسأله مالي أراك تمد أذنك؟ انها في حاجة إلى مهرج من نوعك لقد حرمت من مثلك منذ مدة طويلة ذلك هو السبب في أنها تسعى اليك أنا مفتنة أعظم الافتتان، لأنها ستجعلك أضحوكة انك لم تسرقها انها في هذه اللعبة بارعة نعم بارعة حاذقة فيات الدابة آتانازى ايفانوفتش هو آتا نازى ايفانوفتش توتسكى راجع اسم

توتسكى آجلايا هي آجلايا ايفانوفنا ايبانتشين بنت الجنرال ايفان فيدوروفتش ايبانتشين واليزابث برو كوفيفنا ويرد اسمها مصغرا: جلاشا آديلائيد هى آديلائيد ايفانوفنا ايبانتشين بنت الجنرال ايفان فيدوروفتش ايبانتشين واليزابث برو كوفيفنا آردااليون الكسندروفتش: هو آراداليون الكسندروفتش ايفولجين راجع اسم ايفولجين الكسندرا هي الكسندرا ايفانوفنا ايبانتشين: بنت الجنرال ايفان فيروروفتش ايبانتشين واليزابث برو كوفيفنا اليزابت بروكوفيفنا: زوجة الجنرال ايبانتشين تمت بقرابة بعيدة إلى الأمير ليون نيقولايفتش ميشكين الأبله، ويرد ذكرها في الرواية بلقب الجنرالة، جريا على عادة القوم في خلع رتبة الزوج على الزوجة أيضا، أوجين بافلوفتش: هو أوجين بافلوفتش يود خطبة أجلايا أو بافلتش رادومسكى ضابط شاب ايبانتشين: هو الجنرال ايفان فيدوروفتش أو فيدور تش ايبانتشين موظف كبير ورجل أعمال صديق اتانازى ايفانوفتش توتسكى وشريكه والجنرالة ايبانتشين، زوجته، تمت إلى الأمير ميشكين الأبله بقرابة بعيدة ايفان فيدوروفتش هو ايفان فيدوروفتش ايبانتشين راجع اسم ايبانتشين ايفولجين هو آردااليون ألكسندروفتش أو الكسندر تش ايفولجين جنرال محال على التقاعد، سكير زوج نينا الكسندروفنا وأبو الشاب جبريل آردااليونوفتش وأخته باربارا آردااليونوفتش وأخيه الصبي كوليا باراشكوفا: هي ناستاسيا فيليبوفنا باراشكوفا راجع

اسم ناستاسيا فيليبوفنا باربارا ارداليونوفنا: بنتسين، ويرد ابنة الجنرال السكير ايفولجين وزوجة ايفان بتروفتش اسمها مصغرا: فاريا، فاركا، فارتشكا بارفيون سيميونوفتش: هر بارفيون سيميونوفتش أو سيميونتش اسم روجويين روجويين راجع بافلتشيف هو نيقولا آندريفتش بافنتشيف، المحسن إلى الأمير ميشكين، فقد أرسله الى سويسرا على نفقته لمعالجته من البلاهة بتشين: هو ايفان بتروفتش بتنسين يعمل مرابيا كان مستأجرا غرفة عند أسرة الجنرال ايفولجين، وقد تزوج ابنته باربارا آردااليونوفنا بيلوكونسكايا الأميرة بيلو كونسكايا، صديقة اليزابث بروكوفييفنا ومستشارتها وناصحتها توتسكى هو اتانازى ايفانوفتش توتسكى مالك أطيان ثرى كان وصيا على ناستاسيا يفانوفنا فأغواها واتخذها خليلة تيرنتيف هو هيبوليت تيرنتيف ابن مارتا بوريسوفنا خليلة الجنرال السكير ايفولجين فتي مصدور صديق كوليا. جانيا: راجع اسم جبريل ارداليونوفتش، فان جانيا هو مصغر جبريل آردااليونوفتش هو جبريل آردااليونوفتش أو آردااليونتش ايفولجين ابن الجنرال السكير آردااليون الكسندروفتش ايفولجين سكرتير الجنرال ايبانتشين يسعى إلى خطبة ناستاسيا فيليبوفنا يهوى آجلايا ايفانوفنا ايبانتشين يرد اسمه مصغرا جانيا، جانكا، جانتشكا رادومسكى أوجين بافلوفتش رادومسكى ضابط شاب راجع اسم أوجين بافلوفتش يود خطبة

أجلايا روجويين هو بارفيون سيميونوفتش أو سيميونتش روجويين: ابن تاجر غني، ورث عن أبيه ثروة طائلة أحب ناستاسيا فيليبوفنا باراشكوفا، وأراد أن يتزوجها فاريا: راجع اسم بار بار آرداليونوفنا فان اسم فاريا هو تصغير باربارا فردشتينكو: شاب يسكن غرفة مستأجرة في بيت أسرة الفولجين، ويتردد على ناستاسيا فيليبوفنا فيرا لوكيانوفنا: بنت لوكيان تيموفيفتش ليبديف، ابنته الكبرى التي تتولى أمور البيت گوليا: هو نيقولا آرداليونوفتش اينولجين فتى في المدرسة الثانوية الابن الأصغر للجنرال السكير افولجين يرد اسمه مصغرا: كولياء كيللر: م لاكم ليوتنان محال على التقاعد أحد أفراد بيئة بارفيون سيمينوفتش روجويين وناستاسيا فيليبوفنا تعلق بعد ذلك بالأمير ليون نيقولا تيفتش ميشكين ليبديف: هو لوكيان تيموفنفتش أو تيمرفئتش ليبديف: موظف يرتبط بعصبة بارفيون سيميونوفتش زوجونين، ثم يحوم حول الأمير ليون نيقولايفتش ميشكين بالمكيدة والمكر لوكيان تيموفيفتش أو تنيموفنتش ليبديف راجع اسم هر لوكيان تيموفنفتش ليبديف ليون نيقولايفتش ميشكين انه بطل هو الأمير ليون نيقولايفتش الرواية الرئيسي: الأبله أو نيقولايتش مارتا بوريسوفنا: أرملة الكابتن تير نتيف خليلة الجنرال السكير ايفولجين أم الفتى المسلول هيبوليت هيشكين ميشكين، البطل الرئيسي في الرواية، هو الأمير ليون نيقولايفتشالأبله ناستاسيا

فيليبوفنا باراشكوفا امرأة كان آتانازى ايفانوفتش وصيا عليها في طفولتها ثم أغواها وأصبح يعولها هربت مع بارفيون سيميونوفتش روجويين ولكنها لم تقبل أن تتزوجه نيقولا آندريفتش هو نيقولا آندريفتش با فلتشيف، المحسن الى الأمير ميشكين راجع اسم بافلتشيف نينا ألكسندروفنا زوجة الجنرال السكير آردالیون ألكسندروفتش ايفولجين أم جبريل وباربارا وكوليا تؤجر غرفا في بيتها لتتعول الأسرة.